كتابى

عدد ممتاز

لكل امرأة.. قصة!

حلمى مراد



زوجة البخيل

قصة من روائع الروائى العالمى

ستيفان زفايج

وكتب أخرى

كتابى

مجلة شهرية للثقافة العالمية
صاحبها ورئيس تحريرها : حلمى مراد

الكتاب رقم ١٠٠

التحرير : ٢٣ شارع عرابى (توفيق سابقا) ، شقة ١١١ ، القاهرة ـ تليفون ٤٦٤٧٥

الناشر : دار الشعب ـ ٩٢ شارع قصر العينى ، القاهرة ـ تليفون ٣١٨١٠

ثمن النسخة : ١٥ قرشا

مايو ١٩٦٩

لوحة الغلاف

بريشة الفنان « هبة عنايت »

هـذا العدد ..

عزيزى القارىء ..

● عندما شرعت فى التحضير والتخطيط للسلاسل العديدة المتفرعة من « كتابى » ومطبوعاته ، (والتى ترى قائمة بها فى ظهر غلاف هذا العدد) ، أشفق الاصدقاء والزملاء الذين حدثتهم عن هذا المشروع ، من فداحة الجهد والنفقات التى يتطلبهـا اخراجه الى حيز التنفيذ ، والتى تفوق نطـاق الامكانيات الفردية وحدها .. لكن هذه العقبات - التى لم أكن أجهلها - لم تصرفنى عن الفكرة ، وان أخرت تنفيذها .. حتى التقى ايمانى بها ، وتحمسى لها ، مع خطة (دار الشعب) فى عهدها الجديد ، تحت ادارة الصديق الفاضل الاستاذ السيد ابراهيم ، الذى لمس القراء فى كل مكان نهوضـه بمطبوعات « دار الشعب » فى الآونة الاخيرة ، هذا النهوض الناجح المشرف ، الذى دل على مبلغ ايمانه برسالة النشر الثقافى ، ودوره فى خدمة القارىء العربى ..

.. ولعلك لا تعلم ان هذا ليس أول لقاء بين « السيد ابراهيم » وبين « كتابى » ، بل بينه وبينك أيها القارىء - ولا تعجب ! - فقد كان اللقاء الاول بين ثلاثتنا منذ نحو ١٤ عاما ، يوم كان « السيد ابراهيم » مديرا عاما لشركة الجمهورية لتوزيع الصحف والمجلات الدورية ، فساهم بجهد مشكور فى دفع عجلة «كتابى» وتيسير وصوله الى يديك ، لاكثر من عشرين عددا على التوالى ..

.. ثم كان اللقاء الثانى منذ نحو عامين ، حين كان « السيد ابراهيم » مديرا عاما « لدار التعاون للطباعة والنشر » ، وكنت أبحث عن مطبعة موفورة الامكانيات ، توفر لى احتياجات كتابى من الورق ، وآلات جمع الحروف ، والطباعة ذات المستوى الجيد .. فوجدت عنده يومئـذ فى تلك الدار كل معاونة مشكورة ..

واليوم ، يجىء لقاؤنا الثالث الذى نستهله هذه الايام على نطاق أوسع ، وأقوى تعاونا ومشاركة ، والذى أوثر أن أترك لأعداد كتابى الجديدة أن تحدثك عنه بنفسها ، عدداً بعد عدد .. والذى أرحب - كعادتى معك دائما - بأن أتلقى كل ما يعن لك من ملاحظات وتوجيهات بشأن كل عدد ، أولا بأول ..

مكتبة المرأة .. أو موسوعة المرأة .. أو ؟

● وأول عدد أود أن أتلقى ملاحظاتك بشأنه هو هذا العـدد الذى بين يديك ، وهو العـدد « المئوى » من أعداد « كتابى » ، من ناحية .. لكنه ، من الناحية الأخرى ، العدد « الأول » من سلسلة الأعداد الخاصة الجديدة عن المرأة ، (التى أشرت اليها فى احدى فقرات ظهر غلاف هذا العدد) .. وهى السلسلة التى حيرتنى فى تسميتها ، أكثر مما حيرتنى فى اختيار مادتها :

ترى هل أسميها ((مكتبة المرأة)) ؟.. لكن القارىء قد يشعر من هذه التسمية أن موضوعاتها لا تهم غير النساء ، فى حين أعتقد انها تهم الرجال مثلما تهم النساء ، وربما أكثر !

أم هل أسميها : موسوعة المرأة ، أو دائرة معارف المرأة ؟.. ولكن هذه التسمية قد توحى بأن مادتها ((أكاديمية)) متخصصة ، أقرب الى الأسلوب العلمى منها الى الطابع الأدبى ، والقصصى ، والتاريخى ، الذى عهدته فى كتابى !

فماذا تقترح - أو تقترحين - على أن أسمى هذه المجموعة من الأعداد الخاصة الجديدة ؟ هذا ما أرجو أن أتلقى رأيك بشأنه فى أقرب فرصة .. ولكى أيسر عليك مهمة اختيار الاسم الأنسب ، أحدثك قليلا عن بعض أبواب هذه الموسوعة ، الأولى من نوعها باللغة العربية فيما اعتقد ، (وهى أبواب لم تتسع صفحات هذا العدد الا لبعضها فقط ، فاضطررت لارجاء بقيتها الى الأعداد التالية من السلسلة باذن الله) ..

كل شىء عن النساء ، ولكن ليس ((للنساء فقط)) !

● واليك ما يحضرنى الآن من أبواب هذه الموسوعة :

النساء فى جميع العصور (منذ حواء حتى اليوم) .. وفى جميع الشعوب (من المرأة المصرية القديمة ، والصينية ، الى المرأة اليابانية الحديثة ، والايطالية .. الخ) .. محاكمات النساء .. بطولة النساء .. خيانة النساء .. رسائل النساء .. اعترافات النساء .. الحب المكبوت عند النساء .. المرأة ملهمة العباقرة .. ٩ حريات للنساء .. المرأة عند أشهر كتاب الغرب والشرق .. كيف تنجح مع النساء (فى ضوء علم النفس) .. نساء عصاميات : الرائدات الأوائل فى كل الميادين : أول طبيبة ، أول سفيرة ، أول فلكية ، أول محامية ، وقاضية ، وطيارة ، وقرصانة ، وخبيرة صحفية ، ورحالة ، ومتسلقة جبال ، ورسامة ، ونحاتة ، وموسيقية ، وممثلة ، وراقصة ، ولاعبة رياضية ، وشاعرة ، وعالمة رياضيات ، ومحاربة ، وحائزة على وسام جوقة الشرف ، وأستاذة جامعة .. وأول مكتشفة مناجم ، وأول من قفزت بالباراشوت .. وأول من طالبت بحقوق المرأة .. الخ .. الخ .

وفى انتظار الأعداد القادمة من هذه الموسوعة ، أقدم لك فى الصفحات التالية العدد الأول منها ، راجيا أن أتلقى رأيك التفصيلى فى موادها جميعا وفى الفكرة ذاتها على وجه العموم .. فى أقرب فرصة .

والله ولى التوفيق .

حلمى مراد

المـرأة .. ملهمة العباقرة !

نساء .. في حياة برنارد شو

للكاتب الإنجليزى المعاصر "هسكيث پيرسون"



عرض وتلخيص : حلمى مراد

G.B. SHAW - WOMEN : HESKETH PEARSON

شذوذ العباقرة !

• **العبقرى** انسان من نوع خاص ، نسيج وحده ، لذا لا يمكن أن يكون سلوكه مثل سائر البشر العاديين ، حتى فى أشد مظاهر السلوك شيوعا بين الناس ، وأقواها التصاقا بطبيعة ذلك الكائن الحى الذى يسير على قدمين ، والذى نطلق عليه اسم الانسان !

خذ الطعام مثلا : أهناك فى هذه الدنيا ما هو أشيع منه وأشد ضرورة لسائر بنى آدم ؟ لقد كان شو يأكل بالطبع ، ولم يكن له مناص من هذا ، ولكنه لم يكن يأكل مثل معظم الناس ــ أعنى معظم الناس فى مجتمع البلاد التى ولد وعاش فيها ــ **فهذا الأوربى العبقرى كان ((نباتيا)) كأشد الهندوس تمسكا بتحريم أكل الحيوان .. ولذا كان يتوقع أن تكتظ جنازته بألوف الديكة الرومية والحملان والعجول التى أبقى عليها فلم يستهلكها كما يفعل بقية ((الهمج)) من مواطنيه أكلة ((جثث)) الحيوانات والطيور والأسماك !**

وماذا بعد الطعام مباشرة فى مراتب اللزوم الضرورى لحياة الحيوانات الآدمية ، من نباتيين وغير نباتيين ؟ انه الجنس بطبيعة الحال ! ولم يكن شو فى هذا أيضا مثل سائر خلق الله من البشر . والمعروف أن العباقرة لهم فى الجنس شطحات متطرفة : فهم اما مسرفون اسراف الافراط أو اسراف الشذوذ ، واما مسرفون اسراف الزهد ومعاداة النساء بالفعل والقول ، كشاعرنا الفيلسوف أبى العلاء مثلا . ولكن برنارد شو كان ذا نمط خاص ، لا ينتمى الى هؤلاء ولا الى أولئك : فحياته حافلة بمغامرات الغرام ، ولكنها علاقات

ذات لون فريد ، كأنما التكوين « الفنى » و « الفكرى » لذلك الايرلندى – الذى يخفق قلبه لكل وجه مليح ! – يأبى الا أن يتمثل حتى فى نزوات الرغبة وأحلام الهيام !

رأيه فى الجنس ..

● **منذ** مطلع شبابه ، كانت الأفكار الاجتماعية والمسائل الفنية تشغل ذهن « شو » وحواسه .. فلم يلبث أن اعتنق الاشتراكية ووهب نفسه للدعاية لها . ولولا أن أمه كانت تعطى دروسا فى الموسيقى لمات « برنارد » جوعا ، فقد ظل حتى الثلاثين من عمره تقريبا لا يكاد يكسب « شلنا » من عرق جبينه !.. فهو انما يقضى نهاره فى المتحف البريطانى قارئا ومتأملا ، ويقضى لياليه اما فى كتابة روايات ذهنية يردها اليه الناشرون معتذرين أو غير معتذرين ، واما فى حضور الاجتماعات الاشتراكية ، حين كانت الأفكار الاشتراكية بدعة تضارع الكفر !

فهل بقى بعد هذا للاهتمام بالمرأة موضع فى حياة هذا الشاب ؟ انه يعترف – بصراحته المعهودة – أن المرأة لم تكن لها فى أى مرحلة من عمره الأهمية الأولى . فالمكانة العظمى كانت دائما للفكر والسياسة والفن . ولكنه يعوض المرأة عن هذا « البخس » العملى باضفاء الأهميـة العظمى عليها فى أعماله الفنية ، فى مسرحياته . وهكذا يحقق – كما يقول – العدل والتوازن بين حياة الواقع وحياة الخيال ! وهو يبرر ذلك السلوك المختلف عن سلوك الناس العاديين بأن المرأة كانت دائما تثير خياله أكثر مما تثير حواسه وغريزته الجنسية بكثير .. بكثير جدا !

كان منذ يفاعته الأولى يحلم بالنساء الحسان ، ولكنه كان يشفق من الاتصال الجسدى الذى يخيب غالبا آمال

الخيال وأحلامه . وحتى فى مجال الرغبة الجسدية الخالصة كانت رغبته غير مشخصة ، لا تنصب على شخصية معينة ، ولذا كان يلوذ بعالم الخيال كى يحقق فيه أشواقه ، متساميا بخبراته الجسدية الى مستوى الأحلام الفنية !.. ودفع ذلك السلوك « المتزمت » بعضهم الى سؤاله : « ألعلك تنتمى عمليا الى طائفة المتطهرين (البيوريتان) ؟ » فأجاب برنارد شو بلا تردد :

ــ ان العملية الجنسية فظيعة وجارحة للذوق والحياء . ولست أفهم كيف يتسنى لرجل وامرأة لديهما أى قدر من احترام الذات أن يواجه أحدهما الآخر فى ضوء النهار بعد أن قضيا الليل معا !

.. وفى مناسبة أخرى قال ان خلق الانسان فيه خلط عجيب يخالف كل عقل وكل ذوق ، ودليله على هذا ذلك الجمع الشائن فى جهاز عضوى واحد بين وظيفتى الجنس والتبول ، وبالتالى ذلك الجمع المتناقض بين الحب الجنسى والخزى !

والحل الموفق السعيد فى رأى برنارد شو أنه ينبغى ألا يعرف الأطفال من الذين أنجبوهم . ولا الذين أنجبوهم يجب أن يعرفوا شخصيات بعضهم البعض ! وأفضل طريقة لذلك أن يجتمع عدد من الرجال والنساء الأصحاء فى الظلام الحالك ، ثم يأخذون فى المضاجعة عن طريق الصدفة . حتى اذا انتهى الأمر تسللوا فرادى ــ فى الظلام الحالك أيضا ! ــ بحيث لا يعرف أى منهم وجه من كان بين ذراعيه خلال تلك الساعة السوداء !

.. وهو فى حياته ، شخصيا ، لم يكن يؤمن بامكان قيام علاقة حميمة دائمة بين شخصين على أساس من الدافع

الجنسى .. بل يقول : « ان ما يسميه الناس حبا لأنه اشباع جنسى أمر مستحيل الا فى صورة نكتة بين غريبين التقيا عرضا فى خان أو فى درب من دروب الغابة ! »

ومن هنـــا كان اعتقاده الجازم ـ على ضـوء تجربته الشخصية ـ أن الحب الخيالى يقوم فى حياة الانسان بدور أهم من الحب الواقعى ، لأن الخيال يثرى الواقع ، ولأن التلامس الجسدى بديل هزيل عن الأحلام التى تسـتطيع النساء أن تثيرها فينا بسهولة . وكثيرا ما أكد ـ عن تجربة أيضا ـ أن العلاقة الغرامية المثالية هى تلك التى تتم عن طريق المراسلة ! وهو يدلل على ذلك بقوله : « ان الرسائل المتبادلة بينى وبين « الين تيرى » كانت علاقة غرامية مرضية لكلينا كل الارضاء . وكان فى وسعى أن اجتمع بها فى أى وقت أشاء ، ولكنى لم أرد أن أفسد هذه الصلة البديعة بتعقيدات الممارسة الجسدية . لقد سئمت هى خمسة أزواج ، أما أنا فلم تسأمنى قط . وعلاقتى بمسز باتريك كامبل كانت أبرأ من البراءة . وكانت قد « استهلكت » زوجين ، أما أنا فآخر خطاب كتبته الى ـ قبل وفاتها مباشرة ـ خاطبتنى فيـه بعبارة « يا عزيزى الأعز » ..!

والى نشاط خياله الخارق يرجع فرط حساسيته بجمال المرأة وسحرها ، ولا سيما حينما يكون هذا الجمال وهـذا السحر ماثلين أمام وجدانه المرهف فى اطار من الفن . ولذا تراه يعشق « الين تيرى » الممثلة لا المرأة .. وأما « ماى موريس » فقـد وقع نظره عليها أول مرة وسط مؤثرات عاطفية شديدة الوقع على خياله .. ولكن قصة حبه لمـاى موريس تستحق أن تروى لطرافتها فى حد ذاتها :

لقاء .. من تدبير السماء !

⦿ من هى « ماى موريس » أولا ؟

انها ابنة صديقه وليم موريس رجل الفن والاشتراكية الشهير الذى فتح بيته لأنصار الاشتراكية ، وكان يقيم بقاعة ملحقة به ــ كان يستعملها المالك السابق « عربخانة » ! ــ مناظرات ومحاضرات يسهم فيها ألمع المؤمنين بالاشتراكية المتطرفة ، بين كهول وشبان . وما أكثر ما كان الناس يستمتعون بخطب وليم موريس العملاق العنيفة واشارات ذراعيه ، حتى اذا احتدم غضبه على صديقه الشاب ومناظره وضيفه برنارد شو ، لوى ذراعيه خلف ظهره باصرار ، كأنما يمنع نفسه بصعوبة من خنق هذا المناظر الايرلندى الساخر الذى يفتن الناس ببراعته .. كان موريس عنيفا صخابا كالعاصفة . أما شو فكان ساخرا رشيقا كمن يبارز بالسيف وهو يأتى بحركات بارعة تضحك المشاهدين من خصمه ! ــ حتى لقد نعته أحدهم بأنه خليط من الشيطان والقديس ! ــ فهو شيطان برغم طيبته ودماثته : اذا ما هاج موريس وماج وهدر كالفحل ، لجأ شو الى الابتسام ، برقة وعذوبة ! ومع ذلك كان موريس يحب شو الشاب الألمعى كثيرا .. بل لقد توسط بنفوذه الكبير فى دوائر الفن والأدب والصحافة فرتب لشو عملا فى النقد الفنى والمسرحى يدر عليه جنيهين عن كل ألف كلمة ، أى بحساب مليمين للكلمة الواحدة . وهو أجر هزيل جدا حتى فى شباب شو .. ولكنها كانت البداية التى لفتت اليه الأنظار وأتاحت له أن يفتن الناس بسخريته اللاذعة فى النقد الذى يشبه التشريح !

ويقول شو فى مقال كتبه بنفسه بعد تلك الفترة بأربعين سنة ، عن قصة تعرفه الى « ماى » ، ابنة موريس : « حدث

هذا مساء يوم الأحد ، بعد أن فرغت من المحاضرة وتناول العشاء على مائدة موريس ببيته المشهور فى (هامرسميث) ، ووقفت على عتبة الباب والتفت مودعا . **فى تلك اللحظة أقبلت ((ماى)) من قاعة الطعام الى البهو ، ونظرت اليها مبتهجا بجمال ثوبها وجمال شكلها اللطيف الأنيس ، ونظرت هى الى بامعان شديد ، وعن عمد أومأت بعينيها ايماء الاقرار والرضا . وأدركت على الفور أن خطبتنا قد تمت فى السماء على طريقة أهل التصوف** .. وأن اتمامها بالزواج لا بد أن يتأخر ريثما تزال جميع العقبات المادية ويكون فى مقدورى استنقاذ وضعى من مهاوى الفاقة والفشل . أما وضعى كعبقرى فلم يكن يخالجنى فيه شك ! ولم أكن أشك فى الوقت نفسه فى أنها كانت تعرف أيضا قدر نفسها ، وبالتالى تعرف القدر الحقيقى لكل انسان . ولم يخطر لى ببال اطلاقا أن من الضرورى أن أقول لها شيئا بلسانى . وأما والدها وليم موريس فلم أر من اللائق ولا من الممكن اجتماعيا أن أذهب اليه لأصارحه بأنى استغللت ادخاله اياى الى بيته بصفتى رفيقا اشتراكيا لايقاع ابنته الصغرى فى حبائل الزواج بشخصى المفلس !.. **بل ولم يخطر ببالى فضلا عن هذا أن اخلاصى لهذه الخطبة الصوفية السماوية الصامتة يمكن أن يتعارض مع السياق العادى لعلاقاتى بالنساء الأخريات !** أجل لم تبدر منى بادرة على الاطلاق ، لأنه لم يداخلنى أدنى شك فى أن ارتباطنا قد سجل فى صحيفة كل منا ، هناك فى السماوات العلى ! وعلى هذا لم يحدث شىء على الاطلاق بيننا ، فيما عدا اجتماعنا فى الاضطرابات الاشتراكية بين الحين والحين ، كذى قبل . »

والواقع أن دخل شو — عندما حدثت هذه « الرؤيا » الرومانسية ! — كان قد وصل الى أربعمائة جنيه فى السنة ،

من كتاباته الصحفية فى النقد والصحافة الفنية . ولكن المستوى فى بيت آل موريس الأثرياء كان فوق ذلك بكثير ، بحيث تبدو الحياة على مستوى الأربعمائة جنيه غاية فى الحقارة !

أفظع نكث للعهد ، فى تاريخ الرومانسية !

◉ **ويستطرد** شو قائلا : « ولئن لم أقدم على الزواج من الابنة الحسناء ، فقد كان فى وسعى على الأقل أن أملأ عينى وأبهج قلبى بمحاسنها ، وأنا خلى البال من التكاليف والقيود . ولكن هذه الخفة لم تلبث أن لقيت جزاءها ، اذ علمت فجأة - لدهشتى البالغة حد الذهول ، ولدهشة والدها وليم موريس أيضا فيما أرجح - أن البنية الحسناء تزوجت من أحد الرفاق ، وكان اسم ذلك المحظوظ « هنرى سبارلنج » ، وهو شاب اشتراكى كان موريس قد أوجد له عملا فى مطبعة (كلمسكوت) . والواقع أن ما حدث كان طبيعيا للغاية ، وأن الخطأ كان خطئى أنا وحدى ، لأنى اعتبرت خطبتنا الصوفية السماوية الصامتة أمرا مفروغا منه . ومع هذا فقد اعتبرت حينئذ - وما زلت أعتبر ، رغم أنف المنطق السليم والبداهة السوية - أن زواج ماى موريس أفظع نكث للعهد فى تاريخ الرومانسية كله ! ولا سيما أن « سبارلنج » كان أقل جدارة منى ، فهو ليس خيرا منى من الوجهة المالية ، كما أن احتمال لمعانه فى المستقبل كان أقل بكثير مما ينتظر لى ، ولو أنه كان مؤمنا راسخ الايمان بالاشتراكية ، ومتحدثا منتظما فى الندوات الاشتراكية ، ينافح بحماسة عن « القضية » ، وخلقه لا غبار عليه . وهكذا لم يكن بيدى حيلة الا قبول الأمر الواقع . وبدا لى أن خيالى الذى لا يعرف له حد قد خدعنى فى مسألة الخطبة المسجلة فى السماوات

العلى ! الا أن العكس لم يلبث أن تبين لى : فالانغماس فى الدعاية السياسية ، والانهماك فى الأنشطة الفنية ، وما يستتبع ذلك من اضطراب التغذية وأحوال المعيشة وأوقاتها عموما ، نتج عنه ارهاق شديد لجسمى وأعصابى ، مما أحوجنى الى راحة عاجلة وتبديل للجو . **ودعانى العروسان الشابان الاقامة معهما فترة من الوقت . وقبلت الدعوة ، فألفيت نفسى مستمتعا بالراحة وحسن الرعاية فى بيتهما الذى يحمل طابع موريس السحرى ، لأن ((ماى)) كانت قد ورثت حاسة والدها الجمالية وموهبته الأدبية . وسار كل شىء على ما يرام زمنا فى هذه العائلة التى صارت ثلاثية بوجودى .**

وكانت الزوجة جذلة بوجودى معها ، والزوج بدوره كان مسرورا لأنى كنت أشيع المرح والانشراح فى نفسها ، ولأن وجودى جعلها تبدع وتتفنن فى الطهو ، على مستوى لا يستثيره وجود زوج ليس الا ! ولعل هذه الفترة كانت أسعد فترات الحياة بالنسبة لثلاثتنا !.. ولكن ، بمرور الوقت ، اذا بخطبتى المنتهكة غدرا تثار لنفسها ، وكانت الظروف قد مهدت لذلك بأن جعلتنى محور البيت منذ حلولى فيه . ولما عوفيت تماما من الارهاق ولم يبق ثمة مبرر لمكثى مع الزوجين ، اللهم الا ان كنت أريد أن أظل عالة متطفلا عليهما بصفة دائمة ، اذا بزواجها الشرعى يتقوض وينهار ، شأن كل بناء يقوم على أساس من الأوهام !. وصار على اما أن أحول خطبتى السماوية الى زواج حقيقى ، أو أختفى عن الميدان تماما ! **وكان سبارلنج من جهته يعتقد ويعلن أن صديقه وضيفه ((شو)) قد خان عهده ، وصارح أصدقاءه بأن شو نذل غرر بزوجته ، فلما تم له الاستيلاء على لبها كل الاستيلاء اختفى فجأة ،** (فلم تكن لديه بالطبع فكرة عن الخطبة المسجلة فى السماء !) .. والحقيقة أن هذه الخطبة كانت كل

ما يربطنى بماى ، **فلما صار الاحتفاظ ببراءة هذه الخطبة وطهارتها ، غير ممكن ، تعقد الموقف جدا : فالزوج قبل كل شيء صديق وفى ، وكان سلوكه معى لا غبار عليه فى جميع الأوقات . واذن فالنزول ببيته ثم سلبه زوجته عمل ينافى احساسى بالشرف ، ولا يغتفره المجتمع اطلاقا** . فانى وان كنت حر الفكر الى أقصى حد يصل اليه آدمى سليم العقل صحيح النفس ، فيما يتصل بأمور الدين وأمور الجنس ، الا أنى لم أكن ممن تخدعهم خزعبلات البوهيمية الفوضوية التى كانت متفشية أشد التفشى فى بيئات الاشتراكيين والأوساط الأدبية فى ذلك الحين ، بل كنت على يقين من أن انفجار الفضيحة خليق بأن يلحق الأذى والخسائر بكلينا ، وبالقضية الاشتراكية أيضا .. ولعله كان يسهل — فى ضوء ما صرت اليه من مكانة ويسر بعد ذلك — أن أناقش ماى وزوجها ، بهدوء ودى ، فى أمر الطلاق ، كما يجمل بأصدقاء قدامى .. بيد أن ظروفى يومئذ لم تكن تسمح لى بالزواج . ثم انى كنت دائما — وما زلت — مبغضا لفكرة الزواج بالطرق العادية المبتذلة ، فما بالك بزواج أساسه المساومة ، وشبهة المنفعة المادية (فموريس كان ثريا) . وما أبعد هذا كله عن الخطبة السماوية الصوفية التى ربطتنى بماى ابتداء !

.. وهكذا كنت كلما أمعنت فى تقليب المسألة ، تبينت قبحها وسماجتها ، فكففت عن بحثها ، واختفيت كما تتلاشى الأشباح ! **ولكن الرواية لم تتم فصولا ، والمأساة تحولت فجأة الى مهزلة ، لأن الزوج — الذى لمس برودا لدى زوجته ازاء أى اتصال جنسى به — اختفى أيضا !** .. وكان البيت الذى ظل مزدهرا طروبا على عهد الأسرة الثلاثية ، قد بات لا يطاق على عهد الأسرة الثنائية !.. وهكذا شقى الزوجان المسكينان عندما انسحبت من بينهما . ولست أعلم شيئا عن التفاصيل ،

ولكنى أعرف فقط أن الزوج فر الى أوربا ، ورضى أن ترفع ضده دعوى الطلاق باعتبار أن الخطأ صدر عنه ، مع أن الوضع القانونى ـ فى ظل ظاهرة البرود الجنسى ـ كان يسمح له بعكس ذلك ، (وكان هناك من أعدوا له العدة لرفع الدعوى لو شاء !) .

.. وعلى أثر طلاقه تزوج بامرأة أكثر ملاءمة لطبعه ، وسعد معها كثيرا ، ولكنه بدلا من أن يشكرنى لأنه لولا تدخلى لما انتقل الى أحضان هذه المرأة التى أسعدته ، فانه ظل يغلى بالحقد على حتى نهاية حياته ! .. أما الحسناء « ماى » فانها أخرجته من حياتها ، بل انتزعته من جذوره انتزاعا ، ندما على سوء اختيارها وتكفيرا ، واستردت اسم عائلتها . ولكنها فى الوقت نفسه ألغت وجودى أنا كذلك من حياتها . ولعلها خيرا صنعت ! »

المرأة التى أعلنت عليه الحب !

● **ولم تكن** ماى موريس الأولى ، فى حياة شو ، ولم تكن الأخيرة .. ـ فقد كان من دأبه أن يشغف غراما بكل ممثلة مبدعة تقوم بالبطولة فى رواية له ، ولكنه كان يصر على الابتعاد عن كل ملامسة ، ما استطاع ! .. ولذا رفض دعوة آلما موراى ـ بطلة روايته « الانسان والسلاح » ـ لمناقشة الدور فى بيتها ، وكتب اليها يقول : « ما من امرأة أمتعتنى ـ كما أمتعتنى أنت بتمثيلك أمس ـ الا ووقعت فى غرامها وقوعا عنيفا . فدعينى بعيدا عن بيتك ! »

والعبارة الأخيرة من دعابات شو المأثورة التى كان يستخدمها مع كل امرأة يتحبب اليها ـ وكان يتحبب الى كل امرأة جميلة تقريبا ! ـ وهى مغازلات بريئة تشبع خياله الوثاب ، الا أن تأثيرها على النساء مدمر فى بعض الأحيان ،

لأنهن لسن مازحات خياليـات مثله ، ولا يرضـيهن الكلام والأحلام التى كانت خير زاده ، وأمتع لذاته !

ومن بين ضـحاياه الكثيرات « آنى بيزانت » ، أخطب خطيبات جيلها . وكانت على نقيضه ، جادة لا تعرف الفكاهة ولا تفهمها . ما أسرع ما تتحمس لآلهة فكرية ، وما أسرع ما تتركها لآلهة جديدة بمثل حماستها السـابقة . بحيث يخسف الاله القديم فى ضوء الاله الجديد كأن لم يكن ! ولقد دهش من سمعوها تبشر بالالحاد تحت تأثير « برادلو » ، ثم تبشر بالتطور تحت تأثير « آفلنج » .. ثم تبشر بالاشتراكية تحت لواء شو .. وأخيرا ، اذا بها تنتهى الى التبشير بالمحبة الالهية تحت راية « مدام بلفاتسكى » !

وعندما التقت « آنى » ببرنارد شو أول مرة ، أبغضته بغضـا شديدا بسبب مرحه وخفتـه . وفجأة انقلبت من الخصومة فى الرأى — وهى خصم خطير فوق المنابر — الى التأييد الشديد ، وطلبت اليـه أن يزكيها لعضوية الجمعية الفابية الاشتراكية . وبعد ذلك دعته لقضاء السهرة فى بيتها حيث شـاركته العزف الثنائى على البيانو . وبدأت تنشر رواياته الطويلة — التى رفضها الناشرون — مسلسلة فى مجلتها « ركننا » (أور كورنر) وعينته ناقدا فنيا بها . ولما غضب لذلك ممولوها الماليون ظلت تدفع مرتبه من جيبها الخاص وهو لا يدرى ، فلما عرف ذلك أصر على حذف اسـمه من كشف المرتبات ، وواصل الكتابة لديها بدون مقابل . وكانت تصحبه دائما عنـد الانصراف من النـدوات السياسية الى البيت ، ولكن تلك المرأة الموهوبة فى الخطابة كانت صفرا على الشمال حين تغادر المنبر ، فلا يفتح الله عليها بكلمة ، ولا تفطن لنكتة . وذلك شىء لا يطيقه متحدث خفيف الروح مثل شو ، ومن ثم لم يلبث أن سئم صحبتها . فما لم يعزفا معا على

البيانو ، لم يكن يدور بينهما حوار حى ، وانما يسود الصمت السمج المرهق للأعصاب . **وأخيرا ألفت نفسها تنتظره كالعادة فى المساء ، ولكن بغير جـدوى .. وبدأت الهجوم الصريح للاستيلاء على هذا المتأبى !**



الممثلة التى أحبهـا شـو فى شـبابه : « ايلين تيرى » ، أشهر ممثـلات عصرها . (من تصوير أشهر مصورات عصرها ، « جوليا مرجريت كاميرون »)

.. ولما كان زوجها على قيد الحياة ولم يطلقها ، فلا سبيل الى زواج شرعى مع شو ، ولكن ذلك لم يفت فى عضدها ، بل دبجت عقدا للزواج العرفى طلبت اليه أن يوقعه بامضائه ثم يعيشان معا كما يعيش الأزواج . ولما قرأ فقراته صاح بها :

— أعوذ بالله ! هذا شر من جميع العهود والمواثيق الموزعة على كل كنائس الأرض ! وخير لى ألف مرة أن أتزوجك زواجا شرعيا . خير لى وأرحم !

وأصرت على عقدها الذى كانت تتوقع منه أن يوقعه بمداد من دماء قلبه ، فلما ضحك من نصوصه وهزأ بها طلبت منه جميع خطاباتها .. فردها اليها ، وردت اليه خطاباته ، وانتهت علاقتهما !

.. ويقول شو أن ساعة الفراق هذه كانت « ربع ساعة فى غاية السوء » ! ولكن المسألة بالنسبة للسيدة المسكينة كانت أكثر من « ربع ساعة فى غاية السوء » .. فها شعرها قد شاب بعد ذلك بسرعة ، كأنما سرت النار فى كومة من القش ، وبلغ بها الأمر أن فكرت فى الانتحار !

شو وزوجات الأصدقاء !

● **وبعد** تلك « المغامرة » ، أو فى أواخر مراحلها ، كانت زوجة زعيم بارز من زعماء الجمعية الفابية آخذة فى الاستسلام لفتنة برنارد شو . انها « مسز هيوبرت بلاند » ، الشاعرة والقصصية ، وكان زوجها ضابطا متقاعدا عنيدا ، ذا نزعات « ميتافيزيقية » على منوال الشاعر كولريدج ، ثم انتهى به الأمر الى اعتناق الكاثوليكية . وكان له من الشخصية والعناد وصلابة الرأى ما مكنه من حفظ التوازن داخل مجلس ادارة الجمعية ، مع أنه كان بمثابة « حزب مستقل » بمفرده ضد الأغلبية المنحازة الى « وب » . وكان هو على طرف النقيض من « وب » فى الطباع والآراء . ولكم

أوشك الخلاف المتصل بينهما أن يصل الى حد العراك ، لولا تدخل شو بينهما لاعادة السلام بنكتة تبدد جو الأزمة المتوتر ، وان لم تفلح طبعا فى اقامة الوئام بين النقيضين !..
واستطاع شو أن يحتفظ بمودة « بلاند » لأنه كان يعامله نفسيا لا منطقيا ، وعلى أساس من هذا الفهم كان يشاركه فى رياضة الملاكمة ، وينازله أحيانا ، وسعى لالحاقه بالعمل فى احدى الصحف ناقدا رياضيا ، ثم كاتبا استطاع أن يحقق لنفسه شهرة صحفية .

وكانت زوجة بلاند ، الشاعرة الرقيقة التكوين ، تعانى من قوة زوجها وحيويته البدنية الخارقة ، اذ كان يرهقها بمطالبه الجسدية الملحة المتلاحقة . ولم يكفه هذا ، بل ألقى على عاتقها رعاية « زوجتين اضافيتين » كان عليها أن تساعدهما فى الوضع ومتاعب الأمومة (غير الشرعية) ، لأن فحولته الهرقلية لم تكن تكفيها زوجة واحدة يلتزم بالاخلاص لها .. وبالتالى لم يكن من العدل أن يطالب زوجته الشرعية بالوفاء له وحده ! ولم يكن لديها – من جانبها شخصيا – أى تحرج من الوقوع فى غرام برنارد شو ، الذى وصفته بأنه « عادى الوسامة ، ولكنه من أشد الرجال الذين التقيت بهم فتنة وجاذبية » : فان قامته المديدة الرشيقة ، وصوته الغنى ، ولهجته الايرلندية ، أحدثت أثرها فى نفسها وحواسها على الفور ، ولم تتردد فى التعبير عن مشاعرها هذه نحوه فى قصائدها تعبيرا كاملا صريحا ! ولم تكن غافلة عن عيوبه ، واستهانة الرجال أو تظاهرهم بالتقليل من شأنه – وان كانوا يعجبون به فى سرائرهم ! – وكان أهم عيوبه فى نظرها كثرة اطرائه للنساء اطراء مكشوفا . ولكم حاولت تجسيم عيوبه لتتخلص من تأثرها به . بيد أن هذا كله ذهب أدراج الرياح ، واكتسحت عاطفتها المشبوبة كل شىء ، فامتلأت أشعارها

بالحديث عن « وجهه الذى يثير الجنون » .. وجعل شو يقرأ القصائد ، ويسوس عواطفها برفق الى شاطىء الأمان ـ الأمان لها ، وله أيضا ! ـ وعلق على ذلك بقوله :

ـ انه لمن الطبيعى أن يقيم المرء علاقات ودية مع زوجات أصدقائه ، ولكنه ـ ان كان عاقلا حصيفا ـ يجب أن يخرج الجنس من دائرة هذه العلاقات تماما !

والحقيقة أن بلاند فهم شو تمام الفهم ولم يسىء به الظن مطلقا ، وقدر له ولاءه وصداقته المخلصة . ورغم تفرق الشمل منذ سنة ١٩١١ ، الا أن بلاند ظل على ثقته بشو : فلما حضرته الوفاة بعد ذلك بسنين طويلة ، وساوره الشك فى كفاية ما خصصه لتعليم ولده الأثير لديه فى جامعة كمبريدج ، قال لابنته :

ـ ان لم يكف هذا المبلغ ، الجأى الى « شو » كى يقوم بالباقى !

وأما علاقة شو بمسز بلاند فانتقلت ـ بفضل نزاهته وحسن توجيهه وكياسته ـ الى صورة من الصداقة المتينة الباقية على الزمن . وكانت تقول كلما أعربت امرأة عن بغضها لشو : « هذه شنشنة أعرفها من تجربتى مع نفسى ! وأراهن أنها غارقة فى حبه الى أذنيها ! »

.. وكان هذا أيضا رأى عدد كبير من النساء ، فهذه « مسز سدنى وب » تصرح بأنه ما من امرأة ـ فيما عداها شخصيا ـ يمكن أن تقاوم سحر شو . وهى فى الوقت نفسه مقتنعة بأنه يغازل ويداعب المدلهات به ، لا لشىء الا الحصول على « مادة » تصلح لمسرحياته !.. والواقع أن شو يعترف بذلك بصورة أو بأخرى حين يقول :

ـ ان النساء لا يفتقدن عندى الأشياء الصغرى ، بل الكبرى ! فجيوبى ملآنة دائما بما يمكن أن نسميه « الفكة »

الصغيرة من عملة الحب ، وعمليات الغزل والتودد . ولكنها نقود سحرية ، وليست نقود حقيقية ! ذلك أنى مغرم بالنساء ، شغوف بهن ، لكن شغفى ينصب على أمور تختلف كل الاختلاف عن « الحب » ، و « الجنس » !.. ولدى معظم النساء يكفى رجل واحد ، وعمر واحد ، كى تتم لهن الدنيا التى ينشدنها بأكملها ! أما أنا فأحتاج الى ملايين البشر والى أحقاب تاريخية برمتها كى تستحوذ على اهتمامى الجدى ، وتجعل الآلة الكاتبة (فليس برنارد شو سوى آلة كاتبة) تعمل بأقصى سرعتها **وبكل طاقتها** . فما الحب عندى الا تلهية فراغ وترفيه .. !

ولكم شكا شو من أن النساء اللواتى وقعن فى غرامه كن يقلقنه ويزعجنه ويعذبنه ، وفى الوقت نفسه يتعذبن ويشقين ويفقدن راحة البال ويتشاجرن معه ــ حقا لا تمثيلا وتصنعا ــ أما هو فكان يحذق أن يتصنع الغضب والشجار ، وما أكثر ما لجأ الى ذلك !

وكانت مسز سدنى وب من المعجبات بقدرته على التمثيل فى تلك المواطن ، وقد وصفت هذه القدرة بقولها : « ما من شخص ، لا « يعيش » الدور حقا ، يستطيع أن يمثله بهذا الاتقان . **ولكن ما من امرأة يمكن أن تقنع بعشق (شبح) ، وشو فى مسائل الغرام هــذه كان يتحول الى شبح حينما يجد الجد وتصر الواحدة منهن على تحقيق العلاقة العاطفية تحقيقا ماديا .. فاذا به ليس شخصا حقيقيا !** وتقوم القيامة طبعا ! »

تجربته الأولى .. فى عالم الجنس !

● **والواقع** أن ردود فعله الجسدية فى مجال الجنس لم تكن على غرار ردود الفعل المألوفة عند الرجل العادى . وقد قال صراحة فى هذا الصدد ، ذات مرة :

– لم أقع فريسة التأثير الجنسى الطاغى الا مرتين فى حياتى كلها : المرة الأولى فى شبابى ، والمرة الأخرى فى أواسط عمرى . وقد ظللت الى تمام التاسعة والعشرين من عمرى « بكرا » مستمسكا بالعفة تمام الاستمساك ، اللهم الا فى الأحلام اللاارادية ، وهذه أيضا لم تكن كثيرة الحدوث ، بل نادرة أشد الندرة . ولكن عفتى هذه لم تكن نتيجة تحرج خلقى على الاطلاق !

وهو يعزو هذه العفة الى استنكافه الاتصال بنساء الطرقات . والى أن مظهره كان يدل على فقر و « بهدلة » عمومية وهو شاب تعوله أمه رغم اقترابه من الثلاثين ، وليس له مورد يساعده على التأنق ، فلما وجد أول عمل فى الصحافة واشترى ثيابا جديدة (ليست فاخرة ولا أنيقة ، ولكنها نظيفة ولائقة) **لم تتردد احدى تلميذات أمه فى الغناء والموسيقى – وهى أرملة تدعى « جينى باترسون » – فى دعوته الى الشاى .. وهناك ، قبل أن تدعه يكمل فنجان الشاى الأول ، كانت قد « اغتصبته » عمليا ! وهكذا – كما يقول – فقد بكارته ، بعد تماسك طويل ..!**

وانه لمن الطريف أن نورد هنا تعليقه على ذلك الحادث الفريد :

– لقد سمحت لهذه الأرملة المدربة ، الملتهبة الحواس ، المقتحمة التى لا تتردد فى المبادأة كأنها رجل .. سمحت لها أن تهتك عفافى المصون ، لسبب فكرى على الأرجح ، وهو رغبتى فى معرفة هذا الشىء الذى كان يراودنى فضول شديد بصدده ، لأنى كنت أجهل هذا الجانب من النشاط الحيوى الأساسى عند زملائى من أبناء آدم . ولما كنت لا أعتبر نفسى – على الأقل حتى ذلك الحين – ذكرا جذابا بشكل خاص ،

فقد أدهشنى اشتهاؤها لى بهذا الشكل ، الى حد هجومها على لتنالنى عنوة واقتدارا ، شأن من ليس لها على ما تريد صبر ، لشدة ما بها من الرغبة . ولكنى تمكنت من اخفاء دهشتى واستطعت أن أحفظ المظاهر بنجاح تام . وكان الفضل يرجع اليها فى « قيادة العمليات » تلك المرة الأولى ، مما لم يترك فرصة لافتضاح جهلى بموضوع البحث ! **ولم يعد يدهشنى ـ بعد هذه التجربة الصارخة المفاجئة ـ كلما تركت وحدى فى حجرة مع امرأة حساسة ، سريعة التأثر بجاذبية الرجال الجنسية ، أن تلقى بذراعيها حول عنقى ، وتصارحنى أنها تعبدنى حبا !** ولما كنت أعتقد أن الخبرة الجنسية عامل ضرورى لتتميم النمو البشرى ، فقد استحسنت أن أحصل على هذه التجربة من أستاذة فى هذا الفن ، لديها الكثير مما تفضى به وتلقنه دفعة واحدة ـ وفى أقصر وقت ممكن ـ لشاب جاهل مثلى ، بل « متخلف النمو » فى هذا الميدان عن معظم أقرانه . وهكذا تركتها تغوينى ، وتطيح بعفتى ، لأغراض « تعليمية » قبل كل شىء !

القصة التى وصف فيها حادث « اغتصابه » !

● **وعلى لسان** « دون جيوفانى » فى قصة قصيرة كتبها « شو » بعد ذلك « الحادث » بسنتين ، يعلق على هذه التجربة بقوله :

« لقد أدهشت الأرملة غباوتى ، فلم تجد بدا من اللجوء الى الهجوم المباشر ، فألقت بنفسها على .. وتملقت المفاجأة غرورى ـ ولكنها أذهلتنى فى الوقت نفسه ! ـ ولم تواتنى الفظاظة الكافية لدفعها بعيدا عن صدرى ، فتركتها تمضى فى

اندفاعها .. ثم ظللت بعد ذلك ـ لمدة شهر على وجه التقريب ـ أستمتع بلا تحرج باللذائذ التى كانت الأرملة تفيضها من شخصها الأنثوى على . وكنت أحضر اليها كلما خلا وقتى من الانشغال بما هو أهم وأجدى من ذلك العبث الجنسى الجارف . ومع أن الأرملة الشابة لم تجد ـ طوال سنتين بعد ذلك ـ ما يبرر شكواها من اخلاصى لها ، **فقد وجدت الجانب الرومانسى فى تلك الممارسة الجنسية العنيفة ـ التى يبدو انها لا تفقد جدتها ورونقها بالنسبة لها ـ ينحدر بسرعة الى السخف وتجاوز الحدود المعقولة** ، بل وجدته أيضا شيئا متكلفا بالنسبة لى ، وخاليا من الصدق الوجدانى ، اللهم الا فى لحظات متباعدة ـ ولكن تلك المرأة لم تكن بالتى تقنع باللحظات المتباعدة ! ـ وفى تلك اللحظات وحدها كان الهيام يضفى عليها الجمال ، جسدا وروحا .. وسرعان ما تحول سرورى بتلك اللقاءات الى تقزز . وعندئذ أساءت تأويل نفورى ، وبدأت تصب على شواظ غيرتها ..! »

والحقيقة أن « جينى باترسون » لم تكن امرأة نهمة لا تعرف الشبع جنسيا ، فحسب ، بل كانت أيضا بركانا من الغيرة الجنونية . ولما كان شو لا يكف عن « المغازلة » ، فان غيرتها كانت تجد دائما ما يشعلها !. ولكن ذلك أجدى على شو كثيرا ، لأنه زوده بالمادة الغزيرة لتصوير مشاحنات الغيرة تصويرا واقعيا ومتنوعا فى قصصه ومسرحياته ، حتى صار ذلك من أهم خصائصه الممتازة .

غيرتها ، ومشاجراتها ، توحى له بمسرحية !

● **واذا** تأملنا الفصل الأول من مسرحية شو التى أطلق عليها عنوان « المغازل » ، نجده مستوحى من مشاجرة فظيعة للغاية بين الأرملة الغيور وبين الممثلة الحسناء « فلورنس

فار » . ويقول شو ، بصدد مشاجرات « مسز باترسون » بدافع من غيرتها : « اننى خلال تلك المشاجرات لم أكن أفقد أعصابى ، بل كنت أحتفظ بضبط النفس ساعات وساعات ، بيد أن التوتر العصبى الذى تحملته مقابل ذلك كان مرهقا جدا ولا يمكن أن ينسى .. ولم أر مسز باترسون بعد ذلك مطلقا ، ولا رددت على أى خطاب من خطاباتها وبرقياتها التى انهمرت على كالاعصار العاصف على مدى الشهور التالية . ولم تغفر هى لى ذلك قط . أما أنا فلم أحمل لها أى ضغن ، بدليل أننى تركت لها فى وصيتى مائة جنيه ، لم يقدر لها أن ترثها عنى ، لأنها ماتت منذ وقت طويل . وهذه الهبة تركتها لها ــ أو كنت أريد أن تنالها منى ــ لرقتها معى وتلطفها خلال اتصالاتنا الحميمة ... ولكن شكرى لرقتها شىء » **وشىء آخر أن أمضى فى حياتى تطاردنى غيرة امرأة لا تتحكم فى مشاعرها ، وتثير شجارا سوقيا كلما كلمت امرأة أو داعبتها بكلمة مجاملة !.. والحق أنها كانت عارمة الغيرة فى كل شىء ، لا فى أمور الجنس فحسب** . وأنا انسان يجيد ضبط مشاعره ازاء الاساءات العادية . ولكن الويل كل الويل لمن يتجاوزون فى اساءاتهم ــ مثل چينى باترسون ــ حد الاحتمال .. »

.. وفى خطاب الى فلورنس فار (بتاريخ أول مايو سنة ١٨٩١) كتب شو يقول : « ان الزهو الأبله الذى يعتريها عند كل انتصار ، كلما أخذت منى بغرور الغزاة الفاتحين ما أقتطعه لها من أحشائى ، لا يلبث أن يتحول الى صواعق تنقض على مكانتها عندى .. والأنكى من ذلك سيل شتائمها ، كقولها : « ..... » أوه ! ولكننى لا أستطيع أن أسطر هذه الألفاظ على الورق ! عليها اللعنة ! »

واختفت چينى باترسون من حياة برنارد شو بعد بضع سنوات من « الممارسة الجنسية العاصفة » . ومع أنها لم

تغفر له قط هذه القطيعة ، فانها عندما توفيت ، سنة ١٩٢٤ ، تركت كل ثروتهـا لأحد ذوى قرباه ، بدلا من ابن أخيها ، الوريث الشرعى لها !

« فلورنس فار » .. العشيقة المثالية !

● **وأما** « فلورنس فار » ، سبب هذه القطيعة ، فكانت الممثلة التى أدت دورين رئيسيين فى مسرحيتين من مسرحيات شو الباكرة ، وكانت لها مع شو علاقة جنسية حميمة .. كما كانت لها شخصية فريدة فى بابها ، يصفها برنارد شو بقوله :

– هى امرأة شـابة من العـاملات ، ذات طابع عمـلى واستقلال فى الفكر والسلوك . وقد أتاح لها هذا كله حرية استثنائية فى صلاتها الاجتماعية فى المحيط الفنى بلندن . ولما كانت ذكية بارعة ، لبقة ، مرحة ، دمثة ، وبارعة الحسن الى أقصى حد ، لم يكن غريبا أن يقع كل أصدقائها الرجال فى هواها . وتواتر ذلك بكثرة حتى ضاق صـدرها ونفـد صبرها ازاء التمهيدات الأولية المترددة التى يلجأ اليها غير المدربين من عباد حسنها ، ولذا كانت عندما تجد أحدهم وقد بدا عليه أن نفسه تحدثه بتقبيلها ، لكنه متردد لا يدرى هل يقبل أو يحجم ، وتأنس من نفسها أنه غير قبيح أو منفر الى الحد الذى يجعل تعطفها عليه واباحة رغبته أمرا ثقيلا على نفسها أكثر مما يجب ، عندئذ تحسم الأمر كى تنتهى من هذا الازعاج ، وتجر المتيم المتلعثم من معصمه بعنف قائلة له : « قم بنا كى ننتهى من هذه المسألة ! » .. حتى اذا « انتهت المسألة » (أحيانا بالقبلة المشتهاة ، وأحيانا بما هو أكثر !) ، قالت له : « الآن وقد هدأ بالك ، لنجلس ونتحدث بصـفاء ذهن فى أمور أعم من هذا .. فى الفن . فى المجتمع . فى الفكر . فى السياسة ... »

ولا عجب أن يجد شو فى هذه « المرأة اللطيفة ، الودود ، السمحة ، ذات الحاجبين نصف الدائريين ، تغييرا مستحبا ، وعشيرا يختلف كل الاختلاف عن چينى باترسون ، **فهى تنظر الى الجنس النظرة التى يتمناها كل رجل « يستملح » المرأة التى لا يكن لها حبا حقيقيا !.. فتعطيه المتعة الجنسية بسماحة خالية من سماجة الغيرة والتعلق المزعج . فهى عاجزة تماما عن الغيرة ، ولم تسبب لى قلقا أو هما .. »**

وقد تسامع الناس أن لدى فلورنس فار عددا كبيرا من رسائل شو ، ولما سئل فى ذلك قال بدهشة :

ـ انى لم أكتب اليها رسالة واحدة ، ولو من سطر واحد . فقد كنت أرى فلورنس فار كثيرا جدا ، وفى فترات متقاربة للغاية . ولم تكن تقيم من الوزن للعلاقات الغرامية كما تسمونها ـ وهى فى الواقع اتصالات جنسية محضة ـ الا بقدر ما كان رجال من أمثال كازانوفا وفرانك هاريس يقيمون وزنا لهذه الاتصالات : مجرد ملهاة ليست لها جذور عميقة ، ومع ذلك فهى متعة مطلوبة لما تحدثه من لذة حيثما اتفق ... ذلك أن « فلورنس » كانت أطيب قلبا من أن تضن على أى رجل تستلطفه بأى شىء يطلبه منها ، صراحة أو تلميحا !.. وأحسبها كانت معتزة مزهوة بقائمة من ضاجعتهم ، وهى لعمرى قائمة طويلة جدا ـ ففيها أربعة عشر اسما فى سنة ١٨٩٤ وحدها ، على سبيل المثال ! ـ وكنت قد قابلتها فى احدى السهرات السنوية التى تقيمها جمعية « هامرسميث » الاشتراكية . وكانت حينئذ تتعلم هواية التطريز مع « ماى موريس » . وتوثقت صلتى بها قبل أن تمثل « الانسان والسلاح » .

ولكن اتضح بعد ذلك أن الذاكرة خانت شو بعض الشىء ، فقد نشرت بعد وفاته رسائله القليلة الى فلورنس فار ، وفيها

أحيانا عبارات شاعرية بريئة لم يكتب مثلها لأى من « الين تيرى » أو « مسز كامبل » ـ وكانت علاقته بهما خالية من الجنس ـ ومن هذه العبارات المتألقة فى رومانسيتها قوله :

« ان هذا لدليل على أنك أعز وأفضل حب فى حياتى ، فقد جددت شباب قلبى ، وصرت أقدس مباهج روحى ، وكنزى ، وذخرى ، وخلاص نفسى ، وواحتى ، ومثوبة اجتهادى ، والصغرى المحبوبة الأثيرة بين أطفالى ، ولمحتى الخفية لأنوار السماء ، وملاكى ! »

والواقع أن صلة شو الجنسية بفلورنس فار كان لها من ضآلة التأثير الوقتى عليه مثلما كان لهذه الصلة عليها من أثر ، وفى هذا يقول :

ـ على المدى الطويل ، ومن وجهة الدوام والجد أعترف أن غرامياتى المتحققة فى الجسد كانت تستهلك ذاتها بهذا التحقق ولا يقام لها وزن أو اعتبار بالقياس الى الغراميات التى لم تتحقق جسديا ، أو التى كانت تنتهى بالقطيعة أو النبذ قبل ذلك التحقق ..!

اعترافات .. لا تنقصها الصراحة !

● **ولا عجب !** فهو يرى الجنس أساسا لا يركن اليه ، ولا أمل فيه للعلاقات الانسانية الدائمة ، وهو لم يفكر قط فى الزواج على أساس الرغبة الجنسية . وقد كتب الى فرانك هاريس ـ بطل « الجنس للجنس » فى الأدب الحديث ـ يقول :

ـ تستطيع أن تحصى على أصابع يدك الواحدة أولئك النساء اللواتى أشبعن رغبتى فيهن . ولكنى لا أعلق ـ نسبيا ـ أدنى أهمية على هذا الصنف الذى نلت منه كل ما اشتهيت ، وانما الأخريات هن اللواتى بقى أثرهن فى وجدانى ..

ومع هذا كان شو يحظى بجانب من المتعة والسرور الوقتى

من تلك العلاقات السطحية ـ « العارضة » ، مهما طال أمدها ـ ويقول بصراحة :

ـــ كنت استعذب الاتصال الجنسي لما فيه من قدرة خارقة على ابداع فيض سماوى من الانفعالات والنشوة بالوجود . وهو فيض مهما يكن وقتيا ، ونشوة مهما تكن طارئة ، يمنحانى أنموذجا صغيرا لما يمكن أن يكون عليه الوجود البشرى يوما ما ، عند ما تصبح النشوة الفكرية فى متناوله ..

ثم يروى العجيب من تصرفاته أثناء الاتصال الجنسى :

ـــ وكنت دائما أطلق أثناء الممارسة الجنسية أعنف التعبيرات وأشدها جموحا عن هذه النشوة الوجودية التى تفتح أمامى الأمل فى قوة النشوة الفكرية يوما ما ... وكان هذا التعبير الجامح يتخذ شكل تأوهات وصيحات وطوفان من الألفاظ .. ذلك انى ـ الى حد ما ـ كنت أرى من حق المرأة التى أضاجعها أن تعرف ما أشعر به من اللذة بين أحضانها ، ولأنى كنت بالتالى أريد لها أن تشارك فى النشوة التى تثيرها لدى . ولكن ما كان أشد خيبة أملى ! فربما باستثناء مرة واحدة فحسب ، لا أعتقد اننى استطعت ابلاغ المرأة التى أضاجعها الى نصف النشوة الجارفة التى أوصلتنى هى اليها ؟!

ولعله لو كان لزم الصمت ، كان حريا أن يصل بهن الى نهاية الشوط المنشود ، لأن ضجته التى لا تتوقعها المرأة من رجل فى هذا الموقف خليقة أن تدهشها وتبدد انتباهها وتصرفه عن التركيز فيما تشعر به ، الى مشاهدة هذا المهرجان غير المألوف !

الذين تحدوا « طغيان » الجنس !

● **والواقع** أن الجنس كان دائما بالنسبة لبرنارد شو ـ حتى فى فورة شبابه ـ شيئا ثانويا جدا فى نظره وفى

سلوكه . كان يهوله أن معظم الناس يستعبدهم الجنس ، ولا يقف عند مجرد استهوائهم ، وكان يعارض هذا الاتجاه الهمجى البهيمى ، ويعجب كيف يرى هؤلاء حياة العزوبة والعفة مستحيلة ، وكيف يرون فى العفيف العزوف عن الجنس مخلوقا أشبه بالوحش الخرافى ؟

— انهم ينسون ، أو يتناسون ، انه ليس الكهنة الرسميون وغير الرسميين فحسب ، ابتداء من بولس الرسول الى « كارلايل » و « رسكين » ، قد تحدوا الجنس وطغيانه الأعمى ، بل أيضا هناك أعداد كبيرة من المواطنين العاديين من الجنسين — اما طواعية أو تحت ضغط ظروف كان من اليسير التغلب عليها — ادخروا طاقاتهم الحيوية لوجوه من النشاط أقل بدائية من مجرد اشباع الغريزة الجنسية اشباعا مباشرا !

والحق أن واجبات شو العامة لم تتعرض مرة واحدة على الاطلاق للاهمال بسبب امرأة ، لأنه ما من امرأة كانت تستطيع أن تستوعب اهتماماته وطاقاته كلها . وهو فى هذا يقول :

— أنا لا أشعر بوجودى الخاص أو ابتهج بحياتى الخاصة الا اذا شعرت بأن هناك موضوعا يستغرقنى ويستخدم طاقاتى . **وكل علاقاتى الغرامية انتهت نهايات مأسوية لأن المرأة عاجزة عن استخدام كل طاقاتى . فكل ما تحسنه المرأة هو الاستلقاء أو الاضطجاع ، ثم تترك لى أنا مهمة تخيل أى شىء أشاء عنها ! والنتيجة التى لا مفر منها أن أشعر بعد قليل بتعاسة رهيبة ، واعياء روحى شامل ، وملل لا يوصف .** وعندئذ لابد لى من تركها لأنشد شخصية أخرى لعلها تكون أقدر على استخدام كل طاقاتى . فكل شىء فى الحياة يقوم على قانون الحاجة . وأنا حاجتى تعجز المرأة عن توفيرها لى . هذا ما أثبتته التجربة المرة تلو المرة !

ابنة « كارل ماركس » تهجره ، لتعشق نذلا !

● **وثمة** مغامرات أخرى فى حيـاة برنارد شو الطويلة ، بيد أنها قد لا تستحق الاشارة اليها هنا ، خلا مغامرة واحدة هى التى قد تفسر لنا لمـاذا كان برنارد شـو لا يغتر مطلقا بالجاذبية الجنسية التى كان يلفى نفسه مصدراً لها بازاء النساء .. فعندما كان فى العقـد الثالث من عمـره (ما بين العشرين والتاسعة والعشرين) وقع فريسة جاذبية شديدة مصدرها « اليانور » ، صغرى بنات كارل ماركس ، وكانت ذات شـكل يسترعى الأنظـار ، وعلى ذكاء خارق . وكثيرا ما رآها فى قاعة المطالعة بالمتحف البريطانى تجمع المعلومات من المراجع وتنسخ الفقـرات التى تطلب منها مقابل ثمانية عشر بنسا فى الساعة ، وهى ما يعادل ثمانية قروش ! ولما اعتنق شو الماركسية وارتقى المنابر دفاعا عن « القضية » ، تم التعارف بينهما باعتبارهما رفيقين اشتراكيين ، **وقامت بينهما صداقة وطيدة حارة ، ولكن قبل أن تتطور العلاقة من جانبها الى شىء أعمق ، ظهر فى الأفق منافس اختطف قلبها وسلب لبها ! واذا باليـانور تعلن الى أصدقائها أنها قررت « احراق مراكبها » والحياة مع رفيق آخر هو الدكتور ادوارد آفلنج ، الحاصل على الدكتوراه فى العلوم .**

وكان آفلنج رجـلا من العسير أن تجد له نعتا مناسبا ، فقـد كان على حد تعبير برنارد شـو نفسـه : « ذا نزاهة لا يتطرق اليها الشك أو الفساد ، باعتباره مناضلا ملحدا ، ومن أتبـاع شـيلى ، ومن أنصـار داروين ، ومن المؤمنين بماركس ، وهو على استعداد للتوجه الى المقصلة ، أو مواجهة الاحراق حيا ، دون أن يتنازل عن قيـد أنملة من معتقداته هذه . أما باعتبـاره مقترض أموال ومحتالا ونصابا ومغويا

للنساء فهو بطل لا يشق له غبار ! ولا يتورع عن النصب على أفقر الناس ليحصل منه على ستة بنسات هى كل ما كان هذا يملكه لقوت يومه ! .. وكان موهوبا فى اعداد طلاب العلوم



جورج برنارد شو ، فى شبابه

و « اعدادى » الطب للامتحانات ، ولكن كان ينقصه الشرف فى تنفيذ التزاماته ، فربما استدانت الطالبات أو تعاون بالاكتتاب فيما بينهن ليؤدين اليه ــ مقدما ــ أجره عن اثنى عشر درسا . وحسنات الحظ منهن من كان كل حظها بعد ذلك « زوغانه » من اعطائها الدروس !.. أما سيئات الحظ ــ ذوات الشكل المقبول ، أو نصف المقبول ــ فكأن يغويهن ! وربما اختلس ميكروسكوباتهن « فوق البيعة » !

وعندما اتفق مع اليانور ماركس أن يعيشا معا ، بدون زواج ، كان متزوجا ، هاجرا لزوجته ، وكانت الجمعية الفابية كلها قد قاطعته لسوء سلوكه الفاضح ، لكن اليانور تحدت الجميع وانضمت معه الى العصبة الاشتراكية التى لم تلبث أن نبذته أيضا . وحاول الانضمام الى حزب الأحرار المستقل فى بداية تأسيسه ، ولكن رئيسه لم يكن بحاجة الى نصابين بين أعضائه !

وأخيرا ماتت زوجة آفلنج ، فاعتقد الجميع أنه سينتهز الفرصة ويتزوج ابنة ماركس ، زواجا شرعيا .. **ولكنه استغل حريته فى الزواج فجأة من فتاة أخرى !.. وهددته اليانور بالانتحار ، فلم يكترث ، ولم يتخذ أى خطوة لمنع هذه المأساة ، بل أنه سهل لها ذلك بكل الوسائل التى لا تدينه !.. وانتحرت فعلا !** وكانت أختها الكبرى قد انتحرت من قبلها لمجرد رغبتها فى تحاشى الشيخوخة ... وهكذا أصبح آفلنج النذل الأكبر فى نظر جميع أحزاب أوربا الاشتراكية . ولكن ذلك لم يزعجه ، ومضى فى سيرته السابقة كأن شيئا لم يحدث . وكان الأطباء قد صارحوه بأنه مصاب بمرض خطير لا شفاء منه ، فراح يمارس كل لحظة من حياته بلا وازع ، منتظرا لحظة الموت بلا ندم ولا خوف ..

رجال دميمون .. عشقتهم النساء !

● ترى ما الدرس الذى استفاده شو من هذه المغامرة المؤسيه ؟ الدرس هو أن آفلنج هذا كان ساحرا للنساء ، بحيث يبدو أنه ما من امرأة استعصت عليه ، مع أنه لم يكن وسيما ، فطوله أقصر من المتوسط ، وله عينا سحلية ، وسحنته فيما يقال تصلح لمتحف للحيوانات ، فى قسم الزواحف ، لا فى قسم الآدميين !.. وقد حرم من كل المميزات الجسدية ، فيما عدا صوته الرخيم رخامة غير عادية . **وكان شو يعلم أن ميرابو اشتهر بنجاحه الساحق مع النساء رغم الجدرى الذى يشوه سحنته . وان كازانوفا كان قبيحا ، بوجهه آثار الجدرى أيضا . فاذا أضاف الى هذين صاحبنا آفلنج وغزواته التى أودت بشرف عشرات العذارى وعشرات النساء ـ وهن كالمنومات المسحورات ! ـ لم يعد مما يشرف شو فى نظر نفسه أن يفتن النساء ، وأن يتهافتن عليه . وهكذا وعى شو درسه !**

وقد سئل شو : هل كان آفلنج النموذج الوحيد الذى عرفه شخصيا لذلك النوع من الناس ؟ فقال انه كان على صلات ودية بثلاثة آخرين على غراره : وهم « كولونيل » متقاعد ، ورجلان من رجال الدين ، بينهم سمة مشتركة هى النفور من العنف والايذاء البدنى ، ومع ذلك فثلاثتهم يتمتعون ـ مثل آفلنج ـ بانعدام تام للضمير فيما يتصل بالمسائل المالية ، والمسائل الجنسية .. كأنهم أنواع من الحيوانات لديها غريزة خاصة بالنصب واغواء النساء ، بلا وازع أو تورع . ومن عجب أن النساء كن ينسقن لهم كالمنومات ، رغم خلوهم من كل علامات الجمال ..!

وليس معنى هذا أن شو كان شديد التزمت ، فهو قد اعترف بنفسه أن تعففه لم يكن عن تدين أو خلق . وهو يقر بأن قوانين الزواج فى زمنه جائرة ومكبلة للحياة بصورة غير معقولة . ولكنه فى الوقت نفسه لا يقر التحلل الجنسى والخروج على كل قانون . لأن القانون نظام . وفساد النظام لا يقابل بهدمه بل باصلاحه . وقاعدته الذهبية هى أنه : **« ليس من الحصافة أن تريق الماء العكر الا بعد أن تحصل على الماء النقى . وكذلك ليس من الحصافة أن تحطم تقليدا قديما الا بعد أن تقيم تقليدا جديدا » .**

والحق أن شو كان دائما يحافظ على المظاهر اللائقة ، فلم يعش قط مع امرأة ممن كانت بينه وبينهن علاقة جنسية . وكان يرى من النذالة أن يسىء الى سمعة امرأة بالحياة غير الشرعية معها ما لم يكن مستعدا للزواج منها زواجا قانونيا .

.. واذا كان لنا أن نضيف شيئا يتمم الصورة ، فهو زهد شو فى الأبوة . وكان مثله الأعلى فى ذلك الفيلسوفان « كانط » وشوبنهاور . ولعل هذا هو السبب الرئيسى فى أنه لم ينجب من زوجته « شارلوت بيين تاونسهند » ، (التى تزوج منها فى سن ٤٢ ، وكانت فى مثل سنه تقريبا ، ثرية ، وربة بيت ممتازة ، فوفرت له السكينة التى أعانته على التفرغ للانتاج الأدبى) . ويقال انها كانت تنفر بطبعها من الاتصال الجنسى ، وان ذلك وافق هوى من نفس برنارد شو ، فأخلد فى كنفها للابداع الفنى ، ولانجاب عدد هائل من المخلوقات الفكرية التى جادت بها قريحته الوقادة ، وخياله المحلق الذى لا يعرف الحدود ..!

....

المرأة .. عند سلامة موسى

فى هذا العدد الخاص عن « المرأة » ، لا يفوت « كتابى » أن يحلى صفحاته بهذه الفقرات من آراء المفكر والمصلح الاجتماعى المصرى الراحل « سلامة موسى » ، وهى الآراء التى نادى بها وما فتىء ينادى طوال حياته . واليه يرجع كثير من الفضل فيما حققته المرأة المصرية من مكاسب ، وتطور ، ونهوض :

أيتها المرأة .. لا تكونى لعبة !

« انى أدعوك ، أيتهـــا المرأة المصرية ، الى أن تثبتى وجودك الانسانى والاجتماعى فى الدنيا بالعمل والاقدام ، وأن تختارى حياتك واختباراتك ..

أدعوك أن تدربى ذكاءك ، وتربى شخصيتك ، وتستقلى فى تعيين سلوكك ، وتزدادى فهما وخبرا ونضجا بالسنين ..

لا تكونى لعبة نلعب بك نحن الرجال ، للذتنا نشترى لك الملابس الزاهية ، والجواهر المشخشخة ، ونطالبك بتنعيم بشرتك ، وتزيين شعرك ، وكأن ليس بك فى هذه الدنيا من سبب للحيـــاة سوى أنك لعبتنا ، نلعب بك ونلهـو . ليس شك أن أنوثتك جميلة ، وليس شك أنك تعتزين بجمالك وتعنين به ، ولكن لا تكونى لعبة . أنت انســان لك جميع الحقوق الانسانية التى للرجل ، فلا تقبلى أن ينكر عليك أحد هذه الحقوق ، وأن يعين لك طراز حياتك . أنت انسان لك حق الحياة واقتحام التجارب البشرية ، وحق الاصابة والخطأ ، لانك ـ بغير ذلك ـ لا تحصلين على تربية انسانية ، أى لا تكبرين ولا تنضجين، بل تبقين طفلة ولعبة ولو بلغت الستين أو السبعين من العمر .

سيقال لك أن البيت هو دائرة نشاطك ، وهو كذلك اذا شئت أنت ، ولكن ليس لان هناك حكما سماويا قهريا يجبرك على الطاعة وعلى البقاء فى البيت ، ثم أذكرى أنه ليس فى الدنيا بيت يمكنه أن يستوعب كل نشـــاط المرأة . البيت أصغر من أن يستوعب كل انسانيتك ، وكل عقلك ، وكل قلبك ، لان الدنيا الواسعة هى بيتك

(البقية صفحة ٥٨)

ستيفان زفايج

زوجة البخيل!



LA RUELLE AU CLAIR DE LUNE : STEFAN ZWEIG

تلخيص : عميد الامام

— ١ —

⊙ **تأخرت** السفينة عن موعدها ـ بسبب العاصفة ـ فلم تصل بنا الى الميناء الفرنسى الصغير الا فى ساعة متأخرة من الليل ، ففاتنا القطار الذى كنا سنعود به الى المانيا ، وأصبح لزاما علينا أن ننتظر الى مساء الغد فى ذلك الميناء ، حتى يحين موعد القطار التالى ..

وشعرت بضيق شديد لهذا التأخير ، وأحسست أنى اختنق بين جدران الفندق الذى نزلت فيه ، فغادرته ـ بعد أن تناولت عشائى ـ لأستنشق من جديد ، فى شوارع المدينة ، هواء البحر المنعش الذى كنت قد اعتدت عليه خلال الرحلة . وقادنى الشارع الذى يقع فيه الفندق الى ميدان مزدحم ، يتفرع منه شارع كبير ، كثير الأنوار . فسرت فى ذلك الشارع ، وكان مزدحما بأهالى البلدة الذين خرجوا للنزهة فيه .. ووجدت متعة ـ أول الأمر ـ فى الاستماع الى ضحكات الناس ، وضجيج أحاديثهم ، ولكنى كنت مرهقا من أثر الرحلة البحرية الشاقة ، لم يزايلنى الشعور بأننى واقع تحت تأثير مخدر ، فما لبثت أن أحسست بدوار شديد ، خشيت معه من الوقوع على الأرض .. وآثرت أن أهرب من الضجة لكى أتخلص من الدوار ، فسارعت الى الدخول فى شارع جانبى صغير لم أعن بقراءة اسمه . ومضيت أسير فيه على غير هدى ، ثم انتقلت منه الى شوارع أصغر ، متصلة به .. وكلما ابتعدت الشوارع التى سرت فيها عن الميدان المزدحم ، قل اتساعها وخفتت أنوارها .. الى أن وجدت

نفسى ـ فى النهاية ـ فى حارة ضيقة ، لا يكاد يضيئها غير نور القمر الذى كان خافتا فى ذلك المساء .

ومن أصوات الموسيقى العربيدة التى كانت تنبعث من منازل تلك الحارة ، ومن الأنوار الحمراء التى كانت تضىء أبوابها ، ومن الضحكات الخليعة المكتومة ، المختلطة بصيحات السكارى التى كانت تتردد من حين لآخر وراء جدرانها .. أدركت اننى قد وصلت ـ من غير قصد ـ الى احدى تلك الحوارى التى لا يخلو منها ميناء ، والتى تزدحم بالبيوت التى تبيع المتعة للبحارة ، وغيرهم !

وبينما أنا سائر ، كالنائم ، فى الحارة التى كانت خالية تماما من المارة فى ذلك الوقت ، وأثر الدوار لا يزال يسيطر على حواسى ، طرقت سمعى كلمات أغنية ألمانية معروفة ، يرددها صوت نسائى جاف !.. وكان الغناء رديئا للغاية ، ولكنى وجدت فيه سحرا عجيبا ، فقد كفانى أنه يردد أغنية من أغانى بلادى ، كلماتها هى أول كلمات ألمانية أسمعها منذ أسابيع عديدة .. وأحسست أن الأغنية التى أسمعها هى تحية حارة موجهة الى ، شخصيا ، تنقل ريحا من وطنى ـ الذى طال حنينى اليه ـ الى هذه البقعة الغريبة ..

وتساءلت : ترى من هى هذه التى تتكلم لغة بلادى هنا ، وأية ذكريات تدفعها الى أن تخرج من قلبها هذا اللحن الشجى ، لتتردد أصداؤه فى هذه الحارة الضائعة الفاجرة ؟.. وأحسست نفسى مدفوعا الى البحث عن مصدر الغناء ، فأخذت أتطلع الى البيوت التى كان يبدو عليها من الخارج وكأنها شبه نائمة ، بينما هى تضج بالعربدة فى الداخل .. الى أن تعرفت على البيت الذى تنبعث منه الأغنية الألمانية ، فترددت لحظة ، ثم دخلت من بابه المفتوح الى ممر صغير تفصله ستائر عن داخل البيت .

ولكن قبل أن أمد يدى لأزيح الستارة وأدخل ، **رأيت فجأة شيئا حيا يتحرك فى ظلال الممر . وتبينت أنه رجل ملتصق بالحائط ، يرتعد خوفا واضطرابا . وعلى ضوء المصباح الأحمر الخافت الذى كان يضىء الممر ، رأيته ينظر الى بعينين فزعتين ، ثم يتمتم ببعض كلمات الاعتذار ، ويخرج بسرعة الى الحارة .. وأدهشتنى حركات هذا الرجل الغريبة ، فتابعته بنظراتى ، غير أن ظلام الحارة سرعان ما ابتلعه !**

وكانت الأغنية الألمانية لا تزال تتردد فى الداخل ، وتشدنى اليها ، فأزحت الستارة ودخلت . ولكن الغناء توقف بمجرد دخولى ، وكأنما قطعته سكين . ووجدت نفسى فى حجرة تكاد تكون خالية من الأثاث ، اذ لم يكن بها الا مقصف ومنضدة واحدة . وخلف المقصف كانت تقف امرأة بدينة ـ لا شك انها صاحبة المنزل ـ ومعها شابة عادية الجمال ، بينما جلست الى المنضدة ـ واستندت بمرفقيها اليها ـ شابة أخرى طويلة كانت تبدو عليها علامات الارهاق الشديد ، رغم المساحيق الثقيلة التى كانت تغطى وجهها ..

— ٢ —

وخيم صمت ثقيل على الحجرة عند دخولى ، أحسست معه بحرج شديد ، وبرغبة قوية فى الخروج . ولكنى خجلت من أن أتصرف على هذا النحو ، ولم أجد أمامى الا أن أتقدم الى المنضدة الوحيدة وأجلس اليها ، بجوار الشابة الطويلة . ونظرت المرأة الى ، بغير اكتراث ، وسألتنى عما أحب أن أشربه . وكانت تتكلم الفرنسية بلهجة خشنة ، عرفت منها أنها ألمانية الجنسية ..

وطلبت كأسا من الجعة ، فنهضت الشابة فى ملل وأحضرت كأسين ، وبحركة آليـة قربت مقعـدها من مقعدى ورفعت كأسها لتقول لى : « فى صحتك » . ولاحظت أن عينيها لم تكونا تريانى أثنـاء نظرها الى ، فقـد كانت مشـغولة عنى بأفكارها الخاصة . فأخذت أتأمل وجهها بلا حرج ، ما دامت هى لا تشعر بوجودى !.. **وتبينت أنها لا تزال جميلة ، وان تقاطيعها متناسبة وحلوة ، ولكن شيئا « داخليا » فى نفسها شوه منظر وجهها وجعله يبدو وكأن عليه قناعا !.. أما صوتها فكان « محروقا » ، بتأثير السجائر والخمر . وكانت تبدو ـ فى مجموعها ـ انسانة هدها التعب ، الى حد لم تعد تبالى معه بشىء ، ولم تعد تعيش الا بحكم العـادة ، وبشكل آلى محض !**

وبمزيج من الخجل والرعب ، وجهت اليها سؤالا عاديا ، ردت عليه ـ دون أن تلتفت الى ـ بلهجة ملؤها السأم وعدم الاهتمام . وفى نهاية الحجرة كانت صاحبة المنزل تتثائب ، والشابة الأخرى تنظر الى وكأنها تتوقع منى أن أناديها !.. وكنت أريد أن أغادر المكان ، ولكنى كنت أحس ـ فى الوقت نفسه ـ بمزيج من الفضول و « القرف » يشدنى الى البقاء !.. وفجأة أطلقت الحسناء الطويلة ـ التى كانت تجلس بجانبى ـ ضحكة عالية أفزعتنى ، وفى الوقت نفسه اهتز نور المصباح ؛ فأدركت أن الباب الذى كان ورائى قد فتح . وقبل أن أستدير لأرى الداخل ، سمعت جليستى تصيح فى سخرية وقسوة ، بالألمانية :

ـ أهذا أنت مرة أخرى ؟.. ألا تزال تحوم حول المنزل ، أيها اللص العجوز ؟!.. هيا أدخل . أدخل . لن أفعل بك أى شىء !

ونقلت بصرى من الشابة التى كانت تصيح بهذه الكلمات ـ وكأن النار مندلعة فى جسمها ـ الى الباب ، فرأيت عنده الرجل الذى كنت قد قابلته فى الممر عند دخولى ، **وفى عينيه نفس نظرة الفزع والمذلة التى رأيتها فيهما من قبل ، وكان يمسك بقبعته بين يديه فى ارتباك ـ كالمتسول ـ ويرتعد تحت وقع ضحكات الحسناء ، وكأنها سياط تنهال عليه !**

.. وأخيراً تحرك الرجل من مكانه وتقدم من منضدتنا ، فى خطوات وجلة ، فصاحت فيه جليستى وهى لا تزال تطلق ضحكاتها الهستيرية :

ـ أجلس هناك مع الفرنسية . ألا تستطيع أن ترى أنى جالسة مع هذا السيد ؟

وعلى الرغم من أن صاحبة المنزل والشابة الفرنسية لم تكونا تفهمان الألمانية ـ التى كانت جليستى تتحدث بها مع الرجل ـ فانهما كانتا تضحكان وهى تكلمه ، وقد بدا عليهما أنهما تعرفانه .. وصاحت المرأة الألمانية فى زميلتها الفرنسية : « قدمى اليه الشمبانيا يافرانسواز .. ومن أغلى نوع ! » .. ثم التفتت الى الرجل وأضافت فى سخرية : « اذا كنت تجد الشمبانيا غالية عليك ، فابق فى الخارج أيها الشحيح التعس ! انى أعرف أنك كنت تريد أن تستردنى مجانا ، فأنت تريد أن تحصل على كل شىء فى هذه الحياة ، بغير مقابل ! » .

ووقف الرجل بجانب المقصف مع الحسناء الفرنسية ، دون أن يرد بكلمة واحدة على زميلتها الألمانيـة ، ولكن كان واضحا أن كلماتها تسبب له أعنف الألم والاضطراب ، حتى لقد خيل الى أن ظهره كان يوشك أن ينكسر مع كل كلمة تخرج من فمها !.. وأخيرا مد يدا ترتجف الى زجاجة الشمبانيا وملأ منها كأسه . **وكان واضحا أن به رغبة ملحة فى أن ينظر الى جليستى الألمانية ، ولكنه لم يجرؤ أبدا على**

أن يرفع عينيه اليها ، فظل يحوم بهما فى اضطراب عنيف نحو الأرض !

.. وعندئذ فقط تمكنت من رؤية وجهه فى وضوح ، لأول مرة ، فتبينت انه رجل تجاوز الأربعين ، قد ارتسم البؤس على تقاطيعه جميعا ، ورغم أن ملامحه كانت تثير الشفقة ، غير أنها لم تكن تخلو ــ فى الوقت نفسه ــ من معالم الشر !

ونظرت الحسناء الألمانية الى ، وقالت : « لا تهتم بأمره . انها قصة طويلة تلك التى بينى وبينه ، وليست بنت اليوم .. » ، ثم عادت تخاطبه من جديد ، صائحة : « نعم ، أيها الوغد العجوز ، انك تود أن تعرف ما الذى أقوله للسيد !.. فلتعلم اذن أنى قلت له أننى أفضل أن ألقى بنفسى فى البحر على أن أعود اليك ! » .

وهنا عاودت صاحبة المنزل والحسناء الفرنسية ضحكهما ، كما لو كان هذا المنظر شيئا مسليا مألوفا لديهما ، قد اعتادتا مشاهدته كل يوم !.. ورأيت الفرنسية تلتصق بالرجل وتداعبه فى خلاعة ، بينما كان هو يرتعد دون أن يجد الشجاعة لصدها عنه !.. والتقت عيناه بعينى ، للحظة خاطفة ، فارتعت لما رأيته فيهما من خوف ، وخجل ، ومذلة !

— ٣ —

● **ولم تكن** المرأة الألمانية قد كفت عن اطلاق الضحكات العالية « الهستيرية » منذ وصول الرجل ــ بعد أن كانت أشبه بالنائمة قبل ذلك ! ــ الى حد أن ضحكها وسخريتها منه أثارانى ، وملآنى بالاشمئزاز ، فألقيت ببعض النقود على المائدة وهممت بالخروج .. ولكن المرأة استوقفتنى قائلة :

« اذا كان هذا الكلب يضايقك ، فانى مستعدة لأن أطرده ! انه لا يستطيع أن يعصى لى أمرا .. فاجلس وخذ كأسا أخرى معى .. » .

ثم اقتربت منى وأخذت تتودد الى فى حنان مصطنع ، أدركت أنها لا تتكلفه الا لتعذب « الآخر » !.. فبين كل حركة وأخرى من حركاتها ، كانت تنظر خلسة الى الرجل الثانى ، الذى كان يتلوى ألما لكل حركة تأتيها !.. ولاحظت أنه بدأ يغلى غضبا ، وانه يشتعل غيرة ورغبة ، ولكنه كان يخفى شتى انفعالاته كلما وجهت الحسناء نظراتها اليه !.. وأخرجت سيجارة لأبعد وجه جليستى ــ الذى اختلطت فيه رائحة المساحيق برائحة العرق ــ عن وجهى ، ولكن قبل أن أخرج علبة الكبريت ، صاحت هى فى الرجل : « تعال وأشعل له السيجارة ! » .

فأربكنى طلبها ــ أكثر مما أربك الرجل الآخر ! ــ وأخذت ابحث عن الكبريت فى عجلة ، ولكن قبل أن أعثر عليه ، كان الرجل ــ الذى لسعته كلماتها كضربة السوط ــ قد تقدم منى فى خطى سريعة ، ورمى ولاعته على المنضدة ، وكأنه يخشى أن تحرقه نارها !

والتقت عيناى بعينيه ، للحظة خاطفة ، فرأيت فى نظرته خجلا هائلا ، وغيظا رهيبا . وأحرجتنى نظرته ، فقلت له بالألمانية ، وأنا أشعر ــ بدورى ــ بالخجل للمعاملة المهينة التى يلقاها من جليستى : « أشكرك ، ولكن ما كان ينبغى أن تكلف نفسك هذه المشقة » ، ثم مددت يدى لأصافحه ، فتردد طويلا قبل أن يمسك بها ، وأخيرا ضغط عليها فى امتنان ..

وهممت بأن أدعوه الى الجلوس معنا ، تحديا للمرأة ، ولكنها ــ وكأنما أدركت رغبتى هذه ــ قالت له بسرعة ، فى

لهجة آمرة : « عد الى مكانك ، ولا تضايقنا » .. واجتاحنى احساس قوى بالاشمئزاز من صوتها الوقح ، ومن تصرفاتها القاسية ، ومن خنوع ذلك الأبله لها ، ومن الجو القذر المشبع بالرذيلة الذى أقحمت نفسى فيه بلا هدف ولا غاية !.. فنهضت من مقعدى ، وهممت بالخروج ..

— ٤ —

ومرة ثانية حاولت المرأة أن تتشبث بى ، ولكنى أبعدتها عنى فى حزم ، هذه المرة ، فشعت فى عينيها نظرة حقد عنيف ، وحولت نظرها عنى الى الرجل الآخر . ونظرت اليه بدورى ، فرأيت أنه قد سارع الى اخراج حافظة نقوده من جيبه ليدفع حسابه ، وانه يهم بمغادرة المكان أيضا . **وكان واضحا أنه يخشى أن يظل بمفرده مع المرأة !.. ومن شدة اضطرابه لم يستطع أن يفتح حافظة نقوده بسرعة ، فصاحت فيه جليستى الألمانية : « انظروا كيف يرتجف خوفا على نقوده ! ألا تريد نقودك الخروج ؟!.. انتظر قليلا ! »** .

وتقدمت نحوه خطوة ، فتراجع الرجل فى فزع ، فقالت له فى اشمئزاز لا حد له : « لن آخذ منك شيئا . انى أبصق على نقودك .. أنا أعرف تماما أنك أحصيتها جيدا ، وانك لا تقوى على الافتراق عن قطعة واحدة منها الا بالاكراه ! » ، ثم استطردت قائلة فى سخرية قاسية : « ولكن ليست النقود التى تحتويها الحافظة هى أهم ما تحمله . فأهم منها عندك الأوراق التى تخفيها داخل بطانة سترتك ، خوفا من أن يسرقها منك الناس ! » .

فرفع الرجل يده بحركة لا ارادية مذعورة الى صدره ، وتحسس مكانا معينا فى سترته .. فبصقت المرأة على الأرض وهى تقول : « بخيل قذر ! » .. فاحمر وجه الرجل فجأة ، وألقى بحافظة نقوده الى المرأة الثانية ، الفرنسية ، بعنف ..

ثم جرى خارجا من المكان ، كما لو كان يهرب من حريق ! ..
وظلت الحسناء الألمانية واقفة فى مكانها برهة ، وعيناها تلمعان ببريق الغيظ والشر ، ثم عاد الذبول الى جفنيها وبدا عليها الارهاق مرة أخرى ، بعد أن ظلت أعصابها مشدودة متوترة طول مدة وجود الرجل فى المكان ! .

ورمتنى بنظرة حيرة وذهول .. **كانت تقف أمامى وكأنها مخمورة أفاقت لتوها من سكرها وهى تحس احساسا غامضا بالخزى .. ثم قالت : « انه سوف يولول الآن على نقوده ، وربما ذهب الى الشرطة وادعى اننا قد سرقناه .. ولكنه غدا سوف يكون هنا أيضا ! .. غير انه لن ينالنى .. جميع الرجال يمكن أن ينالونى ، ما عداه هو ! » .**

واستدارت وتوجهت نحو المقصف ، وقذفت فوقه قطعة نقود فضية ، وصبت لنفسها كأسا من الكونياك تجرعتها ، وفى عينيها نظرة شريرة خالطتها دموع الخجل والغيظ .. فشعرت بشىء من الشفقة عليها ــ وان لم تستطع هذه الشفقة أن تطردما أثارته فى من اشمئزاز ! ــ ثم قلت لها مساء الخير بالألمانية وخرجت ، فلم تلتفت الى ، واكتفت باطلاق ضحكة عربيدة ، فيها سخرية واستهزاء !

وكان القمر ــ عند خروجى ــ قد احتجب وراء السحاب ، فغرقت الحارة فى ظلام دامس . وبينما كنت أحاول أن اقتحم بعينى الظلام ، باحثا عن مخرج من تلك الحارة ، وجدت الى جانبى فجأة شبحا يقول لى بالألمانية ، فى صوت عرفت فيه صوت الرجل نفسه : « معذرة .. أظنك لا تعرف الطريق ، فاسمح لى أن أرشدك . قل لى أين تقيم » .. فأخبرته باسم الفندق الذى أنزل فيه ، فعرض على أن يوصلنى اليه ..

وسار الى جوارى ، دون أن يتحدث الى . ولكن كان من

الواضح أنه يريد أن يقول لى شيئا ، ولا يعرف كيف يبدأ الحديث . فقد كنت أرى شفتيه تتحركان فى الظلام ، واسمعه يسعل - بين لحظة وأخرى - ليدارى ما هو فيه من اضطراب .. وأخيرا أمكنه أن ينتزع الكلمات من فمه ، فقال فى صوت متهدج : « انك يا سيدى قد شاهدت ذلك المنظر الغريب ، ولا بد أنه بدا لك عجيبا .. ان تلك المرأة هى .. » .

ولم يستطع اكمال كلامه ، وكان يبدو عليه أنه يختنق .. ولكنه لم يلبث أن استطرد قائلا ، بعد أن بذل مجهودا عنيفا لاخراج الكلمات :

— ان هذه المرأة هى فى الواقع .. زوجتى !!

ويبدو اننى لم استطع اخفاء دهشتى ، فقد مضى يقول بسرعة : « أعنى أنها « كانت » زوجتى . كان ذلك منذ خمسة أعوام .. لا ، بل أربعة أعوام .. فى قريتى (جراتزهايم) ، بمقاطعة (هيس) . **اننى لا أريدك يا سيدى أن تسىء الظن بها ، وربما كان الذنب ذنبى فيما وصلت اليه !.. انها لم تكن هكذا دائما . أنا الذى عذبتها !..** لقد تزوجتها وهى فقيرة جدا ، ولم يكن لديها حتى الثياب .. لم يكن لديها شىء بالمرة ، بينما أنا غنى ، أعنى ميسور الحال - أو هكذا كنت فى وقت ما - وربما كنت أيضا « مقتصدا » ، كما قالت هى ، ولكن ذلك كان فى الماضى يا سيدى .. قبل الكارثة .. وانى لألعن نفسى لأنى كنت بهذه الصفة .. أما هى فقد كانت - رغم فقرها - تحب الأشياء الجميلة ، وتحب الاسراف . وكنت ألومها على ذلك دائما .. ولكنى أعرف الآن انه ما كان ينبغى أن أفعل ذلك ، فهى متكبرة شديدة الكبرياء . وليس صحيحا أنها .. مثلما تبدو ، فهذه أكذوبة . وهى تسىء الى نفسها لمجرد الرغبة فى أن تسىء الى ، وتعذبنى .. وأيضا لأنها تشعر بالخجل .. وربما تكون قد أصبحت سيئة

المسيرة ، ولكنى لا أصدق ذلك ، لأنها كانت طيبة جدا ! يا سيدى ، طيبة جدا ! » .

وغلبه التأثر فعجز عن مواصلة الكلام ، وأخذ يمسح الدموع من عينيه ، ثم استطرد قائلا ، بعد أن تمالك نفسه قليلا : « نعم يا سيدى . لقد كانت طيبة جدا .. **وكانت تحمل لى شعورا قويا بالامتنان ، لانتشالى اياها من بؤسها ، وكنت أعرف ذلك ، ولكنى كنت أحب أن أسمع اعترافها بالجميل من فمها !.. كنت أريد منها أن تقول لى ـ دائما ـ كم أحسنت اليها ، وأن تعرب لى عن شكرها باستمرار !.. وكنت أجد فى سماع ذلك متعة كبرى ، فانه لمن الممتع جدا أن يسمع الانسان أنه الأفضل ، فى حين يعلم فى قرارة نفسه أنه الأسوأ !..** وكنت مستعدا لأن أدفع أموالى كلها مقابل أن تكرر لى ـ بلا انقطاع ـ عبارات شكرها وامتنانها .. ولكنها كانت شديدة الكبرياء ، وكلما لاحظت أنى أطالبها بابداء الامتنان لى ، قل ميلها الى فعل ذلك !.. وكان من أجل هذا ـ ومن أجل هذا فقط ـ انى كنت أجبرها على أن تتوسل الى !.. كنت لا أعطيها شيئا الا اذا ألحت فى طلبه !.. وكنت أجد سعادة عظيمة فى أن أراها تضطر الى أن ترجونى ـ كما لو كانت متسولة ! ـ كلما أرادت أية قطعة من الملابس ، أو احتاجت لأى شىء على الاطلاق !.. وظللت أعذبها على هذا النحو ، ثلاث سنوات ، بل كان تعذيبى لها يزداد مع الأيام .. ولكن ذلك لم يكن يحدث الا لأنى كنت أحبها !.. كانت كبرياؤها تسرنى ، ومع ذلك كنت أود دائما أن أذلها !.. وكلما طلبت منى شيئا كنت أتظاهر بالغضب ، ولكنى لم أكن أغضب فى قرارة نفسى ، بل كنت أسعد بسنوح فرصة جديدة لاذلالها !.. وكان سبب ذلك كله أنى .. انى لم أكن أعرف كم أنا أحبها !! » .

وتوقف الرجل عن الكلام مرة ثانية ، وهو ماض فى سيره الى جانبى ، وكأنه يمشى وهو نائم !.. وكان واضحا انه قد نسي وجودى .. ثم استطرد يحدث نفسه فى صوت كان يزداد ارتفاعا وحدة : « .. لم أعرف ذلك الا عندما .. فى ذلك اليوم الملعون .. كنت قد رفضت أن أعطيها نقودا لأمها ، وكان المبلغ الذى طلبته ضئيلا جدا .. والحقيقة انى كنت قد أعددت ذلك المبلغ ، وكان فى نيتى أن أعطيه لها ، ولكنى كنت أريد أن أجعلها تسعى الى ثانية ، وتعاود طلبها ، قبل أن أعطيها أى شيء !

« نعم ، يومئذ عرفت كم أحبها .. عندما عدت الى البيت فى المساء ، ووجدتها قد رحلت !.. بعد أن تركت لى على المائدة قصاصة ورق كتبت عليها : « احتفظ بنقودك اللعينة ! انى لم أعد أريدها .. لم أعد أريد منك أى شيء ! » .

« لك أن تتصور يا سيدى كيف عشت كالمجنون خلال ثلاثة أيام ، وثلاث ليال !.. لقد قمت بتفتيش النهر ، والغابة ،ودفعت مبالغ كبيرة لرجال الشرطة ، لأحثهم على مساعدتى فى البحث .. وكنت أجرى الى الجيران وأسأل عنها ، فكانوا يضحكون ويسخرون منى ، ولا يخبروننى بشيء !.. وأخيرا جاءنى من حمل الى نبأ من قرية مجاورة : قال لى أنه شاهدها مع أحد الجنود ، فى القطار المتجه الى برلين ..!

« وفى اليوم نفسه سافرت وراءها .. تركت أعمالى — وخسرت نتيجة لذلك آلاف الماركات ، فقد سرقنى العمال والموظفون الذين كانوا يعملون عندى ! — ولكنى أقسم لك يا سيدى ان ذلك لم يهمنى فى كثير أو قليل !.. وأمضيت فى برلين أسبوعا قبل أن أتمكن من الاهتداء الى مكانها .. فهرعت اليها .. **وأقسم لك انى لم أوجه اليها كلمة قاسية**

واحدة .. لقد بكيت ، وارتميت عند قدميها .. وعرضت عليها نقودا .. بل عرضت عليها كل ثروتى ، وقلت لها انى مستعد للتنازل لها عن ادارة كل أموالى ، فقد تبينت أننى لا استطيع العيش بدونها .. أننى أحبها حبا جنونيا ، ومع ذلك فقد كنت أنا .. أنا وحدى .. الذى ألقيت بها فى الوحل !

« وكان قد شحب لونها ، حتى بدت كالموتى ، عندما رأتنى أدخل عليها فجأة ــ فقد رشوت صاحبة المنزل الذى كانت تقيم فيه لتسمح لى بالدخول عليها ، دون استئذان ! ــ واستندت بظهرها الى الحائط وهى فى لون الثلج .. وأعتقد يا سيدى أن حضورى لم يغضبها ، بل أثار فيها ما هو أشبه بالارتياح .. ولكن عندما تحدثت عن المال ــ وأقسم لك اننى ما فعلت ذلك الا لأقنعها بأن المال لم يعد يهمنى ــ عندما تحدثت عن المال ، تغيرت حالها فجأة ، وأخذت تبصق على .. ثم نادت عشيقها ــ بعد أن رفضت أن أخرج ــ وأخذا كلاهما يسخران منى !

« ولكنى يا سيدى عدت فى اليوم التالى ، وفى الأيام التى تلته .. وعرفت من سكان المنزل الآخرين أن الوغد الذى هربت معه قد تخلى عنها ، وانها أصبحت فى حاجة الى المال .. فذهبت اليها مرة أخرى ، ولكنها طردتنى من جديد ، ومزقت ورقة مالية كبيرة وضعتها لها على مائدتها .. وعندما عدت اليها ثانية بعد ذلك ، كانت قد رحلت !

— ٥ —

● « **ولم أترك** شيئا لم أفعله بغية العثور عليها .. وأقسم لك أنه مضى على عام كامل لم أذق خلاله طعما للحياة ، بل لم أفعل طواله شيئا غير البحث عنها بلا انقطاع !..

ودفعت أموالا طائلة للمكاتب المختصة بجمع المعلومات .. الى أن عرفت أنها فى الأرجنتين .. فى بيت .. مشبوه ! »

وآلمه نطق الكلمات الأخيرة ، فتوقف عن الحديث برهة ، ثم استطرد قائلا فى انفعال : « لقد تملكنى اليأس فى أول الأمر .. **ولكنى بعد أن فكرت مليا فى الأمر ، أدركت انى أنا وحدى الذى دفعتها الى هذه الهاوية .. وتصورت مبلغ العذاب الذى لابد أن تكون المسكينة قد عانته ، وهى التى تتميز بأن الكبرياء أبرز صفاتها !** .. ثم كلفت محامى بالاتصال بالقنصل الألمانى فى الأرجنتين ، وبارسال نقود اليها عن طريقه ، دون أن تعرف مصدر النقود !

« وخلال ذلك كله قام القنصل بترتيب أمر عودتها .. وأخيرا تلقيت برقية عرفت منها أن مساعيه قد نجحت ، وعرفت اسم الباخرة التى استقلتها قادمة من الأرجنتين ، فسافرت الى (أمستردام) لأكون فى استقبالها هناك ..

« **ووصلت الى ذلك الميناء الهولندى قبل موعد وصول الباخرة بثلاثة أيام ــ فقد كنت لا أطيق الانتظار ! ــ وأخيرا رست الباخرة فى الميناء ، وخيل الى انى سوف أموت من الفرح قبل أن تنزل هى منها !** .. ولكنى لم أستطع التعرف عليها فورا عندما رأيتها تهبط سلم الباخرة فى النهاية .. فقد تغيرت كثيرا : أصبحت تغطى وجهها بالمساحيق ، وأصبحت ملامحها مثلما رأيتها أنت الليلة ! .. وعندما وجدتنى فى انتظارها ، شحب لونها وكادت تقع من السلم ، لولا أن اثنين من البحارة سارعا الى الامساك بها .. وعندما وصلت الى الأرض ، تقدمت منها دون أن أنطق بكلمة واحدة ، وسرت معها فى صمت وراء الحمال الذى نقل حقائبها .. ولم تنطق هى أيضا بكلمة ، لفترة طويلة ، ثم توقفت عن السير فجأة والتفتت الى لتسألنى ــ فى صوت حزين مزق قلبى ــ

اذا كنت ما زلت أريدها زوجة لى ، بعد كل ما حدث ؟ .. فلم أستطع أن أجيبها بشىء ، لشدة تأثرى ، وانما أمسكت بيدها ، وواصلت السير معها ، وهى ترتجف وراء الحمال ..

« وأخذتها الى أحد الفنادق ، والفرحة تملأ قلبى .. وساعدتها على استبدال ثيابها ، ثم نزلنا معا الى المطعم حيث طلبت أفخر عشاء — **فقد كانت تلك فى نظرى هى ليلة زفافنا الحقيقية التى يجب أن نحتفل بها على أروع وجه !** — وأكلنا وشربنا ، وكنا فى قمة السعادة . وكانت هى مثـالا للبهجة والرقة ، والطيبة والحنـان .. وتحدثت عن بيتنـا ، وعن مستقبلنا معا فيه .. »

— ٦ —

● **وفجأة** توقف الرجل عن الحديث ، وارتفعت يده فى حركة من يريد أن يضرب أحدا .. ثم قال فى صوت ازداد كآبة وحنقا : « كان يخدمنا على المائدة ندل شقى شرير ، ظن انى قد سكرت — لكثرة ضحكى وطغيان الفرح على — فأعاد الى بقية نقودى ، عندما دفعت له الحساب ، ناقصـة عشرين فرنكا .. فوبخته وطالبته باعادتها الى .. فارتبك ووضع العشرين فرنكا على المائدة .. **ولكن فى تلك اللحظـة انفجرت هى ضاحكة فى صوت غريب ، والتفت اليها فوجدت أن وجهها قد تغير تماما .. وبعد أن كانت تبـدو كالطفلة الصغيرة السـعيدة ، ظهرت عليهـا امارات القسـوة ، والسـخرية ، والشر .. ثم سـمعتها تقـول لى فى برود واستهزاء : « كم أنت بخيل دائما ، حتى فى يوم فرحنا ! »**

« فاضطربت ، ولعنت بخلى ، وأجبرت نفسى على أن أضحك من جديد ، ولكن مرحها كان قد تبدد ، وحلت محله سحابة كثيفة من الكآبة والضيق . ثم طلبت منى أن أستأجر

لها مخدعا مستقلا ، تقضى فيه ليلتها على انفراد ، فأجبتها الى طلبها على الفور — وهل كنت أستطيع أن أرد لها أى طلب ؟ ! — وقضيت الليلة فى مخدعى ، بمفردى ، أفكر فى الهدية التى قررت أن ابتاعها لها فى الصباح ، لأثبت لها أنى لم أعد شحيحا ، وانى لن أبخل عليها بشىء قط ! .. وبمجرد شروق النهار ، أسرعت الى مخدعها ، ففوجئت به خاليا .. مثلما حدث فى المرة السابقة ! .. وتوجست اننى سأجد قصاصة ورق على المنضدة ، فهرعت نحوها وأنا أدعو الله أن يخيب ظنى ، ولكنى وجدت عليها بالفعل ما توقعته : وجدت ورقة كتبت لى فيها : « ابتعد عنى . انك تثير اشمئزازى ! »

وتوقف الرجل عن الحديث ، الى أن وصلنا الى منطقة الميناء ، وهناك أمسك بذراعى بقوة وقال : « ولكنى لن أغادر هذه المدينة بدونها ! .. لقد عثرت عليها أخيرا — بعد أشهر طويلة من البحث المحموم — ومن المحال أن أتركها .. انها تستعبدنى ، فأتوسل اليك يا سيدى .. تحدث اليها .. قل لها انها يجب أن تعود الى .. انها لا تصغى الى كلامى ، وأنا لم أعد أستطيع أن أحتمل هذه الحال أكثر مما احتملت .. لم أعد أستطيع رؤية جميع هؤلاء الرجال الذين يترددون عليها ، والانتظار خارج المنزل الى أن يخرجوا سكارى معربدين ! .. ان كل الحارة قد أصبحت تعرفنى ، وجميع الناس يضحكون ساخرين وهم يروننى أقبع فى الانتظار !.. انه أمر يدفعنى الى الجنون ، ومع ذلك فاننى أعود فى كل مساء ! .. اننى أتوسل اليك يا سيدى .. كلمها .. انك لا تعرفنى ، ولكنى أستحلفك بالله ، وبكل ما هو مقدس ، أن تسدى الى هذا الجميل . »

واشتد ضغط يده على ذراعى ، فتخلصت منها بحركة

لا ارادية ، ظن معها الرجل انى أدفعه عنى ، فجثا على ركبتيه فجأة أمامى ، فى وسط الطريق ، وأخذ يقبل قدمى وهو يقول فى حرقة مؤلمة : « انى أتوسل اليك يا سيدى .. يجب أن تكلمها .. يجب .. والا .. والا فسوف يحدث شىء رهيب .. لقد أنفقت نقودى كلها فى البحث عنها ، ولا يمكن أن أتركها فى هذا البيت المشبوه .. لن أتركها على قيد الحياة على الأقل .. لقد اشتريت سكينا .. ولا أريدها أن تظل هنا ، حية .. انى لا أستطيع احتمال هذا العذاب أكثر مما احتملت .. أرجوك يا سيدى ، أرجوك .. كلمها .. »

وكان يتمرغ كالمصروع عند قدمى وهو يتكلم ، وأنا لا أدرى ماذا أفعل له .. الى أن لمحت اثنين من رجال الشرطة قادمين نحونا من بعيد ، فرفعته عن الأرض بعنف وأوقفته على قدميه .. فنظر الى لحظة بعينين مخبولتين ، ثم قال بصوت مختلف ، وفى لهجة جافة : « لو سرت فى هذا الشارع ثم اتجهت الى اليمين ، فسوف تصل الى فندقك .. »

ثم اختفى فى الظلام !

— ٧ —

وفى الصباح التالى ، لم أكن واثقا تماما مما اذا كانت أحداث الليلة الماضية قد وقعت فعلا ، أو انى كنت أحلم .. وكان بى شوق كبير الى أن أتحقق من الأمر ..

وظللت أطوف بمعالم المدينة طول النهار ، ولكن ذكرى الليلة السابقة ظلت مستولية على بلا انقطاع ، تشدنى الى البحث عن تلك الحارة ، وذلك المنزل .. **ولكن أمثال هذه المساكن لا تحيا الا فى الليل ، ولا يبدو عليها أى أثر من آثار الحياة فى النهار ، ولذلك كان من المستحيل على أن أستدل عليها مهما بحثت** .. فعدت مرهقا الى الفندق فى آخر

النهار ، وذهنى لا يزال مشغولا بأحداث الليلة السابقة ، الشبيهة بوهم من الأوهام !

وكان موعد تحرك قطارى فى التاسعة مساء .. فتوجهت الى المحطة ــ وراء الحمال الذى كان ينقل حقائبى ــ وأنا أشعر بالأسف لمغادرة تلك المدينة التى كانت زيارتها مثيرة بالنسبة لى ..

وفجأة توقفت عند ملتقى بعض الشوارع ، وقد شعرت بما هو أشبه بالصدمة ، فقد تعرفت هناك على الشارع الذى قادنى الى حارة الليلة الماضية ! .. وللفور طلبت الى الحمال أن ينتظرنى ، وسرت فى الشارع لألقى نظرة أخيرة على الحارة المتفرعة منه !

.. ووجدتها غارقة فى الظلام ، كما كانت بالأمس .. وعلى ضوء القمر الباهت ، تبينت باب المنزل الذى دخلته فى الليلة الماضية . وأردت أن أقترب منه ، ولكنى رأيت فجأة شبحا يخرج من الظلال المحيطة به ، عرفت فيه ــ وأنا أرتعد ــ رجل الأمس ، الذى وقف على عتبة الباب وأخذ يشير الى أن أتقدم ..

.. غير أن خوفا غريبا استولى على ، فاستدرت وعدت مسرعا ، خشية أن أتورط فى أمور تعوقنى عن اللحاق بالقطار .. لكنى لم أملك نفسى من أن أتلفت خلفى ، عند نهاية الحارة ، للمرة الأخيرة : فرأيت الرجل يشد قامته ، ويدفع الباب فى تصميم ..

وفى تلك اللحظة لمحت شيئا معدنيا يلمع فى يده ، غير انى لم أستطع أن أتبين على البعد اذا كان هذا الشىء الذى لمع ، فى ضوء القمر ، هو قطعة نقود .. أم هو السكين التى كان قد حدثنى عنها ! !

المرأة .. عند سلامة موسى

« بقية المنشور صفحة ٣٨ »

الاول . أنت لست خادمة الرجل يلعب بك ويلهو ، وتنجبى له الأطفال ، وتطبخى له الطعام .. أنت شريكته اذا شئت ولست خادمته . أنت أم الرجل ، وأخته ، وزوجته ، وزميلته ، ولكن يجب ألا تكونى خادمته أو لعبته .

أنت ثمرة ألف مليون سنة من التطور ، ولك قدرة على الفهم لم يرتفع اليها حى فى كل هذه السنين ، فلا تبخسى قدرك وتحيلى شخصيتك الى لعبة . ولا ترضى أن تكونى خادمة الرجل ، اذ هو لا يمتاز عليك بأية ميزة . وأنت تخونين روحك اذا لم تستقلى فى هذا الكون ، وتحيى الحياة المستقلة ، وتنظرى النظرة المستقلة الى شئون العيش ..

ان الرجال يتهمونك بأنك غير ذكية ، غير شجاعة ، غير سخية ، غير بصيرة ، لم تتفوقى فى الاختراع أو الاكتشاف ، ولم تبرزى فى العلوم والفنون . وكل هذه التهم صحيحة ! .. ولكنها صحيحة لانك تمضين حياتك محبوسة بين أربعة جدران فى البيت ، ولو قدر لنا نحن الرجال أن نحبس كذلك لكنا فى هذه الحال التى تتهمين أنت بها.

ذلك أن الذكاء والشجاعة والسخاء والتبصر والاختراع والاكتشاف ، كل هذه الاشياء هى بعض أوجه النشاط الاجتماعى التى يدعونا اليها المجتمع ، ويبعث فينا ، حين نختلط به ونتفاعل معه ، تلك العواطف التى تحثنا على النشاط الذهنى أو الجسمى . أنت معطلة الذهن لانك لا تهدفين الى الاهداف الاجتماعية العظيمة التى يهدف اليها الرجل ، وهو نتيجة لذلك يدرب ذهنه فيكون ذكيا بل عبقريا ، أما أنت فلا تدربين ذهنك بل تعطلينه ..

أيتها المرأة المصرية ، يجب أن تزاملى الرجل فى العمل ولا تعملى وحدك ، بل يجب أن تبدأى الزمالة من الطفولة ، تتعلمين وأنت حبيسة مع الصبايا ، وأنت فتاة مع الشبان ، ثم تزاملى الرجل فى المكتب والمتجر والمصنع . نحن الرجال والنساء يجب ألا ينفصل أحد جنسينا عن الآخر ، لاننا عندما ننفصل نقع فى شذوذات جنسية

(البقية صفحة ٨٢)

سيجموند فرويد يحلل

"هستيريا" الحب المكبوت عند النساء

(الآنسة لوسى ، والرائحة الوهمية !)



STUDIES IN HYSTERIA : SIGMUND FREUD

ترجمة توضيحية بقلم : الأستاذ الدكتور نظمى لوقا

فرويد .. وهذه الدراسة الممتعة

• فى السادس من شهر مايو سنة ١٨٥٦ ولد « سيجموند فرويد » ، فى بيت متواضع عتيق البناء ، مكون من طابقين ، منفصل عن سائر البيوت ، وليس لواجهته منظر جذاب . وكتب لهذا الطفل أن يشب ليكون صاحب ثورة من أكبر الثورات العلمية وأبعدها أثرا فى تفكير الناس وفى سلوكهم . ولعله من أكبر صناع الموجة الجديدة التى تسود عالمنا المتطور . فهو الذى رفع عن الجنس حصارا ضربته عليه التربية والتقاليد والاديان ، أجيالا يخطئها الحصر .. وجعل منه مسألة طبيعية علمية مثل التغذية ، والتنفس ، والدورة الدموية ! فان كنت لا تخجل أيها الانسان العصرى من تنفسك ، ومن جوعك وسعيك الى الطعام ، ومن نبضات عروقك .. فلماذا - يقول سيجموند فرويد - تخجل من نزعاتك الجنسية ؟ انها أصيلة فى تكوينك ، ومسيطرة على دوافع سلوكك ، شئت أن تعترف بهذا أو لم تشأ ! وان لم تعترف بذلك فأنت المخطىء وأنت الخاسر فى نهاية المطاف . لأن هذا التجاهل لاصل طبيعة تكوينك ، وهذا الخزى من نشاطه ، سيؤدى بك الى الخروج عن السلوك السوى ، وهو السبب الحتمى لكل أنواع الاختلالات النفسية والعصبية !

ومن الطريف ، أن هذا العالم الذى عنى بالشذوذ النفسى ، نشأ فى أسرة تضم الكثير من المفارقات غير المألوفة : فأمه الحسناء الورعة الرقيقة كانت ، حين أنجبته ، فى التاسعة عشرة من عمرها ، أما أبوه فكان قد تجاوز الخمسين . وكانت لهذا الأب زوجة سابقة ماتت عن أولاد - هم أخوة عالمنا « سيجموند » من أبيه - أكبر سنا من والدة سيجموند ، زوجة أبيهم الجديدة ! .. بل أن لسيجموند ابن أخ أكبر منه فى العمر بسنة !.. ولذا كانت علاقته بأبيه أقرب الى علاقة الحفيد بالجد ، وعلاقته بأخويه الكبيرين أقرب الى علاقة الابن بأبيه ، وعلاقته بابن أخيه أقرب الى علاقة الأخ الأصغر . ووضعه بالنسبة لابن أخيه يعطيه مع هذا الحق فى الاحترام « من

الوجهة الرسمية » . ولكن الواقع أنه كان يتلقى ـ وهو العم المفروض انه محترم ـ اللكمات والصفعات من ابن أخيه « جونى » كلما اختلفا فى اللعب ، فيمتلىء قلب سيجموند بالغيظ ويظل قلقا وفى حرب مستمرة معه ، لاسترداد هيبته السليبة ! والأب القاسى يثير الخوف فى وجدان الطفل الذى تدلله أمه ، فيضمر سيجموند لأبيه الحقد لأنه يزاحمه فى عناية أمه وحنانها ! ..

ويظل هذا شعوره الى أن يبلغ الثامنة من عمره ، فيتغير سلوك أبيه ، ويصحبه معه فى نزهاته ، وتنشأ بينهما صداقة وطيدة تزداد مع الأيام توثقا ، من غير أن تمحو من نفس سيجموند ضغائن الطفولة وحسدها ، فاذا نفسه اليافعة مسرح لصراع الحب والبغض ، ولتناقض الواقع مع المفروض ...

فاذا أضفنا الى هذا أن شقيقته ولدت فى العام الثالث من عمره ، أدركنا أهمية شعوره المبكر بالغيرة . ولذا ظل فرويد الى ختام حياته يقول ان أجمل وأسعد أيام عمره هى السنوات الثلاث الأولى التى كان حب أمه خالصا له فيها . وظل يحلم بمشاهد من تلك المرحلة الى ما بعد ذلك بأربعين عاما تقريبا .. أحلاما واضحة كانت عنصرا أساسيا من عناصر نظريته فى تفسير الأحلام !

وفى (فيينا) قيض له القدر أستاذا عظيما فى أبحاث وظائف الأعضاء تتلمذ عليه لست سنين ، وجهه فيها الأستاذ الى دراسة المخ والأعصاب ، فاستغرق فى هذه الدراسة حتى تخلف عن أجازة الطب ثلاث سنوات . وبعد تخرجه لم يعمل بالطب الا قليلا ، وحصل على منحة دراسية فى باريس لدراسة الأمراض العصبية على يد « شاركو » ، وهناك بدأت عنايته بعلاج الأمراض النفسية ، وخطر له مذهبه فى التحليل ، على ذلك الأساس الخطير الذى يجعل كل اختلال فى النفس نابعا من الكبت الجنسى الذى يعتبره فرويد مصدر جميع العلل والشرور النفسية ، حتى حينما يبدو المرض أبعد ما يكون عن الجنس ، ظاهريا ، كما هو الحال فى هذا النموذج البديع من نماذج مذهبه الفذ فى التحليل :

الآنسة لوسى ، والرائحة الوهمية !

● **كنا** فى أواخر العام عند ما حول الى طبيب من زملائى شابة انجليزية ذات تكوين رقيق وبشرة شاحبة اللون ، تدعى « لوسى » ، فى نحو الثلاثين من عمرها .. وكان يعالجها من التهاب تقيحى متكرر فى الأغشية المخاطية .. ثم ظهرت عليها فى النهاية أعراض جديدة شكت اليه منها، بيد أن هذا الطبيب الراسخ فى العلم لم يستطع تفسير هذه الأعراض الجديدة بأية اصابة عضوية موضعية . وكانت الفتاة قد فقدت قبل ظهور هذه الأعراض بمدة كل قدرة فى حاسة الشم لديها ، فقدانا تاما ،ولكنها صارت الآن تشكو باستمرار تقريبا من احساسات تتصل بحاسة الشم تنبع من ذاتها ، أى ليس لها مصدر موضوعى فى الأشياء المحيطة بها . وكانت تتأذى تأذيا شديدا من هذه الاحساسات التى تتعقبها وتسبب لها كربا بالغا . يضاف الى هذا أنها كانت تعانى فى الوقت نفسه من ارهاق عصبى ، وهبوط شديد فى الروح المعنوية ، وثقل فى الرأس ، ومن نقص مطرد فى الشهية ، وضعف فى الهمة والكفاية للعمل .

وكانت هذه الشابة تعيش فى بيت المدير الادارى لأحد المصانع فى ضواحى فيينا ، حيث تعمل مربية ، وكانت ـ فيما عدا علتها الأنفية ـ تتمتع بصحة جسدية طيبة . وقد أكدت لى عباراتها الأولى ما كان الطبيب قد ذكره لى عن حالتها جملة وتفصيلا . وفيما يتعلق بالأعراض الهستيرية ـ أى الاحساسات الشمية الوهمية المكربة ـ تبين لى أن أنفها فاقد كل احساس بالألم بوجه عام ، وان لم يفقد الحساسية للمس . وتأكدت بعد الفحص الاجمالى أن ذلك المرض الأنفى لم يقلل من مجالها البصرى . ووجدت أنفها عاجزا عن التأثر حتى بالمثيرات النفاذة مثل رائحة النوشادر !

الرائحة المتكررة التى تطاردها !

● **وكان** لابد فى محاولاتنا الأولى لفهم علتها أن نفسر تلك الاحساسات الشمية الوهمية المكربة بأنها أعراض هستيرية مزمنة ، ما دامت هذه الأوهام لها صفة التكرار والتواتر . أما انحطاط قواها المعنوية فلعله كان نتيجة للصدمة التى أحدثت الهستيريا ، وينبغى فى هذه الحالة أن يتسنى لنا العثور على تجربة حدثت لها فى الماضى تتضمن تلك الروائح بالذات ، بصفة فعلية موضوعية ، ثم تحولت لديها الآن الى روائح وهمية تنبع من ذاتها ، فلابد أن تلك التجربة كانت هى الصدمة التى ترمز لها فى ذاكرتها هذه الاحساسات الشمية المكربة . وينبغى أن نعتبر هذه الهلوسات الشمية المتكررة ، مع ما يصاحبها من انحطاط القوى المعنوية ، بمثابة « نوبات هستيرية » . ومن الجوهرى أن ندخل فى حسابنا أن هذه الروائح الوهمية لابد أن يكون لها مصدر خاص محدد يسمح بانبعاثها ، ابتداء من موضوع « واقعى » بالذات .

وسرعان ما صدق ظنى . فعندما سألتها ما هى هذه الرائحة المكربة التى ما تفتأ تلح عليها ، أجابتنى :

ــ انها رائحة حلوى « بودنج » محروق !

وبذلك لم أعد بحاجة الى مزيد من الاستقصاء عن فحوى التجربة التى سببت لها الصدمة الهستيرية . فالمفروض ان رائحة بودنج محترق صاحبت هذه التجربة ، وانه لمن الخارق للمألوف بلاشك أن يقع الاختيار على الاحساسات الشمية لتكون رموزا فى الذاكرة للصدمات الهستيرية . بيد أنه ليس من العسير العثور على تعليل لهذا الاختيار غير المألوف . فالمريضة كانت مصابة بالتهاب تقيحى متكرر فى الأغشية المخاطية ، ومن ثمة كان انتباهها مركزا على أنفها واحساساتها

الأنفية . وكان كل ما أعرفه عن ظروف حياة المريضة مقصورا على أن الطفلتين اللتين ترعاهما لم تكن لهما أم ، فقد ماتت هذه الأم بعلة حادة خاطفة قبل ذلك ببضع سنين .

وهكذا قررت أن أجعل رائحة البودنج المحروق نقطة الانطلاق للتحليل . وسأعرض سياق التحليل كما لو كان جرى فى ظروف مواتية . والحقيقة أن الجلسة الوحيدة التى كان مفترضا أن يتم فيها كل شىء امتدت فصارت عدة جلسات ، لأن المريضة لم يكن متاحا لها أن تزورنى الا فى مواعيد عيادتى ، مما جعلنى عاجزا عن تخصيص وقت طويل للقائها . ثم ان المناقشة الواحدة من هذا القبيل كانت تستغرق عدة زيارات ، يتجاوز موعدها الأسبوع الواحد ، لأن عمل المريضة لم يكن يسمح لها بموالاة الرحلة من المصنع الى دارى مرارا متلاحقة جدا ، ولذا كان علينا أن نقطع حديثنا بسرعة مراعاة لضيق الوقت ، مجازفين باستئناف الحديث فى المرة التالية ابتداء من نقطة مختلفة .

عجزه عن تنويمها مغناطيسيا !

● **وحاولت** أن أستخدم « الاستهواء » لتنويمها مغناطيسيا ، ولكن الآنسة لوسى لم تستغرق فى النوم . ولذا استغنيت عن التنويم الاستهوائى وسرت فى خطوات التحليل كلها والمريضة فى حالة يقظة طبيعية ..

ولابد لى هنا من الاشارة الى قصتى مع منهج التنويم المغناطيسى فى العلاج : فقد كان شائعا فى العقد الأخير من القرن الماضى أن التنويم المغناطيسى أقوى وأنجع وسيلة للعلاج النفسى . وحاولت أن أتعلم هذا المنهج الذائع الصيت على يد « برنهايم » فى عيادته ، وكان مشهورا بأنه من أساطينه ، وله فيه تلاميذ . **ولكن ما أن حاولت استخدام التنويم المغناطيسى**

مع مرضـاى حتى تبين لى أن قدراتى الشخصية على الأقل محدودة جدا فى هذا المجـال ، واننى ما لم أفلح فى تنويم أى مريض بعد تكرار المحاولة مرتين ، فلن يكون فى مقدورى فرض النوم عليه . وكانت النسبة المئوية للحالات الناجحة بين مرضاى أقل كثيرا جدا من النسبة التى أذاع برنهايم أنه حصل عليها فى تجاربه .

ولم ألبث أن أقلعت تماما عن اختبـار مدى نجاحى فى تنويم المريض ، لأن ذلك الاختبـار يثير فى كثير من الحالات مقاومة المريض ويزعزع ثقته بى . وأنا بحاجة الى هذه الثقة للمضى فى الجانب الأهم من العمل النفسى . وفى مرحلة تالية بدأت أسأم اطلاق الأوامر والتأكيدات من قبيل :

ــ ستنام .. أنت تشعر الآن بالنعاس . نم !

لأن المريض كان فى معظم الحالات يصيح محتجا :

ــ ولكنى لست نائما يا دكتور !

فأشعر بالحرج ، وان كنت أعتقد أن الكثيرين من الأطباء الذين يمارسون العلاج النفسى فى وسعهم أن يخرجوا من مثل هذه المآزق ببراعة تتجاوز مقدورى . أما أنا فوجدت ان خير ما أفعله هو التظاهر بالتخلى عن التنويم ، عنـدما أفشل فى فرضه على المريض فى المحاولة الأولى ، وأكتفى منه بالتركيز ، وألح فيه عليه ، فآمره بالاسـتلقاء ، والاسترخاء البدنى ، واغلاق عينيه استكمالا للتركيز المطلوب منه . ولعلنى بهـذا الأسلوب أحصل بأيسر جهد على أعمق مستوى للاسـتهواء يمكن الوصول اليه فى حالة هذا المريض بالذات .

وقررت أيضا ــ مهتديا بخبرتى ومحاولاتى ــ أن أفترض ابتـداء أن مرضاى يعرفون كل ما له علاقة بالمرض النفسى الذى يعانون منه ، وأن المسألة كلهـا تتوقف على نجاحى فى اجبارهم على الادلاء بكل ما يعرفونه فى هذا الصدد . **وعندما**

كنت أصل الى الحد الذى تجيبنى فيه المريضة عن سؤال من قبيل : « منذ متى يصيبك هذا العرض ؟ أو ما مصدره ؟ » ، بقولها : « الحقيقة انى لست أدرى . » .. كنت أتصرف على النحو التالى : أضع يدى على جبهة المريضة ، أو آخذ يدها بين يدى كلتيهما ، وأقول لها :

ـ ستفكرين فى هذا تحت ضغط يدى . وحينما أرخى يدى وأكف عن الضغط سترين شيئا ما أمام ناظريك المغلقين ، أو يمر بخاطرك شيء ما . تشبثى بهذا الشيء ، لأنه سيكون ضالتنا التى ننشدها .. والآن ماذا رأيت لتوك ، أو ماذا خطر ببالك ؟؟

وقد أدهشنى شخصيا أن هذه الطريقة عندما أستخدمتها لأول مرة (وكان ذلك مع مريضة أخرى غير الآنسة لوسى) أفاءت على بالضبط النتائج التى كنت بحاجة اليها . وفى وسعى أن أقول ان هذه الطريقة لم تخذلنى على الاطلاق تقريبا منذ تلك التجربة الأولى . بل كانت توجهنى دائما الى المنحى الذى ينبغى أن يسلكه التحليل ، وكانت تتيح لى دائما أن أمضى فى كل تحليل من هذا القبيل الى ختامه الطبيعى الصحيح بغير حاجة الى التنويم المغناطيسى أو الاستهوائى .

عندما تكتم المريضة أسرارها .. عن الطبيب !

● **وبمرور** الوقت صرت أشد ثقة بطريقتى هذه ، حتى لقد بلغ بى الأمر حينما يكون جواب مرضاى : « لست أرى شيئا . ولم يخطر ببالى شيء . » ، أن أرفض هذا القول وأعده مستحيلا ، وأوكد لهم أنهم على التحقيق فطنوا الى المطلوب ولكنهم رفضوا الاقرار بأنه هو ضالتنا (أى مصدر العرض المرضى) ولذا لم يدلوا به الى . ثم أقول لهم انى مستعد لتكرير الضغط بيدى على أيديهم ـ أو جباههم ـ ما شاؤا من

المرات ، وهم يقينا سيرون ذلك الشيء المرفوض بعينه فى كل مرة . وكان يتضح بالتجربة أن ما ذهبت اليه صحيح فى جميع الأحوال . وأن ملكة النقد لديهم لم تكن مسترخية ، ولذا رفضوا الذكرى التى برزت فى وجدانهم ، أو الفكرة التى خطرت لهم ، على أساس أنها غير ذات مدلول ولا علاقة لها بالموضوع ، ولا يمكن أن تخدمه . ولكن بعد أن يدلوا بها الى كان يتبين على الدوام أنها الضالة المنشودة ! . . وكان المريض أحيانا ـ بعد تكرير طريقة الضغط بيدى ثلاث مرات أو أربعا ـ يعقب على نجاحى فى استخراج المعلومات منه ، بقوله :

ـ الواقع يا دكتور انى كنت على وعى بهذا الشيء منذ أول محاولة ، ولكنه بالضبط مالا أود الافضاء به !

أو يقول : « ولكننى كنت آمل ألا يكون هذا هو المطلوب ! » .

والحقيقة أن طريقتى المجهدة ـ الأشد اجهادا على الأقل من استجواب المريض وهو واقع تحت تأثير التنويم المغناطيسى أو الاستهوائى ـ امتازت مع هذا بأنها كفلت لى الاستقلال عن ذلك التنويم ، وزودتنى بالبصيرة النافذة الى الدوافع التى تتحكم أكثر الأحيان فى « نسيان » الذكريات الهامة . وبوسعى أن أؤكد أن هذا النسيان متعمد ومرغوب فيه من جانب المريض فى أغلب الأحيان . وان نجاحه لا يمكن الا أن يكون ظاهريا . أى أننا متى ألححنا ، اكتشف المريض ما كان يظنه نسيا منسيا !

ولقد بلغ بى الأمر فى تطبيق هذه الطريقة حدا أدهشنى أكثر من هذا عندما استخرجت على هذا النحو الأرقام والتواريخ الدقيقة التى كان يبدو فى ظاهر الأمر أنها نسيت منذ أمد طويل . وهكذا ثبت لى الى أى مدى غير متوقع يمكن أن تبلغ الذاكرة البشرية فى دقتها ! . . وأستخلص مما تقدم

أن الخبرات التى كان لها علاقة هامة بنشأة المرض ، هى وكل ما يلازمها أو يقترن بها ، محفوظة فى ذاكرة المريض حتى حينما يبدو أنها منسية تماما ، بحيث يعتقد أنه عاجز عن استرجاعها .

وبعد هذا الاستطراد التوضيحى ، أعود الى حالة الآنسة لوسى ..

عندما تتداعى الذكريات !

● **لم تثمر** محاولاتى فى الايحاء ــ كما ذكرت آنفا ــ ولم أفلح فى تنويم الآنسة لوسى ، وقصارى الأمر أنها استلقت بهدوء فى درجة مواتية لاستقبال تأثيرى عليها ، مغلقة العينين طيلة الوقت ، وملامح وجهها متصلبة الى حد ما ، لا تتحرك فيها خلجة ، من فرعها الى قدمها ، فسألتها :

ــ أتذكرين أول مناسبة شممت فيها رائحة البودنج المحروق ؟

ــ أجل . أعرفها بالضبط . كان ذلك منذ شهرين ، قبل عيد ميلادى بيومين . وكنت مع الطفلتين فى قاعة الدرس ألعب معهما لعبة الطهو . وجىء الى بخطاب كان ساعى البريد قد تركه لى . ورأيت من طابع البريد ومن الخط الذى كتب به العنوان على المظروف أنه من والدتى التى تعيش فى (جلاسجو) بانجلترا . وأردت أن أفضه ولكن البنتين اندفعتا نحوى وانتزعتا الخطاب من يدى صائحتين : « كلا ! لا ينبغى أن تقرئيه الآن ! فلابد أنه موجه اليك بمناسبة عيد ميلادك ! سنحتفظ لك به ! » . وفيما كانت الطفلتان تلعبان هذه اللعبة معى ، دهمتنى رائحة قوية على حين غرة : فقد غفلتا عن البودنج الذى كانتا تطهوانه فأخذ يحترق . ومنذ ذلك الحين وتلك الرائحة تطاردنى . فهى هناك على الدوام ، ولكنها تشتد عندما يعترينى اضطراب .

ـ أيبدو لك هذا المنظر بوضوح أمام عينيك الآن ؟

ـ بحجمه الطبيعي ، وعلى نحو ما مرت بي خبرته بالضبط !

ـ فماذا عسى أن يكون فيه اذن مما أثار اضطرابك الى هذا الحد ؟

ـ لقد تأثرت لأن الطفلتين كانتا ودودتين معى بهذا الشكل .

ـ أو لم تكونا هكذا دواما ؟

ـ بلى ! ولكن هذا حدث منهما حينما وصلني خطاب أمى .

ـ لست أفهم لماذا توجد المفارقة بين مودة الطفلتين وخطاب والدتك . فهذا ما يبدو من مضمون كلامك !

ـ كان فى نيتى أن أعود الى بيت أمى ، وكان التفكير فى فراق البنتين العزيزتين يملأ جوانحى بالحزن .

ـ وما خطب والدتك ؟ هل استوحشت من الوحدة وأرسلت تدعوك اليها ؟ أم تراها كانت مريضة فى ذلك الحين ؟ أكنت تتوقعين منها أنباء ؟

ـ كلا . انها ليست قوية البنية جداً ، ولكنها ليست مريضة بالضبط . وهى تعيش مع مرافقة .

ـ لماذا اذن كنت تزمعين فراق البنتين ؟

ـ لم يعد فى مقدورى تحمل البقاء فى تلك الدار ، فمدبرة البيت والطاهية والمربية الفرنسية كن يحسبن فيما يبدو أنى أضع نفسى فوق منزلتى الحقيقية ، فتضامن فى مؤامرة صغيرة ضدى وتقولن على شتى الأقاويل لدى جد الطفلتين ، ولم اظفر من السيدين بكل التأييد الذى كنت أتوقعه عندما شكوت اليهما الأمر . فأشعرت المدير (والد الطفلتين) بعزمى على ترك العمل بعد فترة حددتها ، ريثما يتدبر الأمر ويستبدل بى غيرى ، وكان جوابه وديا للغاية . قال لى أنه يحسن بى أن أتروى فى الأمر أسبوعين قبل أن أطلعه على قرارى النهائى .

وكنت فى حـالة تردد وعدم ثقة فى ذلك الوقت فخطر لى أنه ينبغى على أن أغادر البيت ، ولكن الأمر انتهى بى الى البقاء .

— أثمة شيء معين كان يربطك بالفتاتين فيما عدا شغفهما بك ؟

— أجل . كانت أمهما الراحلة على قرابة بعيـدة بأمى . وكنت قد وعدتها وهى على فراش الموت اننى سأقف حيـاتى وما أملك من قوة على رعاية الطفلتين ، وأننى لن أفارقهما ، وسأحل لديهما محل الأم . ولا شـك فى أنى قد نكثت بهذا العهد عندما أبلغت والدهما برغبتى فى الرحيل !

الكبت المتعمد .. والسر الكامن وراءه !

● **وكانت** هـذه الاجابة تبـدو ختام تحليل ظاهرة الاحساس الشمى الوهمى لدى مريضتى . فها قد تبين ان هذا الاحساس الذاتى الوهمى يرجع أصله الى احساس شمى موضوعى ، هو احتراق البودنج بالفعـل فى أول مرة . وهو احساس له صلة حميمة واقتران وثيق بتجربة هى فى الواقع مشهد درامى أصطرعت فيه عواطف متعارضـة . ألا وهى تحسر المربية على فراق الطفلتين من جانب ، والصغائر التى كانت رغم كل شيء تحفزها الى اتخاذ قرار حاسم بهذا الفراق من الجانب الآخـر . وكان من الطبيعى أن يذكرها خطـاب والدتها بما لديها من أسباب لاتخـاذ هذا القرار الأليم ، لأن نيتها كانت معقودة على اللحاق بأمها متى غادرت ذلك البيت. وقد أدى التعارض بين عواطفها ، الى تصعيد وتحويل لحظـة وصول خطاب والدتها الى صـدمة . وبقيت الرائحة التى اقترنت بهذه الصدمة عالقة ملحة ، باعتبارها رمزا للصدمة !

ومع هذا كان لم يزل من الضرورى أن أجد تفسيرا لوقوع الاختيار على هذه الرائحة لتكون رمزا دون سـائر المدركات

الحسية التى قدمها لها ذلك المشهد . وكنت على استعداد للاستعانة بالالتهاب المزمن فى أنفها على تفسير هذه النقطة . وردا على سؤال مباشر قالت لى أنها فى ذلك الوقت بالضبط كانت مصابة بنوبة أخرى من البرد فى أنفها ، بحيث لم يكن فى وسعها تقريبا أن تشم شيئا على الاطلاق . ومع هذا فهى - لاضطرابها الشديد - استطاعت أن تحس رائحة البودنج المحروق التى تغلبت على فقدانها العضوى لحاسة الشم .

بيد أنى لم أكن راضيا عن هذا التفسير الذى وصلنا اليه بهذه الطريقة . كان كل شيء يبدو مقبولا جدا وعلى درجة عالية من الرجحان ، **ولكن شيئا ما كان يريبنى . كان ينقصنى تعليل كاف لكون هذه الاضطرابات العاطفية وهذا التعارض بين الانفعالات تؤدى الى تكوين أعراض الهستيريا ، دون أى أعراض أخرى لشيء آخر .** لماذا لا تستدعى الى ذاكرتها دواما المشهد نفسه ، بدلا من ذلك الاحساس المصاحب له الذى أفردته دون غيره حين اختارته رمزا لتلك الذكرى ؟ فالآنسة لوسى لم تصبها الهستيريا الا منذ تلك الصدمة ، أو على الأقل منذ تلك الحكاية الصغيرة عن متاعبها .

وكنت على علم من قبل - على هدى تحليل حالات مشابهة - انه لا بد من تحقق شرط جوهرى قبل الاصابة لأول مرة بالهستيريا . وأعنى بهذا الشرط أن تكون فكرة ما قد كبتت حتما وعمدا وأقصيت عن مجال الشعور الواعى ، وبالتالى عن كل الظروف الشعورية المرتبطة بها (وربما شمل هذا الاجراء أيضا جانبا من هذه الظروف ، امعانا فى كبت الفكرة الأصلية) . وأساس الكبت نفسه لا يمكن الا أن يكون شعورا بعدم الارتياح، بسبب عدم التوافق بين الفكرة الواحدة المطلوب كبتها وبين الكتلة المهيمنة على الشخص من الأفكار الاخرى، فتأخذ الفكرة المكبوتة ثأرها بأن تصبح مصدرا للمرض!

وبناء على هذه النظرية استنتجت من وقوع الآنسة لوسى فريسة للتحول الهستيرى فى تلك اللحظة أنه لابد أن يكون من بين عناصر الصدمة عنصر حرصت عامدة على تركه طى الخفاء، وبذلت جهدها كله كى تنساه !.. فاذا ما أخذنا فى الاعتبار تعلقها بالطفلتين ، وحساسيتها فى الوقت نفسه بخصوص أقاويل زملائها وزميلاتها من العاملين الآخرين فى البيت .. لم تبق الا نتيجة واحدة لا محيص منها !.. وكنت من الجرأة بحيث ذكرت لمريضتى ذلك التأويل . قلت لها :

ــ لا أستطيع أن أعتقد أن هذه هى كل أسباب مشاعرك نحو الطفلتين . **بل أعتقد أنك فعلا واقعة فى حب مخدومك المدير ، وان لم تفطنى الى ذلك شخصيا !.. وبذلك تضمرين الأمل فى الحلول محل أمهما على وجه الحقيقة ، حلولا ماديا فعليا كاملا . ثم علينا أيضا أن نتذكر الحساسية التى تشعرين بها الآن بازاء الخدم بعد أن عشت معهن سنوات فى سلام ودعة . ذلك أنك تخشين أن يكون لديهن فكرة غامضة عن آمالك وأمانيك فى هذا الصدد . وانهن يسخرن منك فيما بينهن !**

فأجابتنى بطريقتها المقتضبة المعتادة :

ــ أجل . أظن ان هذه هى الحقيقة !

ــ ولكن ان كنت تعرفين أنك تحبين مخدومك ، فلماذا لم تذكرى لى هذا ؟

ــ لم أكن أعرف انى أحبه . أو على الأصح لم أكن أريد أن أعرف هذا . بل كنت أريد أن أخرج هذه الفكرة من رأسى ولا أعود للتفكير فيها . وأعتقد انى أفلحت فى هذا آخر الأمر..

وليس فى مقدورى ــ ولا أنا حاولت ــ أن أقدم وصفا أفضل من هذا لتلك الحالة العقلية الغريبة التى يعرف فيها المرء شيئا ما ولا يعرفه فى الوقت نفسه ! وواضح أنه من

المستحيل على أى انسان أن يفهم ما تعنيه هذه الحالة من الثنائية أو الازدواج النفسى ما لم يكن هذا الانسان قد مر بمثل هذه الحالة شخصيا . أما أنا بالذات فقد مرت بى تجربة بارزة الأهمية من هذا القبيل لا تزال ماثلة فى ذهنى بوضوح . ولذا فهمت ما تعنيه الآنسة لوسى ، وسألتها :

– ولماذا لم تكونى ميالة للاعتراف بهذا الحب ؟ أتراك تشعرين بالخزى من حبك رجلا ؟

– لا . لا . أنا لست مفرطة الحياء ولا أجاوز فى احتشامى حدود المعقول . وأعلم أننا لسنا مسئولين عن مشاعرنا على كل حال . كل ما فى الامر أنه ثقل على نفسى وأورثنى الهم أنه مخدومى ، وانى فى خدمته وأعيش تحت سقفه وفى كنفه . ولذا لا أستطيع أن أشعر بالاستقلال ازاءه شعورى بالاستقلال ازاء أى شخص آخر . **ثم انى بعد هذا وذاك لست الا فتاة فقيرة ، وهو رجل طائل الثراء ومن أسرة راقية . فما من شك أن الناس حريون أن يسخروا منى لو أنهم فطنوا الى شىء من هذا !**

ولم تبدر منها بعد هذا مقاومة لالقاء الضوء على أصل هذا الميل الذى شعرت به نحو مخدومها ، فقالت لى انها عاشت السنوات القلائل الأولى فى داره سعيدة هانئة هادئة النفس ، تقوم بواجباتها فى طمأنينة خلية البال من الرغبات التى لا سبيل الى اشباعها . وكان مخدومها رجلا جادا ، لديه من الشواغل فوق طاقته ، ومسلكه ازاءها كان على الدوام مطبوعا بالتحفظ . الا أنه ذات يوم شرع معها فى حديث – أو على الأصح فى مناقشة – حول الخطوط العريضة التى يجب أن تتحراها فى تنشئة البنتين . وفى هذه المناسبة تخلى عن الرسميات قليلا وأضحى ودودا أكثر من المألوف منه .. وقال لها كم هو معتمد عليها فى رعاية طفلتيه اليتيمتين .. **ونظر**

صوبها وهو يقول هذه العبارة نظرة ذات معنى .. ومنذ هذه اللحظة بدأ حبها اياه . وسمحت لنفسها أن تهدهد وتنعش الآمال التى شيدت صروحها على أساس هذا الحديث . ولكنها عندما لم تجد منه ما يدل على اتخاذ خطوات ايجابية ، بل وذهب سدى كل ما توقعته بنفاد صبر ، فلم يدعها لجلسة ثانية يتبادلان فيها وجهات النظر ، قررت اقصاء المسألة كلها من ذهنها !

وقد وافقتنى الآنسة لوسى تمام الموافقة على أن النظرة التى رأتها منه أثناء حديثهما لعلها كانت ناجمة عن تفكيره فى زوجته الراحلة ، وذكرياته العاطفية عنها . وأقرت بلا تردد وبوضوح تام أنه لم يكن ثمة ما يدعو اطلاقا الظن بأن مشاعرها الحارة نحوه يمكن أن تكون متبادلة !

وتوقعت أن هذه المناقشة قد تتمخض عن تغيير جوهرى فى حالتها . بيد أن شيئا من هذا لم يحدث فى تلك الآونة ، فظلت روحها المعنوية هابطة ، وشعورها بالكرب وثبوط الهمة مستمرا . أجل كانت تشعر بشىء من الانتعاش فى الصباح بفضل علاج مائى وصفته لها فى ذلك الحين ، ولكن رائحة البودنج المحروق لم تختف كل الاختفاء ، وان أمست أقل انتيابا لها ، وأضعف وطأة . وقالت لى انها لم تعد تلم بها الا حينما تكون مضطربة النفس اضطرابا شديدا جدا .

البحث عن أسرار أخرى .. فى العقل الباطن !

● **وقادنى** الحاح هذا الرمز التذكارى الى الارتياب فى أن هذا العرض يمثل — بالاضافة الى المشهد الأساسى المكون للصدمة الرئيسية — صدمات كثيرة أقل شأنا ، متفرعة من ذلك المشهد . وعلى هذا الأساس طفقنا نفتش عن أى شىء آخر يمكن أن تكون له علاقة بمشهد البودنج المحترق . وخضنا

لهذا الغرض فى موضوع الخلافات البيتية مع الخدم ، وفى مسلك جد الفتاتين ، وما الى ذلك . وفى غضون هذه الفترة تعرضت معالجتها النفسية للانقطاع بعض الوقت لاصابتها بنوبة جديدة من المتاعب الأنفية ، وأدى فحصها فى ذلك الحين الى اكتشاف وجود تسوس فى عظام تجويفها الأنفى .

.. وعند عودتها لاستئناف العلاج ، أبلغتنى أنها تلقت فى مناسبة عيد الميلاد هدايا كثيرة جدا من السيدين ربى البيت ، بل ومن الخدم أيضا ، وكأنهم جميعا كانوا متلهفين على مصالحتها وترضيها ، ومحو كل ما علق بذاكرتها من مشكلات وشوائب الشهور القلائل الأخيرة . بيد أن كل هذه العلائم الدالة على النيات الطيبة نحوها لم تترك فى نفسها أثرا على الاطلاق !

وعندما سألتها مرة أخرى عن رائحة البودنج المحروق ، قالت لى انها اختفت تمام الاختفاء ، **الا أن رائحة أخرى مماثلة أخذت تزعجها . وهى رائحة تشبه ما ينبعث من دخان السيجار . وأضافت أنها تظن أن هذه الرائحة كانت موجودة أيضا من قبل ، بيد أنها لم تكن ظاهرة لأن رائحة البودنج المحروق كانت طاغية عليها . أما الآن فقد خلا لها الجو فبرزت منفردة .**

ولم أكن لأرضى عن نتائج العلاج بهذه الصورة . فما صنعت شيئا سوى أنى أجليت عن الميدان عرضا معينا للمرض كى يحل محله على الفور عرض آخر ، وهذا ما يؤخذ دائما على كل علاج ينصب على الأعراض دون غيرها . وعلى الفور لم أتردد فى بذل كل ما فى وسعى للتخلص من هذا العرض التذكرى الجديد ، وعن طريق التحليل أيضا . ولكن الآنسة لوسى لم تكن تدرى من أين جاءها هذه المرة ذلك الاحساس الشمى الذاتى (الوهمى) . ولا ما هى المناسبة الهامة التى كانت

المصدر الموضوعى (الواقعى) لهذه الرائحة الجديدة . وقالت لى فى ذلك الصدد :

ـ الناس يدخنون السيجار كل يوم فى دارنا ، ولست أدرى على الحقيقة هل هذه الرائحة التى أحسبها مرتبطة بمناسبة خاصة ، أو غير مرتبطة .

وعندئذ لجأت الى طريقتى المعهودة ، فألححت عليها أن تحاول التذكر تحت تأثير يدى الضاغطة على يدها . وكنت قد لاحظت أن ذكرياتها ذات طابع تشكيلى شديد الحيوية ، وأن ذاكرتها من النمط البصرى . وبالفعل برزت ـ تحت الحاحى ـ أمام ذهنها تدريجا صورة ما . وكان هذا البروز جزئيا ، وعلى مراحل ، وفى تلكؤ شديد . وكان المشهد الذى تراءى لها بهذه الصعوبة يمثل حجرة المائدة فى البيت الذى تعمل به ، حيث كانت مع الطفلتين فى انتظار عودة السيدين من المصنع لتناول الغداء :

ـ كنا جميعا جلوسا حول المائدة : السيدان والمربية الفرنسية ، ومدبرة البيت ، والطفلتان ، وأنا . ولكن هذا شبيه بما يحدث كل يوم ..

ـ واصلى تأمل المشهد الذى برز أمام ذهنك ، فسوف تكبر هذه الصورة وتتضح ، وتغدو أكثر تحديدا ودلالة !

ـ أجل ! معنا بالفعل ضيف ! انه رئيس الحسابات . وهو شيخ مسن ، شغوف بالطفلتين وكأنهما حفيدتاه . ولكنه يحضر الى الدار لتناول الغداء فى أحايين كثيرة جدا ، فليس فى هذا أيضا مغزى خاص ..

ـ اصبرى وثابرى على تأمل الصورة التى برزت أمام عين ذاكرتك ، فلابد أن شيئا معينا سيحدث ..

ـ ما من شىء يحدث . ها نحن ننهض عن المائدة . وها

هما البنتان تسلمان مودعتين للانصراف . وتصعدان كالعادة الى الطابق العلوى .

ــ ثم ماذا ؟

ــ انها لمناسبة خاصة بعد كل شيء ! هأنذا أتعرف على المشهد الآن . فقيما كانت الطفلتان تلقيان تحيتهما للانصراف حاول رئيس الحسابات أن يقبلهما . واستشاط مخدومى غضبا وصرح فى وجه الرجل فعلا ، صائحا به : « لا تقبل الطفلتين ! » .. وشعرت بطعنة فى قلبى . ولما كان السيدان فى تلك اللحظة قد شرعا فى تدخين السيجار ، فقد التصقت رائحة ذلك الدخان بذاكرتى !

هذا اذن مشهد ثان كان كامنا فى طبقة من النفس أبعد غورا من سابقتها ، ولكنه كالمشهد الأول سواء بسواء ، من حيث أنه قام بدور الصدمة وخلف وراءه رمزا تذكاريا . ولكن الى أى شيء ترجع فاعلية هذا المشهد ؟

وسألت الآنسة لوسى : « أى المشهدين وقع فى زمن سابق على الآخر : مشهد التدخين فى غرفة المائدة ، أو المشهد الذى احترق فيه البودنج ؟ »

ــ بل هذا المشهد فى حجرة المائدة الذى حدثتك بخبره الآن ،كان أسبق فى الزمن على مشهد البودنج المحروق بنحو شهرين .

ــ اذن لماذا شعرت بتلك الطعنة فى القلب حينما أوقف والد الطفلتين ذلك المحاسب المسن عن تقبيلهما ؟ فى حين أن توبيخه وزجره لم يكونا موجهين اليك ! ؟

ــ لم يكن محقا فى صياحه وزجره لشيخ مسن من أعز أصدقائه ، ثم انه فوق هذا وذاك كان ضيفا عليه فى داره . وكان بوسعه أن يقول ما يريد بهدوء .

— اذن فهو العنف واللهجة الحادة ما آلمك ؟ أشعرت بالضيق والحرج لأجله ، أم عساك قلت فى نفسك : « لئن كان بوسعه أن يكون بهذا العنف الشديد فى صدد شىء هين كهذا ، ومع صديق قديم ، وضيف تجب له الرعاية والتكريم ، فما أحراه اذن أن يكون أشد امعانا فى العنف معى لو أننى كنت زوجته ! »

— كلا ! ليس الأمر هكذا .

— ولكن له صلة على كل حال بعنفه . أليس كذلك ؟

— بلى . وبصدد تقبيل الطفلتين . فقد كان يكره ذلك على الدوام .

قبلة الضيفة على فم الطفلتين !

● **وشرعت** بعد الوصول الى هذه النتيجة (أعنى المشهد الثانى من المشاهد المطمورة المكونة للصدمة) أمارس معها طريقة الضغط على يدها وهى مسترخية مغمضة العينين ، تحت ايحاء بتذكر مزيد من الصور والمشاهد ، واذا بمشهد ثالث — أسبق زمنا أيضا من المشهدين السابقين — يبرز أمام ذهنها : وكان هذا المشهد الصدمة الفعالة حقا التى أضفت على مشهد حجرة المائدة ورئيس الحسابات المسن فاعنيته التى جعلت منه صدمة ظاهرية :

وقد وقع هذا المشهد الثالث قبل مشهد حجرة المائدة السالف ذكره ببضعة أشهر ، حينما حضرت سيدة من معارف مخدومها للزيارة ، **وعند انصرافها قبلت الطفلتين على ثغريهما . وكان والدهما حاضرا ، بيد أنه تمكن من كبح لسانه عن توجيه اللوم أو المنع الى السيدة الضيف . ولكنها ما أن غادرت الدار حتى انفجرت مراجل غضبه المكظوم على رأس المربية المسكينة « لوسى »** ، وقل لها انه يعتبرها مسئولة لو أن أى شخص قبل الطفلتين فى فمهما . وان

واجبها ألا تسمح بذلك ، وسوف تكون مذنبة مخلة بواجبها ان هى أذنت لأى انسان أو تركته يصنع ذلك الصنيع . وأنذرها أنه سيعهد بتربية طفلتيه الى غيرها ان تكرر ماحدث !

وقد جرت أحداث هذا المشهد فى الفترة التى كانت فيها لا تزال على اعتقادها بأنه يحبها ، ولذا كانت تعيش على أمل ، بل على توقع ، أن يطلب اليها الاجتماع به مرة أخرى لتبادل الحديث الودى عن البنتين . واذا بهذا المشهد يحطم آمالها ، فقالت فى نفسها :

ــ لئن كان فى مقدوره أن ينفجر غاضبا فى وجهى على هذا النحو ، موجها الى التهديدات لأمر تافه كهذا ــ لا يمكن أن أكون مسئولة عنه بأى شكل من الأشكال ــ فأنا اذن مخطئة فيما جنح اليه ظنى من حبه اياى . ومن رابع المستحيلات أن يكون قد طاف بوجدانه أى شعور دافىء نحوى ، والا لمنعه هذا الشعور من زجرى بغير حق ، ولعلمه كيف يعاملنى بمزيد من الرعاية والتلطف !

وكان هذا الأثر الأليم بغير شك هو الذى عاودها فى صورة طعنة أصابت القلب منها عندما حاول رئيس الحسابات تقبيل الطفلتين ، فزجره والدهما .

الكابوس .. الذى تبدد !

● **وبعد هذا** التحليل الأخير بيومين ، جاءت الآنسة لوسى لزيارتى التالية ، فلم أستطع منع نفسى من سؤالها :

ــ ما الذى جرى فجعلك تبدين سعيدة بهذه الصورة ؟

والحق انها كانت تبدو كما لو كانت شخصا آخر ، فهى باسمة الثغر رافعة الرأس ، حتى لقد ومض فى ظنى أنى ربما أكون أخطأت تصور الموقف ، وأن مربيــة الطفلتين صارت

أخيرا ـ رغم كل افتراضاتى ـ خطيبة والدهما !.. ولكنها بددت هذا الظن قائلة :

ـ لم يحدث شيء . كل ما فى الأمر أن الفرصة لم تتح لك كى ترى وجهى الحقيقى ، فأنت لم ترنى الا عليلة واهنة الهمة مكتئبة مكروبة .. بينما أنا فى حالتى الطبيعية مرحة على الدوام . وعندما صحوت صباح أمس ألفيت نفسى خالية البال ، وقد انجاب عن رأسى ما كان يعانيه من ثقل ملازم له منذ زمن ، وشعرت بأنى صرت صحيحة النفس ، ناعمة بالسكينة . وانى لكذلك منذ تلك اللحظة ، متفتحة للحياة .

ـ وماذا عن مطامحك ومشروعاتك المستقبلة بالنسبة للدار ومن فيها ؟

ـ ذهنى مستقر تماما وبكل وضوح فى هذا الصدد . فأنا مدركة كل الادراك أنه لا مطمح لى يتجاوز وضعى الراهن فى ذلك البيت ، ولن أشقى نفسى أسفا ولا تحسرا على شيء من هذا !

ـ وهل تراك ستتعاملين مع الخدم الآن بغير متاعب ؟

ـ أعتقد أن فرط حساسيتى كان المسئول الأوحد عن معظم ما حدث بينى وبينهن .

ـ ومخدومك ؟ أما زلت تحبينه ؟

ـ بلى ! انى أحبه قطعا . ولكن هذا لا يقدم ولا يؤخر فى الموضوع . ففى وسعى بعد كل شيء أن أحتفظ لنفسى بأفكارى ومشاعرى الخاصة .

وعندئذ فحصت أنفها فتبينت أن حساسيته للألم وللاثارة قد ارتدت طبيعية تماما على وجه التقريب . وصار فى مقدورها أيضا أن تميز بين الروائح ، وان كان هذا التميز غير حاسم ، ولا يحدث الا فى حالة الروائح القوية . وليس

فى مقدورى أن أحدد الى أى مدى كانت علتها الأنفية (الالتهاب المزمن التقيحى فى الأغشية المخاطية) ذات أثر فى اضعاف حاسة الشم لديها بهذه الصورة .

.. وشفيت المريضة نهائيا من الهستريا !

● **وقد** استغرق علاج مس لوسى بالتحليل تسعة أسابيع ، من مبدئه الى منتهاه . وبعد أربعة أشهر التقيت بمريضتى السابقة مصادفة فى أحد المصايف ، فوجدتها منشرحة الصدر مرحة ، وأكدت لى أن شفاءها لم تضطرب معالمه ، وان النوبات الهستيرية الشمية لم تعاودها على الاطلاق !

ولست ميالا للتقليل من أهمية هذه الحالة التى وصفت مراحلها آنفا ، مع أن المريضة لم تكن تعانى الا من هستيريا خفيفة ، قليلة الأعراض . ذلك أنى أعتبر هذه الحالة أنموذجا لذلك النمط من الهستريا الذى يمكن أن يصاب به شخص تخلو وراثته من الاصابة بأى نوع من أنواع الهستيريا ، وأن تأتى اصابة هذا الشخص نتيجة خبرات أو ضروب من التجربة عنيفة الأثر . ولست أعنى بخلو أسلاف الشخص من الهستيريا أنه خال شخصيا من كل استعداد للاصابة بها . فما من هستيريا ــ مهما كانت خفيفة ، كما فى هذه الحالة ــ يمكن أن تصيب شخصا ، ما لم يكن لديه استعداد بتكوينه النفسى للاصابة بها . وكل ما هناك أن الاستعداد الكامن لا يمكن التعرف عليه قبل أن تحدث الاصابة فعلا ..

المرأة .. عند سلامة موسى

(بقية المنشور فى صفحة ٥٨)

بشعة ، بل نقع فى شذوذات ذهنية وعاطفية ، فلا نحسن التفكير ، ولا نستطيع معالجة أى موضوع انسانى بذكاء ، فضلا عن عبقرية . ان الفصل بين الجنسين ، وقصر نشاطك الذهنى والجسمى على البيت ، قد ملأ هذا المجتمع المصرى بآثام وشرور كادت تحيل أفراده أو بعض أفراده الى حيوانات .

ثم قارنى بين المرأة المخدرة التى تلازم بيتها وتتبرج لزوجها وبين المرأة المنتجة العاملة : الاولى انفرادية تحمل فى نفسها جميع المساوىء التى تنشأ من الانانية الانفرادية ، فضلا عن تحديد ذهنها بالمحظورات والمحرجات ، أما الثانية فاجتماعية تحمل فى نفسها جميع الفضائل الاجتماعية ، وأولها حرية التفكير ، وحرية التجربة ، وحب الخير العام ..

أن أخطر ما تعملينه فى حياتك أيتها الفتاة هو اختيارك لزوجك ، ذلك أنك بهذا العمل قد أخذت رجلا سوف يحيا معك ويعاشرك طيلة عمرك ، وسوف يكون أبا لأبنـــائك ، وعلى قدر ما فيه من ميزات بيولوجية مثل الذكاء الفطرى والصحة الجسمية وجمـــال القوام والوجه سيكون كل ذلك أو معظمه فى أبنائك بالوراثة . ثم على قدر ما فيه من أخلاق وطموح وعادات سيكون كل ذلك أو معظمه فى أبنائك بالقدوة . فلا تهملى الدقة فى الاختيار ، واجعلى هدفك أن يكون هذا الرجل الذى تختارينه زوج العمر ، زوج الحياة ، بحيث لا تشكين أو تخافين من أن يسأمك ويتزوج غيرك بعد سنة أو سنتين .

ولن تعرفى ذلك الا اذا كنت قد تعرفت عليه قبل الزواج بجمـلة شهور ، أو بعام كامل ، تدرسين أخلاقه وأهدافه وفلسفته فى الحياة ، وآراءه الاجتماعية والانسانية ، ولذلك لا تتعجلى ولا تفترى ، بل تمهلى واستأنى .

والكلمة الاخيرة : لا تنفصلى عن المجتمـــع . فاذا استطعت أن تحترفى حرفة وأنت متزوجة فافعلى ، واذا لم تستطيعى ذلك فلا تكفى عن الاشتراك فى النشاط الاجتماعى ، بأن تكونى عضوة فى جمعية خيرية أو هيئة اجتماعية ، تزيد احساسك الاجتماعى وتربى ضميرك ، وتفتأ تذكرك بأنك انسانة ، قبل أن تكونى انثى !

البطولة امرأة!

جولستان الحسناء

قصة من التاريخ الفارسى القديم



بقلم : ابراهيم المصرى

هذه القصة ..

كان « البارتيون » - وهم قبائل انحدرت من شمال غرب آسيا - يحكمون بلاد فارس حتى عام ٢٢٦ للميلاد . ولكن البطل الفارسى الصميم « ارتكزرسيس » أعلن الثورة عليهم وحاربهم وحقق استقلال بلاده . ففى ذلك العام نفسه ، وفى قصر من القصور المجاورة لسهول مدينة (كرمان) حيث كانت رحى القتال ما تزال دائرة بين البارتيين وجيوش الفرس الاحرار ، وقعت حوادث هذه القصة التى يفخر بها التاريخ الفارسى .

- ١ -

⊙ **كان** الشريف الفارسى « سيروس » كهلا فى نحو الستين من عمره ، أشيب الشعر ، غليظ الأنف ، محدودب الظهر ، تبدو عليه مظاهر شيخوخة مبكرة ، يحاول ما استطاع أن يلطفها بروحه المرحة وحديثه العذب . وكان هذا الكهل الدميم يحب صبية فى الثانية والعشرين من عمرها هى النبيلة الشائقة الحسن « جولستان » زوجة السيد الرائع الجمال « رستم » . كانت هذه المرأة آخر حب فى حياة الكهل سيروس . وكان قد التقى بها لأول مرة فى احدى الحفلات بعد أن توفيت زوجته ، فهام بها ، وأسرع فتعرف الى زوجها ، واتصل به ، وأصبح صديقا حميما له ، وظل ثلاثة أعوام كاملة يزور قصر رستم دون أن ينطق لسانه بكلمة واحدة تنم عن حبه الخارق وعذابه العميق !

ولم يكن سيروس ينشد فى هذه الدنيا غير التطلع الى وجه جولستان ، وتأمل عينيها السوداوين الساحرتين ، والاستماع

لصوتها الساكن الرخيم ، ومراقبة ابتسامتها الرقيقة الحلوة وهى تنبثق من شفتيها الحمراوين أشبه بزهرة عجيبة لا تلبث ان تتفتح حتى تملأ الجو كله عبيرا وبهجة وطربا ..

والحق ان كتمان الحب ، وتقديس الحبيب ، والصبر على العذاب ، كانت فضائل تصدر عن عقيدة الشرف الراسخة التى كان يمجدها سيروس ويأخذ بها ، سواء فى عواطفه الخاصة أو فى سلوكه مع الناس ، أو فى وطنيته الصادقة التى طالما برهن عليها بسعيه المطرد لاستقلال بلاده ، وبذل أمواله لنصرة المجاهدين فى سخاء لا يبارى .. فعقيدة الشرف : فى المعاملة ، وفى الوطنية ، وفى الحب ، كانت شعاره . وكان هذا الشعار هو فخره وملاذه ، يحرص عليه فى دقة وصرامة وكبر ، ويستمد منه القوة يخنق بها غرامه فى أطواء نفسه وهو يبتسم فى المجتمع ويضحك ، ويتلوى فى الوحدة ويجأر ويبكى .. وكان يعلم علم اليقين أنه كهل ودميم ، وأن حبه عاطفة مستنكرة ومخبولة ومستحيلة التحقيق ، ومع ذلك فقد كان يتحمل ويرضى ، مكتفيا بنعمة النظر الى جولستان ، منتشيا بسماع صوتها الرخيم ، صامتا ثابتا متجلدا ، لا يشكو ولا يتململ ...

بيد أن مأساته لم تكن فى شعوره بلوعة ضعفه ، وحسرة عجزه ، ومرارة يأسه ، بل كانت فى شعوره بأن جولستان نفسها تتألم ، وانها تاعسة ومنكودة ، وانها تحب زوجها الى حد الهوس ، وان زوجها الرائع الجمال رستم ، يغرر بها ، ويضللها ، ويخدعها ، ويتبع كل حسناء عابرة حتى ولو كانت متبذلة وفاجرة ومن شر الغوانى .. فحب جولستان لزوجها كان لا يعذب الكهل العاشق المسكين بقدر ما كانت تعذبه خيانات الزوج الفاضحة ، وصورة الألم العميق المرتسم على محيا جولستان . وكان الكهل يعبدها ويتمنى أن يراها

سعيدة . وكان زوجها ينبذها ويأبى الا أن يجعل منها أشقى النساء . فهذا الشقاء هو الذى كان يحز فى صدر سيروس ، ويضاعف حبه ، ويملأ حياته كآبة وغما .

ولم يكن فى وسعه أن يبصر جولستان وهى تتألم . لم يكن فى مقدوره أن يلمحها وهى تبكى ، وتسبل أهدابها الطويلة على عينين ذابلتين متقرحتين بائستين . وأمضه عذابها ، وضاق صدره ذرعا بمسلك زوجها . فوطن النفس على بذل المستحيل كى يرد رستم الى جولستان ويسعدها ..

ولم يتردد ، وشرع يكافح . شرع ينصح الزوج ويرشده ، ويهديه ويوجهه ، ويبرز له محاسن امرأته ، ويشيد باخلاصها وولائها ، ويقارن ويفاضل بين مفاتنها البريئة الطاهرة وبين ما يكمن فى طباع الغوانى من غرائز منحرفة وفاتكة ، سداها العشق المبرح ، ولحمتها الخبث والدهاء ، والطمع والغدر .

وكان العاشق الكهل ينصح وهو يتجلد ، ويوفق وهو يتفطر ، ويحاول أن يقرب ويصلح والحسرة توشك أن تعتصر فؤاده ، وتفجر من عينيه الدموع . ولكن الزوج لم يتأثر ولم يحفل ، سخر من صديقه ، وصد عن امرأته ، وعاد يعب ظامئا من ملذاته دون ما وازع من رحمة ، أو رادع من خلق أو ضمير !

— ٢ —

● **وكان** رستم موزعا حياته بين النساء والحرب . ينخرط فى سلك النبلاء المتطوعين ويقاتل أعداء بلاده فترة ، ثم تستبد به شهواته فيهرع الى الغوانى ، ويظل أياما بطولها يعبث ويلهو ، حتى تعاوده نزوة الحرب فيكر راجعا الى ميدان القتال !

فهذا التوزع المنكر فى شخصيته ، هذا التوزع المقرون بالتجرد المطلق من فكرة الواجب وعقيدة الشرف ، كان هو

الرذيلة التى حاول الكهل سيروس أن يخنقها فيه ويحرره منها . غير أن رستم كان طائشا بالفطرة ، عربيدا بالسليقة ، لا يتذوق الحياة الا اذا عاش فى الفوضى ، وأطلق العنان لشتى غرائزه . فلما لم يكترث رستم لنصح سيروس واشتد اقباله على معاشرة الغوانى ، احتدم سخط جولستان وثارت كبرياؤها ، ونهشت قلبها الغيرة ، فشاع فى أخلاقها الوديعة الرقيقة تجهم طارىء سرعان ما اقترن بسهوم واجم مرهوب !

تحولت جولستان وتبدلت هى الأخرى . بدأت تنظر الى الحياة ، وتصبو الى الدنيا ، وترمق الشباب المعجبين بها ، وتفكر هى أيضا فى أن تعيش وتكيد وتنتقم ! .. زايلتها براءتها الناضرة ، وعزتها الراسخة ، وكرامتها الشامخة ، وراودتها الخلاعة ، وخالسها التبذل ، وأوشكت جاذبية الاغراء أن تجرفها وتجعل منها وهى السيدة النبيلة ، شبه غانية !

وأحس العاشق الكهل بتحولها وارتجف ! هاله أن تتدهور . هاله أن تتلوث . هاله أن يتحطم المثل الأعلى الذى صاغه منها وأحبه فيها . فجثا على الأرض ذات يوم أمامها ، وتوسل اليها أن تصون عرضها وتظل أفضل وأنبل من زوجها ، عساها أن تخجله يوما بصنيعها ، وتسترده فى النهاية وتنقذه وتنقذ نفسها ! .. بيد أن المرأة كانت قد استحالت الى مخلوقة موتورة حاقدة متربصة ، أظمأ ما تكون الى الثأر والتشفى ! .. واستشعر الفرسان الشباب تغيرها ، فترامو عند قدميها متسابقين . فتأملتهم والكمد يدفعها ، والخوف يلجمها ، وبقية باقية من عفة وحياء تحول بينها وبين القيام بالخطوة الفاصلة ، التى يتلهف قلبها الحاقد عليها . ولكن حقدها كان أقوى منها فضعفت ، وميزت من بين الفرسان شابا ، أقبلت عليه مختارة ، وهمت بأن تتصل به !

.. وعنـــدئذ لم يتردد الكهل سيروس ، وحزم أمره ، وأقسم أن ينقذها . آلى على نفسه أن يصرف الفارس الشاب عنها ، ولو تنكرت له المرأة ، وابغضته ، وطردته ! .. واتصل بالفارس الشاب فعلا وحذره . توعده بمكاشـــفة الزوج عن حقيقة نواياه . ففزع الشاب ، وتراجع واختفى .. فتنبهت جولستان وأدركت أن ســـيروس هو الذى فعل هـــذا . فاستهولت جرأته ، ونقمت عليه ، وقام بنفسها أن تتنكر له وتطرده . ولكن الرجلَ كان رقيقا ، وكان طيبا ، وكان فى حبه المخلص وغايته النبيلة شريفا حقا وعظيما . فأشفقت عليـه جولستان ، وأكبرت عاطفته ، وضنت بصداقته ، ولم يغضبها فى قرارة نفسها أنها حرصت بفضله على شرفها ، لأنها كانت فى الحقيقة ما تزال تحب زوجها ، وتأمل وهى تفكر فى الثـأر منه أن يثوب يوما الى رشده ، فيرتد اليها قبل أن تزل بهـا القـدم .

غير أن رستم الخليع كان فى خلال هذه المحاولات جميعا لا يرى ولا يسمع ولا يعى . كان ممعنا فى اعراضه ، سادرا فى غيه ، مطلقا العنان لشهواته ، مستغرقا لا فى اللهو فقط بل فى الحب .. كان قد وقع فى حب غانيـة مشهورة تدعى « امسترس » ، خلابة سلابة رواغة ، عرفت كيف تحتال عليه وتبتز ماله ، وتتفوق على اترابها جميعا وتتصيده .

وكان رستم قد تورط ورهن خفيـة بعض أملاكه ، وباع البعض الآخر لينفق عليها . فعلمت بذلك جولستان ، فاشتد سخطها وهياجها ، وطالعها شبح الخراب .. فعزمت أن تغامر بحبها وحياتها ، فاما أن يقهر زوجها غرائزه ويهجر عشيقته ، ويصبح لها وحدها ، واما أن تضحى به غير آسفة وتنفصل عنـــه !

وأحس سيروس أن الكأس توشك أن تفيض ، وأن ثورة جولستان قد تجرف فى طريقها كل شىء . فالتمس اليها أن تتعقل ، والتمس اليهـا أن تتريث ، وأن تدعه هو يتصل بزوجها ، ويحاول مرة أخرى أن ينبهه ويرشده ، ويوقظ فيه روح الشرف وحاسة الضمير . ولكن المرأة كان قد نفـد صبرها ، فانتهرت الكهل المسكين ، وصبت عليه جام غضبها ، وطردته ذات ليلة ، ثم استجمعت قواها وانتظرت مقـدم زوجها ، وتهيأت لمكاشفته بما علمت وبما استقر عليه عزمها !

وكان سيروس ينظر اليها مسلوب الحول طائر اللب ، ولا يستطيع حيال عزمها القاطع أن يعترض حتى بكلمة . فلما صرفته زاجرة آمرة ، خرج وهو مطرق الرأس عاجزا وذليلا ، وتنفست هى الصعداء ، ومضت فاستلقت على احدى الأرائك وراحت تفكر فى ماضيها وحاضرها ، وما يمكن أن ينتهى اليه فى غد مصير حياتها ..

– ٣ –

● غير أن كل شىء تبدل فى لحظة مروعة خاطفة ، ووقع ما لم يكن فى الحسبان : **تصاعد من الخارج فجأة صوت زوجها ، وكان الصوت أبح مزعجا متحشرجا ملهوفا . فأجفلت جولستان ونهضت ، وظلت واقفة شبه مأخوذة تتطلع وتلهث وتنتظر .**

ودخل رستم .. دخل جاحظ العينين ، غائر الوجنتين ، مشعث الشعر متهالكا ومنسحقا . فاندفعت اليه جولستان بالرغم منها ، وتلقته مذهولة بين ذراعيها ، واختلجت وانخلع قلبها . نسيت فى لحظة كل شىء .. نسيت ذلها وغيرتهـا وعذابها . نسيت حقدها وثورتها وعزمها ، وضمت زوجهـا فى عنف الى صدرها ، وهتفت به وقد استفاق حبها وغمرها بالشفقة واللهفة والحنان :

ـ ما بك ؟ تكلم ... ما بك ؟

فأجال رستم فى امرأته بصرا زائغا ثم دس فى جيبه يدا مرتعشة وأخرج منه كيســا مملوءا بالنقـود ، ألقى به على المنضدة وصرخ :

ـ من أجل هذا المال .. من أجل هذه الثروة .. بعت أنا يا جولستان كرامتى وضميرى وشرفى !

فحدقت اليه كمخبولة وحاولت أن تتكلم ، ولكنــه لم يمهلها ورفع رأسه جاهدا ، والتقط أنفاسه ، ومضى يقول وكلماته تتقطع وتتعاقب فى سرعة محمومة كأنها سيل منهمر :

ـ الوطنيون يطاردوننى ! انهم الآن فى أثرى .. اتفهمين ؟ كنت فى حاجة الى مال .. الى مزيد من المـال أنفقــه على « أمسترس » .. على عشيقتى .. فلم أتورع ، وتجردت من سلاحى ، وتركته فى مخدع أمسترس ، ثم انسللت الى خطوط أعدائنا ، أعدائنا البارتيين ، واتصلت بهم ، وساومتهم على أسرار جيشــنا ، وبصرتهم بكمين كان قد أعده لهم بعض جنودنا . فأطبق البارتيون فجأة عليهم وجردوهم من سلاحهم وذبحوهم .. ذبحوهم .. **ولكن قائدهم الفارسى نجا بأعجوبة فأبصرنى .. لمح طيفى فى الظلام الدامس وأنا أكر راجعا الى خطوطنا وألوذ بالفرار . فأيقن من جريمتى ، وتعقبنى ليعرفنى ، فانطلقت أركض كمعتوه عساى أن أصل الى هنا قبل أن يتبين الرجل موقع بيتى ، ولكنه رآنى .. رآنى وأنا أدخل البيت . رآنى وان كان لم يعرفنى ، فطفق يصرخ ويتوعدنى . ولما كان أعزل من الســلاح فقد انكفأ راجعا وتغلغل فى بطن الظـلام واختفى .** فهلع قلبى ، وصعدت الدرج وثبا ، فالتقيت بسيروس وهو خارج من عنــدك . فتشبثت به وقصصت عليه فى بضع كلمات ما حدث ، والتمست منه أن ينقذنى ، فذهل الرجل وظل يرتجف ، ثم سبح فترة وشرد ؛ ثم أطرق

برأسه وألقى على نظرة رثاء مزقتنى . ثم وعدنى بأن يذهب الى عمدة القرية ويستخدم نفوذه لديه لانقاذى .. انقاذى ؟ أممكن هذا ؟ ان سيروس لن يلوث شرفه ويشفع لى ! أما العمدة فلن يستطيع أن يتنكر لواجبه وينقذنى . وأما أنا فلو فررت فستثبت التهمة على ! لا بد اذن من الخضوع والتسليم ! سيكون القائد ورفاقه هنا بعد لحظات .. وسأحاكم .. سأحاكم وأعدم شنقا يا جولستان .. فاشفقى على ، واصفحى عنى . فأنا سأموت ولكنى أعلم بأنى أستحق أن أموت ! لقد عذبتك وأشقيتك ، وجلبت عليك العار ! لقد ختم الحب الأثيم على بصرى . لم تكن لى فى الحياة غاية غير شهواتى . أجل كنت وضيعا . كنت حقيرا . كنت دنيئا . **ومع ذلك فأنا أشعر الآن أن ندمى الصادق يمحو جرائمى ، وان حبل المشنقة لا يخيفنى ، لأنى كرهت نفسى وكرهت الحمأة الملعونة التى كنت أتمرغ فيها راتعا فى رذائلى ! فاشفقى على يا جولستان ولا تحزنى ! لا تحزنى بل ابتهجى . ابتهجى ليقظتى ، وقدرى توبتى وندمى واصفحى عنى !**

وانتفض انتفاضا عنيفا وبكى . فأرسلت جولستان صيحة ملتاعة ، واتجهت ببصرها نحو خنجر صغير كان مثبتا فى الحائط ، فانتزعته وقالت :

ـ بهذا سأقضى على نفسى لو قتلوك يا رستم !

فصاح وهو يجردها من السلاح ويلقى به على المنضدة :

ـ بل يجب أن تعيشى لأمضى أنا مثلج الصدر قريرا ، شاعرا على الأقل بأننى قد أنقذتك منى وأسعدتك !

فتمزق قلب المرأة ولم تجب . وتحسست بدن زوجها فى خبال ، وروعها أن يعود اليها نادما مستغفرا متساميا ثم تفقده . فطفقت تقبله وتضمه الى صدرها . وانهمرت دموع الحسرة من عينيها ، واحتواها اليأس والرعب .. ولبث

الزوجان فترة طويلة تائهين شاردين متعانقين ، يلوذ الواحد منهما بالآخر ، وينصت كلاهما الى وقع أنفاسهما المتعاقبة المتهافتة ، وهما يختلسان النظر الى الباب وينتظران حكم القدر ..

- ٤ -

● **وفجأة** ، ومن خلال الصمت الزافر كأنه ضباب عاصفة ، ترامت الى سمعهما حركة بعيدة ، ضجة غريبة مشوشة وغامضة . فاقشعر بدن رستم ، واستبد الرعب بجولستان ، وفتحت النافذة الكبيرة وحدقت الى السهل الفسيح .. وانجذب زوجها الى منطلق الصوت فتبعها ، وتفرس فى الظلام الحالك مثلها ، وحاول أيضا أن يسمع ويتبين ويرى ..

وفى تلك اللحظة ، وبينما الزوجان يطلان على السهل الفسيح ، اشتدت الجلبة واحتدمت الأصوات ، ثم خفتت بغتة وتصاعد من بينها صوت بعيد . صوت عميق . صوت فيه أمر وفيه قضاء . فارتعشت جولستان ونظرت الى زوجها مستفسرة ، ثم اتقد وجهها على الفور ، واندلعت عيناها ، وملكتها فكرة لم تستطع أن تقاومها . فاندفعت نحو الباب وفتحته ، وهمت بأن تهبط الدرج . ولكنها لم تكد تفعل حتى تراجعت وهبط قلبها فى صدرها .

أبصرت فلاحة من خدمها مقبلة عليها ، تلطم وجهها بكفها ، وتلهث وتجهش بالبكاء . فثار ثائر جولستان وصاحت بها :

ـ كيف تركت بيتك وزوجك فى مثل هذه الساعة ؟ ما الذى أيقظك وماذا حدث ؟

فتطلعت الفلاحة فى ذعر الى سيدتها وقالت وهى تبكى :

ـ لقد قتلوا سيدى الشريف سيروس !

فصرخت جولستان

ـ ماذا تقولين ؟

فغمغمت المرأة :

ـ لقد اعترف ، أمامنا .. اعترف بأنه هو .. هو الذى بصر العدو بالكمين الذى قد أعده له جنودنا . فحاكمه القائد ورفاقه وأعدموه الآن شنقا فى الساحة الكبرى !

فغام الجو فى عينى جولستان ، وأحست كأن الأرض تميد تحت قدميها .. فصرفت الفلاحة ولبثت لحظة شاردة .. ثم التهب فكرها واضطرم خيالها وازدحمت فى ذهنها الأطياف والرؤى ، وتمثل لها سيروس .. تمثل لها الكهل المسكين ،بشعره الأشيب ، وفمه الغليظ ، ووجهه الدميم . فتأملته وهى ترتعش . وخيل اليها أنه يدنو منها ، ويطيب خاطرها ، ويسرى عنها ، وأن فيضا ساحرا من النور يتدفق منه وينسكب عليها . فاختلجت وأدركت الى أى حد بلغ حبه العظيم لها ، ولأية غاية سامية ضحى الرجل بنفسه وقضى . فأغمضت عينيها خاضعة ومعجبة ، مشفقة ومكبرة ، ثم تحركت واستدارت ومشت كمن يحلم ، واتجهت نحو قرينها ، اتجهت نحو رستم ولكنها ما آن قاربته وواجهته وحدقت فيه ، حتى بهتت .. بهتت وارتعدت .. ارتعدت وفغرت فاها كبلهاء .. أبصرت زوجها ، زوجها نفسه ، زوجها الذى كان يتخبط الآن ويجأر ويبكى ، مشرق العينين ، ملتمع الوجنتين ، متألق التقاطيع ، ينظر اليها فى سكون هانىء واثق مطمئن ، ويحرك شفتيه فى لهفة محتجزة كأنما هو يهم بأن يهتف أو يبتسم . فطاش صوابها ، وأمسكت به ، وهزته من ذراعه هزا عنيفا ، وقالت :

ـ ألم تسمع ؟ الرجل قد مات ! مات من أجلنا ! ضحى بنفسه من أجلنا ! فما الذى اعتزمته ؟ وماذا فى نيتك أن تفعل ؟

فلم يستطع رستم كبح عواطفه ، وغلبته فرحته فابتسم فعلا ، ثم لوح بيديه تلويح اليأس وقال :

ـ وهل فى وسعى أنا أن أرد اليه الحياة ؟

فتفرست فيه جولستان لتفهم ، فلم يعبأ بها واستطرد يقول :

ـ انى لأقدر عظمة الرجل وقيمة نبله وتضحيته ، وفهمه لمعنى الصداقة . بل أشعر أن خسارة أنسان مثله لا يمكن أن تعوض . ولكن ما حيلتى ؟.. ما ذنبى ؟.. ان ما يعزينى هو أنه كان رجلا طاعنا فى السن ، ولم يكن فى مقدوره أن يعيش أكثر مما عاش ... على أنه قد مات بمحض ارادته ، ولست أنا المسئول عن تضحيته . ان واجبى الآن هو أن أذكره بالخير وأهتم بحياتك وحياتى فقط .. فاياك أن تنسى يا جولستان أن الشبهة ما تزال حائمة حولنا .. حول بيتنا .. وان القائد قد يحقق معنا فى أية لحظة . فاضبطى أعصابك ، وانظرى الى الواقع .. انظرى الى زوجك ومستقبلك .. صحيح انى قد أسأت اليك فى الماضى وعبثت بك وخدعتك ، وبددت معظم ما أملك على الغوانى . ولكن هذه الحادثة بدلتنى .. أيقظتنى .. فأنا أقسم ، أقسم لك يا جولستان أنى سأظل وفيا لك طوال حياتى ، وأنى لن أخون عهدك بعد اليوم أبدا .. سأكون لك وحدك ! وسأتخذ من هذه الثروة .. من هذه النجدة .. هذه النجدة غير المنتظرة ، وسيلة لانقاذ نفسى من الخراب واسعادك .

فلم تصدق المرأة سمعها وذهلت . خيل اليها أنها قد فقدت رشدها . فأشارت الى المنضدة الجاثم فوقها كيس النقود وصرخت :

ـ أفى نيتك أن تستولى على هذا المال ؟

فأجاب ضاحكا :

ـ وهل تريدين أن أسلمه الى القائد وأموت ؟

فقالت وهى ترتجف :

ـ ولكن هـذا المال هو ثمن خيـانتك ، هو ثمن أرواح اخوانك ، وثمن جثة الرجل العظيم الذى مات شهيدا من أجلك !

فقال ساخرا :

ـ واذن فيجب أن أبعث الأموات ، وأقتل الأحياء ، وألقى بهذه الثروة من النافذة ؟

فعاجلته بنظرة صاعقة وقالت :

ـ لا بل يجب أن تهبها لأسر ضحاياك ! لزوجات وأبنـاء جنودنا الذين قتلوا بسببك !

فعيل صبر رستم وقال :

ـ لست من الغبـاء بحيث تسعى الى النعمة فأركلهـا بقدمى ! أنت امرأة عاطفية حمقاء . أما أنا فلن أتغفل نفسى ولن أتنكر لحظى ولن أفرط فى هذا المال أبدا !

فدنت منه جولستان ، وتأملته . تأملت عينيه المتقدتين ، وشفتيه المتلهفتين ، ووجهه المتصلب المتورم المحموم ، وهالها تبدله الطارىء المنكر المخزى . هالها اسفافه واصراره وطمعه وغلظتـه . فارتدت عنـه متأبية مستنكرة ، ثم قالت وقد تحـولت عواطفها ، وأخـذ الاشمئزاز بمخنقها ، ودوت فى صوتها عوامل الحنق والسخط والاحتقار :

ـ لو كنت شهما لما ترددت فى أن تفرط فى كل شىء .. فى المال وفى حياتك أيضا !.. كان الواجب يقتضيك بعد أن مات سيروس حافظا عليـك شرفك وحاملا عنـك عبء جريمتك ، أن تكفر أنت عن هذه الجريمة النكراء بنبذك المال الذى جنيته منها وانخراطك فورا فى صفوف المجاهدين !

هذا ما كنت أتوقعه منك بعد أن سمعت اعترافك ! هذا ما كنت أعتقد أنه لا بد أن يصدر عنك بعد توبتك ! ولكنك لم تتغير ! أتسمع ؟ لم تتغير .. لقد خدعتنى مرة أخرى ! ولقد صدقتك . . صدقتك أنا . . صدقت توبتك وندمك لأنك أنت كنت تصدق نفسك . . كنت تمثل على نفسك .. كنت وأنت تخدعنى تخدع فى الوقت ذاته نفسك وأنت لا تدرى ! أجل . أنت مجبول على التلون كحرباء . أنت مطبوع على سرعة التقلب كغانية . . كغانية لا تفتأ ترقب الريح لتتبعها متى هبت فى مصلحتها ! **فأنت ما زلت أنت ! الحياة عندك أغلى من الشرف ، والمال أثمن من الضمير ! وغاية ما تنشده فى صميم نفسك هو أن تعود الى عشيقتك وتنبذنى ، وتنعم بالمال والعشيقة ومظهر الشرف على حسابى وحساب ضحيتك وضحاياك !.. فأين ، أين أنت من عظمة سيروس ؟ أين أنت من عظمة الشهيد المسكين ؟ انك لغير خليق بأن تعقد له رباط حذائه ! أتظن أنه قد ضحى بنفسه لتعيش أنت ، أنت أيها الخائن المجرم ؟** لا .. لقد ضحى بنفسه لتدرك أنت واجبك ، فتكفر عن جرمك بأن تنبذ المال وتقاتل فى صفوف جنودنا مختارا وتموت ، فيسلم شرفك وشرفى ولا يقال عنك أنك كنت خائنا وانى أنا كنت زوجة لخائن ! هذا ما أراده الشهيد ! هذا ما أراده لأنه كان يحبنى !.. أتسمع ؟ كان يحبنى فى شرف ، ويأبى الا أن تموت أنت فى شرف وأعيش أنا فى شرف ولو فقدتك ! ولو أنه رآك الآن وأنت تضن بحياتك على وطنك وتريد فوق هذا أن تقبض ثمن ضحاياك ، لبصق فى وجهك الحقير الدميم ثم قتلك ! لا .. لن أدعك تمد يدك الى هذا المال وفى صدرى نفس يتردد !

فذهبت الاهانة بلب رستم ، ومشى الى المرأة متحفزا وصاح :

— هذا المال فى حوزتى ، وسأحرص عليه جهدى ، فحذار ..

واندفع وهم بأن يمد يده الى الكيس . **ولكن المرأة غافلته وهو مذهول ، واستلت الخنجر الجاثم فوق المنضدة ، ثم أنشبت فى الكيس أصابعها واختطفته ، ثم عدت صوب الباب وقالت فى صوت غائر وحشى وهى تلوح بالخنجر فى وجه رستم وتهدر :**

— هذا الكيس يحمل شعار أعدائنا ويتهمك ! وما دمت تؤثر الحياة وتأبى الا أن تظفر بهذا المال الملوث على حساب شرفك ، فأنا .. أنا أيضا لن أحفل بسمعتى وشرفى ولا بأن يقال عنى انى كنت زوجة لخائن ! سأضع العدل فوق الشرف . بل سأجعل الشرف فى خدمة العدل ! أنا .. أنا التى سأبلغ عنك يا رستم !

وقبل أن يلحق بها وينقض عليها ، مرقت من الباب كالسهم ، وأسرعت فأوصدته خلفها بالمفتاح . فجن جنون الرجل وطفق يضرب الباب ويدفعه فى عنف حتى حطمه ، ثم انطلق فى الظلام الدامس يصرخ وينادى امرأته . وما ان لمحها وهى تركض حتى حث الخطى فى أثرها ، وظل يصرخ متوسلا ويناديها . **ولكنها كانت قد قطعت الطريق كله ، واجتازت السهل الفسيح ، وأشرفت على خيمة القائد ، وبلغت خطوط المجاهدين .. فغشى الظلام عينى رستم ، وطوح به اليأس والرعب ، فتوقف متهالكا وجمد . ثم خارت قواه بغتة ، وتداعى ، وسقط على الأرض مغشيا عليه !**

وفى الليلة نفسها ، حوكم السيد النبيل ((رستم)) ، وأعدم شنقا فى الساحة الكبرى عند مطلع الفجر !

....

المرأة .. عند توفيق الحكيم

مع ((حواء)) !

● **ضغطت** العصا على زر الجهاز الذى يصل الأحياء بالأموات ، وطلبت حواء .. فسمع صوت آت من بعيد :

ـ أنا حواء .. من يطلبنى ؟

ـ هنا الدنيا ! .. نهارك سعيد .

ـ نهارك سعيد ؟ أى نهار تعني يا هـذا ؟ .. وما معنى النهـار ؟

ـ عفوا ؟ .. نسيت أنه لا يوجد عندكم نهار ولا ليل ! بماذا أجيبك اذن يا أم البشر ؟ كيف يسلم بعضكم على بعض فى الآخرة ؟

ـ لا حاجة بنا الى ذلك .. ماذا تريد منى ؟ .. لا تضيع الوقت فى التافه من الكلام .

ـ هل آدم معك ؟ .. ليكن فى علمك انى طلبت محادثتك على انفراد .

ـ اطمئن .. انه اعتاد من زمن طويل ، منـذ كنا على الأرض ، أن يسد أذنيه عن محادثاتى الخاصة .

ـ وهل كانت لك محادثات خاصة على الأرض ؟

ـ طبعا .. ومن قبل أن نهبط على الأرض .. ألم أحادث الحية طويلا ؟ لقد كان آدم يرى كل شىء ويتظاهر بالصمم . وعند ما أخبرته بجمال شجرة التفاح سمى عملى اغـراء .. وعند ما سئل عن حديثى مع الحية قال : انه لا يستطيع منع امرأة من الحديث والثرثرة !

ـ حقا .. انه يلقى عليك أنت كل التبعة فى اخراجه من الجنـة !

(البقية فى الملزمة الأخيرة من هذا العدد)

الخيانة في امرأة!

"هيلينا" الحسناء

قصة من مآسى وأمجاد تاريخ الإغريق القدماء



بقلم : ١ ٠ م ٠

.. وهذه القصة !

عزيزى القارىء ..

فى القصة السابقة قدم لنا الكاتب الكبير ابراهيم المصرى قصة بطولةامرأة . وهو هنا يستوحى لنا من التاريخ قصة .. خيانةامرأة !

.. ففى الحرب التى نشبت بين اليونان والفرس فى سهل (ماراتون) ، عام ٤٩٠ قبل الميلاد ، دافع اليونانيون عن استقلالهم دفاعا مجيدا . وخلال تلك الحرب وقعت حوادث هذه القصة ، التى كان لها أكبر الاثر فى النصر العظيم الذى أحرزه اليونانيون بزعامة قائدهم القدير « ملتيادس » ، على أعدائهم الفرس .

- ١ -

● فى مساء ذلك اليوم الساكن الهادىء ، وقبل نشوب معركة « ماراتون » بثلاثة أيام ، كان الشريف اليونانى « هرمس » ـ عمدة قرية ماراتون ـ وأولاده الشبان الثلاثة ، مجتمعين فى احدى حجرات بيتهم يتشاورون فى أفضل خطة يمكن أن يأخذوا بها للنزول على أمر قائدهم « ملتيادس » ، والتسلل الى صفوف العدو ، واشعال النار فى احدى سفنه الكبرى المرابطة فى ميناء ماراتون .. ولم يكن فى وسع العمدة الكهل هرمس أن يغامر بمسئوليات منصبه ، وينهض فى تلك الليلة بمثل هذا العمل الخطير ، مستهدفا لموت محقق ، فعهد بالمهمة الى ابنه الأكبر « شالكاس » ، رغم اعتراض ولديه الآخرين ، اللذين تمنى كل منهما لو وقع اختيار والده عليه !

وبعد أن أفضى هرمس بتفاصيل الخطة الى ابنه الأكبر ، جذبه من كتفه ، وقاده الى تمثال صغير للاله ابولون ، وطلب اليه أن يؤكد تضحيته بقسم ، فأحنى الشاب رأسه ، ورفع

ذراعه ، وأقسم بالاله العظيم أن يذعن للأمر ، ويكتم السر ، وانه يقبل التضحية . **وكان يجب على الشاب أن يتنكر فى زى جندى فارسى هرب من الأسر ، وأن ينطلق هذه الليلة فى الظلام الدامس ، مزودا ببعض المواد المحرقة ، فيزحف على بطنه ساعات طويلة حتى يبلغ السفينة ، فيغافل حراسها ، ويصعد اليها ، ويضرم فيها النار ، ويموت مع جنودها وملاحيها وربانها أمير البحر الفارسى الشهير باسم ((هزاد)) .**

وكان الشاب يؤدى القسم ، وأخواه ينظران اليه فى خشوع واعجاب ، وأمه السيدة الشريفة الرائعة الجمال ((هيلينا)) تنظر اليه من خلال أهدابها الوطفاء ، وتهز رأسها هزا خفيفا ، وتبتسم ابتسامة آسفة مشفقة ، وهى تعض بأسنانها البراقة على شفتيها الحمراوين الناتئتين .. فلما فرغ الشاب من تأدية القسم ، تحول نحو أمه وقبلها . فقبلته بدورها ولم تتكلم . فاستغرب الكل جمودها ، ولكنها غالبت نفسها ، وكبحت عواطفها ، وأعربت لابنها الأكبر عن اعجابها بوطنيته الصادقة .. ثم ضمته الى صدرها ، وقبلته قبلة ثانية ، حاولت جهدها أن تجعلها حارة مشبوبة !

وتفرق الجميع ، وذهب العمدة هرمس الى مقر منصبه . واستدعى الاخوة الثلاثة زوج عمتهم المهندس المعمارى ((أوريون)) وانطلقوا فى صحبته الى المعبد المجاور لبيتهم ، حيث تحتم التقاليد على الأخ الأكبر أن يؤدى صلاة قصيرة تهبه العزم والقوة ، قبل اقدامه على التضحية والفداء . أما الأم فقد لبثت فى مكانها ساهمة شاردة ، ثم تحاملت على نفسها فجأة ونهضت . نهضت وأغلقت أبواب الحجرة ثم عادت وارتمت على مقعد ، ونظرت فى مرآتها ، ثم انتزعت من صدرها قلادة يتدلى منها شبه قلب من ذهب ، سرعان

ما فتحته وتأملت فيه رسما لرجل ، وطفقت تقبل الرسم ويدها ترتعش ، وأعضاؤها تختلج ، وعيناها تلمعان !

— ٢ —

وفى تلك اللحظة نفسها كانت « ديميترا » أخت زوجها ، قابعة فى غرفة بعيدة من غرف البيت ، تتأمل هى أيضا رسما آخر ، عثرت عليه فى أحد أدراج خزانة صغيرة ، اعتاد قرينها المهندس المعمارى « أوريون » أن يضع فيه رسومه وأوراقه ورسائله . وكانت الشكوك قد ساورت ذهن ديميترا منذ أسابيع . كانت تحس احساسا قويا عنيفا أن هناك علاقة أثيمة منكرة تجمع بين قرينها « أوريون » ، وزوجة شقيقها الحسناء الفاتنة « هيلينا » . فاصطنعت لخزانة أوريون مفتاحا ، وتمكنت فى مثل لمح الطرف من معرفة كل شىء !

وها هى ذى ديميترا تحدق الى الرسم وترتجف . بل ها هى ذى تنعم النظر فى أوراق زوجها ورسائله ، وتقرؤها ، وقلبها المطعون يكاد ينزف دما .. فالرسم فظيع ، وقد أبدعه ولا شك فنان ماهر . كان الرسم يمثل قرينها أوريون وزوجة شقيقها هيلينا ، متعانقين عناق الشهوة الفاضحة ، والحب المحرم ، والهوى الأثيم !

أما الرسائل فأمرها كان أعجب وأخطر وأفظع . لم تكن رسائل حب بين العاشقين فحسب . بل كانت فوق ذلك رسائل نقمة وتمرد على القائد ملتيادس ، وخيانة للأمة والوطن !.. كانت هيلينا تقول فى رسائلها لعشيقها انها معجبة بحضارة الفرس أعداء بلادها ، وأن الفرس يجب أن يقهروا اليونان ليمدنوها ، وأن الحرب ضد الفرس لا جدوى منها ، وأن على عشيقها اذا كان حقا يحبها أن يسرع فيتصل

بالوجيه اليونانى « هيباس » الذى يتزعم ، فى الجبال ، حركة التفاهم مع الأعداء ، وأن يسانده فى كفاحه ، بغية عقد صلح يجنب اليونانيين ويلات الحرب ، ولو قضى القضاء المبرم على كل أمل لهم فى الحرية والاستقلال !

وأدركت ديميترا من فحوى الرسائل أن زوجها أوريون قد عمل بنصيحة عشيقته ، وانه اتصل فعـــلا بالخائن هيباس !.. فضمت يدها على الرسائل كأنها تقبض على عنق عدو لتخنقـه . وامتقع وجهها ، وغلى الدم فى عروقهـا ، وأصـابها من فرط الحنق والغيرة والاستنكار والذعر شبه خبال . **كيف ؟ أيخونها زوجها مع امرأة شقيقها ، ثم يختم الهـوى على بصره ، فيخون أيضـا بلاده ، وهى بين الموت والحياة ؟.. وهيلينا ؟ هيلينا ؟ كيف استحلت لنفسها أن تغوى رجلا هو قرين شقيقة زوجها ؟ كيف أقدمت على هذا العمل المروع وهى أم لثلاثة أبناء ؟** نعم . كل كلمة من كلماتها تدل أبلغ الدلالة على أنها هى التى أغرت أوريون وهى التى فتنته ، وهى التى أفسدت خلقه ، ولوثت ضميره ، وقتلت فيه روح الزوج المخلص الوفى ، وروح الوطنى الصادق النزيه !

وتدفقت الخواطر فى ذهن ديميترا ، ولم تعد تدرى ماذا يجب عليها أن تفعل . انها تستهول العواطف التى تشـعر الآن بها . انها تكره نفسـها . انها تحس بالرغم منها أن قلبها ما يزال يصبو الى زوجها . ولكن كيف يمكنها أن تصمت ؟ كيف يمكنها أن تتحمل ؟ كيف يمكنها أن تخون هى أيضـا ؟ أفى مقدورها أن تغلب فى قلبها نداء الحب على نداء الواجب ؟ أفى مقـدورها أن تصفح عن خيـانة زوجها لأمتها وبلادها ؟ وهل فى وسعها فوق ذلك أن تغض الطرف عن خيـانة ثابتة مزدوجة ومروعة ارتكبتها زوجة شقيقها ؟ كلا . هذا فوق طاقتها . هذا خزى يعافه ضميرها . الواجب يقتضيها أن

تتكلم ، أن تصارح ، أن تجهر بالحقيقة كلها . والا غامرت بحياة شقيقها ، وحياة أبنائه الثلاثة ، وحياتها هى أيضا .

وملكتها الفكرة ، واستبدت بها ، وطغت عليها .. فنهضت من فورها ، ودست الرسم والرسائل فى صدارها ، واستجمعت قواها وتقدمت بخطى ثابتة نحو الجناح الأيمن من البيت حيث يقيم شقيقها العمدة هرمس . وكان الرجل قد عاد من مقر عمله ، وانكب على دراسة خريطة صغيرة تعين موقع المعركة المنتظرة ، فأوصدت ديمترا الباب ، وأحكمت رتاجه . ثم دنت من شقيقها ، وأخرجت الرسم والأوراق من صدارها ، ودفعت بها اليه وقالت :

ــ أنظر .. أنظر واقرأ !

فتطلع اليها ، وتنـاول منها الرسم والرسائل وهو مبهوت .. فرددت :

ــ أنظر واقرأ !

فلم يكد يلقى على الرسم نظـرة حتى جحظت عينـاه وجمد ، ثم تنبهت حواسـه واستضاء فكره ، فأكب على الرسائل ، وشرع يقرأ ، وبصره الحاد يلتمع ، ووجهه المحتقن يتغضن وينقبض ، وأعضاؤه كلها تختلج اختلاجا عنيفا ، ثم تتراخى فى انهيار طارىء ، كأنما قد أصابها شلل .

وحاول أن يتكلم ، ولكنه أحس أنه يختنق ، فندت عنه صرخة ، وانهمرت من عينيه دمعة . لم يستطع أن يصدق . لم يستطع أن يتصور . فظل تائها شاردا مذهولا يحدق فى الرسم والورق ويرتجف !.. بينما ارتمت ديمترا على مقعد ، وقالت فى صوت غائر أجش :

ــ لم يسعنى أن أصمت ! المسألة لا تتعلق بنا وحدنا بل تجاوزنا الى ما هو أخطر وأعظم ! لقد خان كل من زوجتك

وزوجى عهد الزواج وعهد الوطن ! فأنا أضع مصيرهما بين يديك ، فاحكم .. احكم الآن بما يمليه عليك ضميرك !

وصمتت وهى تلهث . فأطرق الرجل منسحقا ، ولبث مطرقا وهو يزفر . ثم أرسل نفسا طويلا . ورفع رأسه فى بطء وقال بعـد فترة ، وعينـاه المتقرحتان مصوبتان الى شقيقته :

ـ أما زلت تحبين زوجك يا ديميترا ؟

فهتفت : « لقد ملأ الحقد قلبى فلم يعد فيه للحب أى مجال ! أنا أشعر أن عقلى أصبح أقوى من عواطفى ، وواجبى أقوى من حبى . ولو أن هذا الحب كان قد خنق وطنيتى لما سعيت اليك وصارحتك بكل شىء ! يجب .. يجب أن نقتص من المجرمين بأنفسنا ، والا فقد يعلم بأمرهما القـائد فتحوم الشبهات حولنا نحن أيضا ، فنلوث ونتهم ونستهدف جميعا للموت والعار ! »

فقال هرمس ، وهو يتلوى :

ـ أنت على حق ! لن أشفق أبدا ! لن أتسامح ! ولن أمرغ جهاد حياتى كله فى التراب ، ولن أموت مجللا بالعار حرصا على زوجة زانية ومواطنة خائنـة ! وما دمت أنت وضعت واجبك فوق حبك ، ورأيت أن ضميرك يقتضيك الاقتصاص من زوجك ، فسأقتدى بك أنا أيضا . ولكن .. ولكن امرأتى والدة . انها أم ، أم لثلاثة أبناء . فكيف يمكننى أن أعاقبها بدون علم منهم ؟ ماذا يمكننى أن أقول لهم لو غافلتهم وقضيت عليها ؟ أية حياة ستكون حياتهم لو حرمتهم فجأة ، وباجراء تعسفى شخصى ، من عطف أمهم وحنانها ! يجب أن يعرفوا كل شىء ! أتسمعين ؟ يجب أن أصارحهم بكل شىء ! يجب أن أكاشفهم بعارى وعارهم ، وأشركهم معى فى الحكم على أم تنكرت لأقدس واجباتها ، وأصبحت زوجة زانيـة ومواطنة خائنة !

وارتعد الرجل ، وردد فى عنف : « يجب أن أصارحهم . يجب أن يكونوا هم القضاة ما داموا هم الضحايا ! يجب أن تحاكم امرأتى على مشهد منهم ، وكذلك زوجك يا ديميترا ! »

فحنت المرأة رأسها مشيرة بالايجاب . وعندئذ سمعت فى الخارج جلبة وأصوات ، فهب الرجل واقفا وصرخ :

— ها هم !.. لقد عادوا من المعبد وفى صحبتهم « أوريون » . سأناديهم وسأفصل الساعة فى الأمر دون تردد !

واندفع كالمخبول ، فنادى أبناءه وزوج شقيقته ، وأرسل الى امرأته يأمرها بأن تلزم حجرتها حتى يدعوها اليه !.. ثم أغلق الأبواب ، وطلب الى الجميع أن يجلسوا ، والتقط أنفاسه ، وشرع يتكلم !

وكان أبناؤه الثلاثة يستمعون اليه ، وينظرون فى الرسم والرسائل ، وقد امتدت أعناقهم واندلعت عيونهم ، وتعاقبت أنفاسهم ، وملكتهم دهشة مستهولة مشمئزة ، يشوبها غضب مستنكر ، وحقد هائل كظيم . أما أوريون فقد تصبب العرق من جبينه ، وشحب وجهه شحوب الموتى ، وظل واقفا عن بعد ينقل الطرف فى امرأته وأهلها ، ويرتعد كريشة فى مهب الريح !

وبعد أن أتم هرمس قراءة بعض الرسائل ، التفت الى أولاده الثلاثة وقال وهو يهدر : « البينة أمامكم ، والجريمة المزدوجة اقترفتها أمكم ، واشترك فيها هذا الرجل الذى هو زوج عمتكم . ان امرأته قد فضحته ، وتهيأت لتأدية واجبها . فهل تترددون أنتم فى تأدية واجبكم ؟ »

فلم يتمهل الابن الأكبر « شالكاس » ، واندفع نحو باب الصدر وفتحه وصرخ مناديا أمه وهو يرتعش !

- ٣ -

ودخلت هيلينا .. شامخة الرأس ، محلولة الشعر ، متقدة البصر . **ولكنها لم تكد تتقدم الى وسط الحجرة وتلقى على الرسم والرسائل نظرة ، حتى اندفق الدم الى محياها ، وانكمشت ولم تتكلم .** فصاح بها ابنها الأكبر وهو يومىء الى الرسم والورق ويوشك أن ينقض عليها :

ـ أتنكرين ؟

فغمغمت وهى تتراجع : « لا أنكر شيئا ! أنا أحب هذا الرجل وهو يحبنى . وكلانا فوق ذلك يؤمن بأن بلادنا ضعيفة ، وأن استقلالها محال ، وأن لا خلاص لها الا اذا وضعت السلاح وتحالفت مع الفرس ، وأذعنت للواقع ، وسلمت للأقوى ! »

فجن جنون « شالكاس » وصرخ :

ـ أفجور وخيانة ؟ !.. أفى اللحظة التى تقدم فيها بلادك على معركة رهيبة وتوشك أن تطاول النصر ، فى اللحظة التى اعتزمت فيها أنا ولدك أن أغامر بشبابى وحياتى وأذهب فأضرم النار فى احدى سفن الأعداء ، وأموت شهيدا من أجل وطنى . فى هذه اللحظة العصيبة أراك أنت ، أمى ، تشمخين وتستكبرين ، وتجاهرين بخيانتك المزدوجة دون ما وازع من خلق أو ضمير ؟

فقالت الأم فى سكون : « وما جدوى الكذب والنفاق ؟ أقتلونى اذا شئتم . وحسبى من الحياة أنى قد أحببت ، وسعدت ، وعشت ! »

فنهض « ليزياس » ـ الابن الثانى ـ وصاح وهو يرتجف : « هذه الأنانيـة الغليظة القاسية ، هذه الأنانيـة الوقحة المتحدية ، هذه الأنانية الجنائية المنكرة ، تستحق منا ولا ريب أقسى عقاب . وأنا ، أنا ولدك أيتها السيدة سأقتص

بنفسى لشرف أسرتى وشرف بلادى من خليلك وشريكك فى الجريمتين : الزنا ، وخيانة الوطن ! »

فصرخت هيلينا : « ماذا تقول يا ولدى ؟ »

فقالت ديميترا على الفور : « وانه لحكم عادل ، وأنا أرحب به ! »

فتقهقرت هيلينا ملتاعة ، وقالت :

– لا ! .. لن يموت الرجل الذى أحبه بيد ولدى !

فصاح زوجها :

– اذن فناولها السلاح يا « ليزياس » ، ولتعطه هى لعشيقها الخائن !

فجثت هيلينا على الأرض ، وقالت ودموعها تنهمر :

– انى اذا قبضت على هذا السلاح فلن أغمده الا فى صدرى !

فقال الابن الثانى : « اذن فسأعرف أنا كيف أقوم بواجبى ! »

فاندفعت المرأة نحوه ، وطوقته بذراعيها ، وصاحت وهى تلثم يديه وتقصيه جهدها عن عشيقها : **« لا .. لا تقتله يا ليزياس ! »**

ولكن « أوريون » الذى كان قد فقد الأمل فى كل شىء وآثر أن يقضى على نفسه بنفسه مختارا ، ولا يجبن أمام عشيقته ويقتل قتلا ، أسرع ولحق بها . وفى مثل لمح الطرف ، وقبل أن يتنبه ابنها أو أخواه أو والدهم أو ديميترا ، اختطف الخنجر من ليزياس ، وألقى نظرة وداع على هيلينا ، ثم أغمد النصل فى عنقه ، وهوى على الأرض صريعا يتخبط فى دمه !

وأرسلت هيلينا صيحة مدوية ، وظلت ديميترا جامدة كتمثال .. بينما رمى الأبناء الثلاثة ووالدهم جثة المجرم

بنظرة ملؤها الزراية والحقد ، ولم يحفلوا بها .

وانثنى هرمس الى زوجته ، وقال فى صوت حاد المقاطع باتر النبرات : ((**اليك خنجرى وتشجعى .. عاقبى نفسك بدورك وكفرى . انقذى من صورتك فى نفوس أبنائك ولو بقية من عزة وكرامة وكبرياء !**))

فترنحت هيلينا وصرخت كمعتوهة : ((**لا .. لا أريد أن أموت !**))

فغشى الدم وجـه زوجهـا ، وقـدح الشر من عينيه . وارتمى عليها ، وهم بأن يقتلها بيده . وعندئذ ، وقع شىء غريب ، شىء مباغت ، شىء لم يكن أبدا فى الحسبان : تقدم الابن الأصغر ((سولون)) الذى لم يكن قد تفوه حتى تلك اللحظة بكلمة ، وأمسك بذراع والده ، وأنهض المرأة المتداعية المحطمة ، وقال فى صوت هادىء ثابت عميق :

ـ هذه المرأة هى أمى . وأنا ابنها الأصغر ، وهى أحب الناس وأعزهم وأغلاهم الى نفسى . ومع ذلك فأنا لا أريد منكم أن تصفحوا عنها ! لا أطلب منـكم أن ترحمـوها ! بل ألتمس فقط أن تدعونى أخاطبها لحظة واحدة قبل أن تموت !

فصاح الوالد : ((**أتضعف يا ((سولون)) وتحرجنى ؟**))

فقال الشاب : ((أريد أن أبرىء ذمتى ! أنا أنشد القوة لا الضعف يا والدى ، فصبرا . تقدمى يا أماه .. أمعنى النظر فى كلامى وأرهفى السمع وتأملى . لقد خنت زوجك فأنكرت وفاءه ، وجحدت تضحياته ، ومزقت كرامتـه ، وسممت البقية الباقية من حياته ، ثم أذللت أولادك ، وخلفت فى نفوسهم وصمة عار لا تمحى .. ولم يكفك هذا ، فأمعنت أيضا فى غيك وخنت بلادك واتصلت بأعدائها ! **وأنا مؤمن بأنك لو كنت عامرة القلب بحب وطنك ، ما سولت لك نفسك أبدا خيانة زوجك . لأن من يخلص حقا لوطنه لا بد أن يخلص**

أيضا لشرفه وعرضه ، فهذه الوطنية المقدسة ، وطنية الوفاء الكامل للأرض التى أوجدتنا ، ولعرضنا الذى هو رمز كرامتنا ، هذه الوطنية هى التى أريد أن أضرمها الآن فى صدرك يا أماه . هى التى أريد أن أعلمك اياها ، عساى أن أرد اليك اعتبارك فى نظر نفسك ، وأهبك شجاعة العزم ، وشجاعة التكفير ! . . ولقد حدثتك عن خيانة العرض وما يعقبها من شقاء ، وسأحدثك عن خيانة الوطن وما تجره من كوارث .. كيف تنادين بالتحالف مع العدو ؟ كيف تزعمين أن تحالفنا مع العدو ينقذنا ؟ اننا لو أعرضنا عن قتاله وسالمنا ، أصبح هو الأقوى ، فتنكر لنا ، واستباح حقوقنا ، وفرض سلطانه علينا ، وسامنا فى غدر وخبث شر ضروب الخسف والهوان !.. اليونان أمة متحضرة يا أماه ، وليست فى حاجة الى وصى يمدنها ! **نحن ورثة المصريين العظماء ، عنهم قبسنا النور ، ومنهم تناولنا المشعل ، وفى ضوئهم منحنا العالم فلاسفة وعلماء وشعراء ، فأبدعنا حضارة وخلقنا مدنية ! فكيف نستحل لأنفسنا اليوم أن نتراجع ونجبن ونغمد السلاح ، وندع تراثنا الانسانى المجيد ينسحق ويموت تحت سنابك خيل الفرس** ؟ الواجب هو أن نقاتل يا أماه ، نقاتل من أجل ازدهار حياتنا ، نقاتل من أجل نمو تراثنا ، نقاتل من أجل أسلافنا وأحفادنا ، نقاتل عدونا حتى النصر . ومتى تحقق النصر ، فقد يمكن التفاهم بعد ذلك فى ظل المساواة ! هذه هى الكرامة ، وهذه هى الوطنية ! الوطنية من أجل الخلود يا أماه : خلود روحنا ، خلود جنسنا ، خلود عبقريتنا فى العالم وفى أصلابنا من بعدنا ، ولكن الخلود محال يا أماه بدون موت ! بدون موت اختيارى خصب ، تغذيه الشجاعة ، ويذكيه الايمان ، ويلهبه البذل والتضحية ! فانبذى معتقداتك الشائنة القديمة يا أماه ، وآمنى بالوطن والعرض ، واثبتى

الساعة وتقدمى ! كونى خليقـــة بأمتك وشعبك ، **بل كونى جديرة بابنـك الأكبر الذى اختار أن يموت هذه الليـــله مستشهدا فى سبيل شيء أعظم من نفسه ، وأبقى من شخصه ، وأغلى من حياته وحياتنا نحن جميعا ! اطعنى صدرك بالخنجر راضية يا أماه ، لنستطيع – برغم عارنا – أن نكرم ذكراك ، ونرفع فى الملأ رءوسنا !**

وتراجع الشـــاب وجلس . فلم تتكلم هيلينا ، ولم تتحرك ، وظلت فى مكانها ذاهلة . لم تتقدم خطوة ، ولم تتجه نحو زوجها . لم تتناول منه خنجره . بل أجالت فيمن حولها بصرا زائغا حالما تائها ، ثم استقرت ببصرها لحظة على ابنها الأصغر ، ثم تحولت به صوب ابنها الأكبر ، ثم حدقت الى الشاب طويلا وأشرق وجهها اشراقا طارئا عجيبا ، وتألقت عيناها ، وانفرجت شفتاها ، وانسكب فجأة على كيانها كله ضوء غامر صاف قرير ...

ولوحت بذراعها بعد فترة وتمتمت : « **لا .. لن أموت هكذا .** »

فحملق فيها الكل مستغربين مستفسرين ، فرددت فى عزم :

– **لن أموت هكذا !**

فلم يفهموا واشتد عجبهم ، وخيل الى زوجها أنها تريد أن تحتال عليهم وتخدعهم ، فدنا منها حانقـــا ودفع اليها بالخنجر مستصرخا متوسلا . ولكنها أقصته عنها فى رفق ، ونصبت قامتها ، وقالت فى صوت واضح قاطع جهير ، وهى ما تزال تسبح فى حلمها وغيبوبتها :

– لن أقتل نفسى . ليس هذا بعقاب ولا بتكفير !

واتسعت حدقتاها . وصرخت بغتة :

– لقـد استيقظت . حديث ولدى الأصـغر أيقظنى وهدانى ! كنت صماء فسمعت . كنت عمياء فأبصرت . كنت

ميتة فبعثت ! لن أقتل نفسى ! لن تذهب حياتى هباء ! لن أموت رخيصة والا ارتكبت خيانة ثالثة ! سأموت كما علمنى ولدى ! سأتبعه نحو الخلود الذى أراه الآن نصب عينى ! سأموت لأخلد . لأخلد فى أمتى ووطنى ! هذا هو العقاب الذى يمكن أن يشفع لى ويرفعنى . وهذا هو التكفير الذى يمكن أن يخدم بلادى ويطهرنى !

وتلفتت صوب ولدها الأكبر وصاحت : « **لن تذهب الليلة الى هناك !** »

فأحاط الجميع بها ، وتألبوا عليها ، واشرأبوا اليها بأعناقهم مبهوتين . فصرخت فيهم وصوتها يدوى :

— أنا .. أنا التى سأنهض بالمهمة التى وكلت الى ابنى الأكبر ! أنا التى سأذهب الى الميناء من فورى ! أنا التى سأقتحم سفينة العدو ، وأنا التى سأضرم فيها النار ! هذه الميتة وحدها هى التى ترضينى ! فصونوا أنتم أنفسكم لواجبات أجل وأخطر ، ودعوا هذه المهمة العاجلة لى !

ورفعت رأسها فى عزة وأردفت « اعطونى المواد الحارقة ! لن أجد أية صعوبة فى اقتحام السفينة ! ان ربانها الفارسى لن يشك فى أمرى ، فهو يعرفنى ، ويعرف أنى كنت بالأمس من صنائع الفرس ، ومن أتباع المارق هيباس . أعطونى المواد الحارقة وثقوا بى ! »

فوجم الزوج واضطرب . وهجس فى روعه أن هذا التدبير قد يكون حيلة من امرأته ، ووسيلة للتخلص والفرار . وهم بأن يتكلم ويعترض . ولكن الابن الأصغر ارتمى على أمه ، وطوقها بذراعيه ، وصاح بأخويه وهو يهدر :

— ألا تثقون فى أمكم ؟

فقال الابن الأكبر فى هدوء : « دعوها ترحل ! أنا واثق فيها ، مؤمن بأنها قد أصبحت الآن أما وزوجة ومواطنة ! »

فاندفعت اليه هيلينا وعانقته ، ثم قبلته وقبلت أخويه ، ثم انحنت ولثمت يد زوجهـــا ويد شقيقته . فاستوقفتها ديميترا وقبلتها . فاختلجت هيلينا ، وأوشكت أن تبكى . ولكنها تمالكت نفســها ، واتشحت بمئزرها . ودست المواد الحارقة فى صدارها . ثم تحفزت ، واستنهضت قواها ، وخرجت الى الظلام الدامس ، منصوبة القـامة ، مرفوعة الرأس ، متصلبة الوجه ، دون أن تتلفت أو تحاول النظر مرة أخيرة الى أولادها !

ولم تكد تختفى ، حتى أسرع الجميع وصعدوا الى سطح البيت ، وظلوا هناك صامتين ، قلقين ، متلهفين ، يتطلعون الى السماء الحالكة ، ويرقبون الميناء حيث تجثم سفينة العـدو .

وبعد ساعات طويلة ، وقبل أن يطلع الفجر ، **ترامت الى سمعهم صرخات مدوية متقطعة ، ثم انشق فجـأة حجاب الليل ، وشوهد فى الأفق البعيد لهب متصاعد ينهب فسحة الفضـاء ، ثم لاحت السفينة فى ضوء اللهب المتأجج هيكلا متصـدعا متداعيا ، سرعان ما ترنح وتطـوح والتهمتـه النيران !..** فهتف الشبان الثلاثة هتافا مدويا متواصلا ، وانثنوا الى والدهم يشـهدونه على توبة أمهم ، وصـدق وطنيتها ، وعظمة تكفيرها . فألفوا الرجل يبكى .. يبكى بكاء الفرح والكبر والغفران . فتهافتوا عليه ، وهدءوا من روعه ، وقبلوه . فانحنى عليهم وتفرس فيهم باعجاب . ثم ضمهم جميعا الى صدره ، وقال لهم فى سكون وهو يشرق بالدمع ويبتسم :

ـ عودوا .. عودوا الى المعبد يا أولادى . وصلوا .. صلوا من أجل أمكم !

....

المرأة . . عند ((المازنى))

مقتطفات من مذكرات حواء

السبت : وجدت أن ما أغرانى به آدم من كتابة المذكرات اليومية قد شغلنى عنه ، وأتاح له أن يطوف فى الجنة وحده ، وهو لا يفتأ يصبحنى بالسؤال عن مذكرات اليوم السابق هل دونتها . وينصح لى بأن أكتبها قبل أن أنسى ما حدث ، ولا أكاد أشرع فى الكتابة حتى أراه ينسل ويذهب لا أدرى الى أين ، ومن أجل هذا عقدت النية على الا أكتب الا فى الليل بعد أن أنام . .

الاثنين : آدم لغز لا أكاد أفهمه ، لم يكن يعرف حتى أن اسمه آدم ، ومن قوله أنه لا يشعر بالحاجة الى اسم ما ، ولما قلت له يوما أن اسمى حواء قال ((ربما !)) . أليس هذا منه عجيبا ؟ وأعجب من ذلك أنى قلت له أن عليه من الآن فصاعدا أن يدعونى باسمى ، فأنه أعذب فى أذنى من ((هش هش)) التى لا يزال يفتح فمه بها على ، فقال انه يقصد ــ حين يصيح بى ((هش هش)) ــ ان أذهب عنه لا أن آتى اليه ، وأنه لا يحتاج أن ينادينى أو يدعونى لأنى لا أكاد أفارقه ، فمن العبث أن يكون لى اسم اذا كانت فرصة استعماله لا تعرض أبدا ، فلما احتججت عليه بأن لكل شىء فى الجنة اسمه الذى يعرف به ، زعم أنى أنا التى اخترعت هذه الأسماء وأطلقتها على مسمياتها ، وأنه لا يدرى لماذا أجشمه حفظ هذه الأسماء كلها وتصديع رأسه بها !

وهذه أول مرة سمعت من آدم مثل هذا الكلام ، فحز فى نفسى وآلمنى ، فبكيت وتوجعت ، ولشد ما كانت دهشتى حين نهض آدم ودنا منى ورفع وجهى اليه وجعل يتأمل

(البقية فى الملزمة الاخيرة من هذا العدد)



قصة مؤلف المسرحية بقلم : **محمد بدر الدين خليل**

عرض وتلخيص المسرحية بقلم : **الدكتور أنور لوقا**

(أستاذ الادب الفرنسى المساعد بكلية آداب عين شمس)

مسرحية .. مستمدة من الواقع !

● **هذه** مسرحية من أروع ما جاد به المسرح «الرومانتيكى» على الأدب الفرنسى فى القرن التاسع عشر . وهى التى بلغت بكاتبها « ألفريد دى فينى » أوج الشهرة عام ١٨٣٤ . فقد أخرجتها (الكوميدى فرانسيز) فى العام التالى ، وقامت بأداء دور البطلة فيها ممثلة ساحرة هى « مارى دورفال » ـ المرأة التى هام الشاعر بحبها (والتى تقرأ قصته الكاملة معها فى نهاية هذه المسرحية) .

وهذه المسرحية المؤثرة دفاع مجيد عن « الشاعر » و « المفكر » فى عصرنا الحديث ـ عصر المادة الجامدة والآلة الغاشمة ـ دفاع ملتهب صدر عن قلب شاعر حكيم مؤمن برسالته .

وبطل هذه المسرحية شخصية واقعية ، فهو الشاعر الانجليزى « توماس شاترتون » الذى عاش فى القرن الثامن عشر ، وانتحر عام ١٧٧٠ وهو فى ربيع الشباب ـ فى الثامنة عشرة من عمره ـ للفرار من الفقر . وقد سبق « لألفريد دى فينى » أن أوجز قصة الشاعر البائس فى كتابه « ستيلو » Stello ، ولكنه هنا يبعثه حيا أمامنا ، فى اليوم الأخير من حياته ، لنشاطره أساه وفجيعته فى الدنيا ، ولتملأنا الحسرة الصادقة ثورة على جور المجتمع القاتل ، وعزما على الانتصاف لهذه الضحية البريئة باصلاح الأوضاع الفاسدة ، وتقدير العبقريات التى تسطع فى الليل الحالك من حين الى آخر .

وقد أحدثت صيحة « ألفريد دى فينى » الأولى – فى « ستيلو » – صدى كبيرا ، سيما وقد انتحر فى باريس شاعران ، فى عام ١٨٣٣ ، عقب ما أصابهما من فشل . لذلك عاودت الفكرة ذاتها قريحة « فينى » ، وألحت عليه ، وأذكت حميته وخياله ، فكتب هذه المسرحية – المركزة – فى سبع عشرة ليلة متلاحقة ، وفى أسلوب رصين البلاغة ، عميق الايمان ، شديد الوقع . وأطلق قلمه فى الليلة الثامنة عشرة يروى حديثا ذا شجون أصبح عند نشر المسرحية مقدمة لعمله ، وديباجة ناصعة يتدفق فى فيض عباراتها المضطرمة كل ما جاش فى قلب الشاعر من عواطف البر والرحمة والألم ، وكل ما دار فى عقله من خواطر وعبر .

* * *

هذا هو « شاترتون » ، فتى مرهف النفس موهوب نابغة ، يقرض شعرا جزلا خلابا ، يجمع فيه بين سذاجة الطفولة وحكمة الشيوخ . ولكنه يتعثر فى حياته الجم ، فيظل نكرة مغمورا . ويضطر الى أن يقدم قصائده الى الجمهور – الذى لا يلتفت اليها – على أنها مقتبسة من شاعر قديم ، شاعر مزعوم لا وجود له فى واقع الأمر !.. وبعد أن يغتصب اعجاب مواطنيه بهذه الحيلة ، يكشف لهم النقاب عن الحقيقة ، فلا يسعهم الا أن يعترفوا بفضله .. بيد أنهم يتركونه فريسة للفقر والحاجة ، وينصرفون عن نفحات فكره النبيل وفنه الجميل الى مطاردة الأرباح واستثمار المال . فقد أغرتهم الآلات المستحدثة – وهى فتح اذ ذاك جديد – باستغلال مواردهم المالية ، وأصم ضجيجها آذانهم عن صوت الفكر ووحى الشعر . أجل لقد أخرجت الثورة الصناعية ذلك المجتمع عن أطواره وانسانيته .

ولهذا الفتى الشاعر صديق شيخ من طائفة « الكويكر » التى اشتهرت بعمق التقوى والورع ، والاستمساك بالقيم الروحية . وهذا « الكويكر » هو الذى يفهم مأساة « شاترتون » ولا يتخلى عنه كما تخلى عنه رفاق اللهو من أبناء طبقة الأشراف . و « شاترتون » يقيم الآن فى غرفة صغيرة استأجرها أخيراً – دون أن يكشف عن شخصيته – لدى « جون بل » ، وهو رجل من صغار رجال الصناعة غليظ القلب ، جشع ، لا يهتم بغير الكسب المادى ! **غير أن زوجته « كيتى بل » امرأة رقيقة وديعة ، تزيد من نقاء جمالها ورحمتها صورة طفليها الصغيرين اللذين يلازمانها . وتعطف « كيتى » على هذا الفتى الغريب ، فهل تراها تفلح فى انقاذه ؟ وعلام ينطوى شعورها بالعطف عليه ؟**

ان زهد المؤلف فى الأحداث وعنايته باجتلاء النفوس ، وكذلك حرصه على تركيز مسرحيته من ناحية الزمان فى يوم واحد ، ومن ناحية المكان فى منظر واحد – داخل بيت آل « بل » – ليضفى على المواقف « ألرومانتيكية » هنا روعة الفن « الكلاسيكى » .

— ١ —

جون بل – الزوج – (فى عنف) : يا سيدة « بل » ! تعالى هنا .

كيتى بل – الزوجة – (فى خوف) : هأنا ذى .

جون بل : حساب أمس من فضلك .. وهذا الشاب الذى يسكن فوق ، ألا يدعى أكثر من « توم » أو « توماس » ؟.. أرجو أن يظهرنا على أمره قريبا .

كيتى بل : هو لم يكتب غير هذا الاسم فى سجلاتنا حينما

استأجر تلك الغرفة الصغيرة .. ها هو ذا حساب اليوم مع حسابات الأشهر الماضية .

جون بل (وهو يراجع الحسابات فى السجل) : كاترين ! لست دقيقة كما كنت أعهدك . **(يقطع حديثه ويحدق فى وجهها بارتياب)** انه بسهر سواد الليل هذا الفتى ؟ .. أمر عجيب .. ويبدو عليه البؤس الشديد . **(يعود الى السجل ويستعرضه بنظرة)** .. لست دقيقة كما كنت أعهدك .

كيتى بل : يا الهى ! لماذا تخاطبنى بهذا الكلام ؟

جون بل : هناك خمسة جنيهات أو ستة ناقصة ؛ انى واثق من ذلك ، من أول نظرة .

كيتى بل : هل لك أن تشرح لى كيف ؟

جون بل : تفضلى بدخول غرفتك ، ليقل شرود ذهنك . ان الأولاد فى بطالة ، وما أحب لهم الفراغ . لقد دب الاهمال فى بيتى .. هأنذا ، انى هنا ؛ راجعى هذه القائمة ، واضربى الحاصل فى سبعة .

ويدخل الغرفة متعقبا زوجته ، فلا نراهما ، بينما ترتعد الطفلة الصغيرة ((راحيل)) وهى تسمع صوت أبيها الغاضب ينتهر أمها ، فتلوذ بالكويكر :

راحيل : انى خائفة !

الكويكر : من خوف الى خوف ستعيشين عيش العبيد . خوف من أبيك ، ثم خوف من زوجك فيما بعد ، حتى يحين لك الخلاص . العبى أيتها الطفلة الوديعة الى أن تصبحى امرأة . العبى دائما ولا تفكرى فى شىء .. تعالى على ركبتى ، تعالى . أتبكين وتخبئين رأسك فى صدرى ! انظرى ، انظرى ، هو ذا صديقك مقبل .

ويظهر شاترتون فيقبل راحيل التى تخف اليه ، ثم يصافح ((الكويكر)) ويحييه . ويلاحظ الشيخ عناءه وارهاقه منذ الصباح .

الكويكر : ان روحك تضنى جسمك أيها الفتى . يداك تحترقان ، ووجهك شاحب . كم من الأيام ترجو أن تعمر وأنت على هذه الحال ؟

شاترتون : أقل ما يمكن . أليست السيدة « بل » ههنا ؟

الكويكر : أو ليست حياتك نافعة لأحد ؟

شاترتون : على العكس ، حياتى عبء على الجميع .

الكويكر : أتؤمن جديا بما تقول ؟

شاترتون : ايمانك برحمة الله .

الكويكر : فما عمـرك اذن ؟ ان قلبك نقى صبى كقلب « راحيل » ، وعقلك محنك شيخ كعقلى .

شاترتون : سأتم الثامنة عشرة غدا .

الكويكر : يا لك من طفل مسكين !

شاتريون : مسكين ؟ نعم . أما طفل ، فلا . لقد عشت ألف سنة .

الكويكر : لن تكفيك ألف سـنة لكى تلم بنصف ما يملأ قلوب الناس من شر !

شاترتون : ولكنى كنت أظن أن السيدة « بل » ههنا . لقد كتبت الآن رسالة أرهقتنى جدا .

الكويكر : أخشى أن تكون مسرفا فى الطيبة . لقد نبهتك الى أن تأخذ حذرك من ذلك . فان الناس صنفان : شهداء وجلادون . وستظل أنت دائما شـهيدا للجميع ، كأم هذه الطفلة !

شاترتون (بحماسة) : ان طيبة المرء لن تجعله ضحية الآخرين الا الى الأمد الذى يريد ، فخلاص المرء فى يده .

الكويكر : ماذا تعنى ؟

شاترتون (وهو يقبل راحيل ويقول فى أرق صوت) : أتريد أن تروع هذه الطفلة ؟ وعلى مسمع من أمها ؟

الكويكر : أمها لن تسمع ، فان صوتا أقل رقة من صوتك يقرع أذنيها . هذه ثالث مرة يلتمسها ..

شاترتون : انك تلومنى دائما ، فهلا قلت لى فيم لا يسلس المرء قياده لنفسه ، ما دام واثقا من ترك المباراة حين يدركه السأم ؟ أما أنا فقد عزمت على ألا أتقنع وانما أن أكون أنا نفسى حتى النهاية ، أن أصغى فى كل شىء الى قلبى ، وأن أذعن لمصيرى فأتمه على خير وجه . وفيم تكلف الصرامة اذا كان المرء سمحا ؟ لو قد تكلفت غير خلقى لرأى الناس بسمة رثاء تحت صرامتى المصطنعة ، ولما ظفرت بقناع غير شفاف . انى أرى الناس يخدعوننى من كل صوب ، ولكنى أستسلم لخداعهم ، احتقارا لنفسى وسآمة من الدفاع . انى لأحسد بعض الناس على ما يجدون من اللذة فى الانتصار على بكيدهم الخسيس ؛ ولكنى أراهم من بعيد يمدون خيوط الشرك ولا أنحنى لأقطع خيطا واحدا ، فقد أصبحت لا أبالى بحياتى . وحسبى مع ذلك ضعتهم ثأرا لى ، فهى تسمو بى فى نظر نفسى ، ويبدو لى أن عناية الله لن تدع مثل هذه الحال تتصل طويلا . أفلم تكن لمشيئة الله غاية من خلقى ؟

الكويكر : لقد قتل فيك اتصال الأحلام نزعة الكفاح .

شاترتون : وهل فى ذلك من بأس اذا كان محصول ساعة من أحلامى أكبر من محصول عشرين يوما من كد سواى ؟ ومن يستطيع أن يقضى بينهم وبينى ؟ أو لا يوجد للانسان الا العمل البدنى ؟ وعمل الرأس ، أليس خليقا بشىء من العطف ؟ سبحان الله ! هل علم الأرقام هو العلم العقلى الوحيد ؟

الكويكر : انى لا ألومك يا ولدى ، ولكنى أرثى لك .

شاترتون : أيها الكويكر الصالح ، أتشفقون فى جماعتكم — جماعة الاخوة الروحية — على من تعذبهم عاطفة الفكر ؟

أظن ذلك ؛ فانى أراك سمحا ترق لى بينما يقسو على الجميع ، وهذا يهدىء من روعى بعض الشىء . الحق انى منذ ثلاثة أشهر أكاد أكون سعيدا فى هذا البيت ، فما من أحد هنا يعرف اسمى ، أو يحدثنى عن نفسى ، وانى لأرى على ركبتى أطفالا وضيئى الوجوه ..

الكويكر : انى أحبك ، أيها الصديق ، لجدك . فمثلك خليق باجتماعاتنا الروحية . وأحبك لأنى أظن أن الناس جميعا يكرهونك . فان نفسا حالمة لعالة على أولئك المتعطلين المضطربين الذين يملأون الأرض ، وان الخيال والتأمل لعلتان لا يشفق على المريض بهما أحد !

شاترتون : ومع ذلك ، أفليس لى بعض الحق فى أن يحبنى اخوتى ، أنا الذى أعمل من أجلهم ليلا ونهارا ؛ **أنا الذى أنقب فى عناء ومشقة بين الآثار القومية عن بعض أزهار الشعر لأستخرج لهم منها أريجا باقيا** ؟ آه لو تعرف ماذا أعمل .. لقد جعلت من غرفتى صومعة ؛ وقدست حياتى وفكرى ؛ وأنميت السذاجة فى قلبى ؛ وتعلمت لغة العصور القديمة الساذجة .. بيد أنى لا أستطيع أن أزاول غير الكتابة . لقد حاولت أن أكون طوع كل شىء . وحدثونى عن الأشغال العملية ، فزاولتها ، غير أنى لم أستطع أن أؤديها . ليغفر الناس لله أنه خلقنى هكذا !

الكويكر : والآن ماذا تعمل ؟

شاترتون : ليت شعرى !.. انى أكتب . ولماذا ! لست أدرى .. وانما ينبغى أن أكتب .

الكويكر : انه مرض عضال !

شاترتون : مرضى أنا ؟

الكويكر : لا . مرض البشرية .

شاترتون : « راحيل » ؟ أين « ماما » ؟

الكويكر (ينهض) : أتود أن تخرج معى ؟

شاترتون مناديا : راحيل !

الكويكر : ألا تسمع رب البيت يثور ويرعد ؟

جون بل (فى الخارج) : .. لا لا يا سيدتى !

الكويكر : ان عينيك محمرتان ، فعليك بالهواء الطلق ، تعال ، فالصبح الرطيب خليق بأن يذهب عنك حرقة الليل .

شاترتون : ان تلك الزوجة الشابة لشقية حقا .

الكويكر : ذلك لا يعنينا . وأود ألا يكون أحد هنا حين تأتى . فان هناك شئونا داخلية لا ينبغى أن يظهر المرء أنه لاحظها . لنخرج . ها هى ذى .

وتدخل « كيتى » الرقيقة وراء زوجها المتجبر ، وهى تبكى وتستغفره .

كيتى بل : ناشدتك ألا تسألنى أين هذه النقود القليلة . وما قيمة ستة جنيهات لديك ؟ قدر يا سيدى أنى كنت أستطيع أن أخفى الأمر عليك بتمويه الأرقام . ولكنى لن أقترف الكذب حتى ولو كانت فيه سلامة ولدى الاثنين ، وانما قد آثرت أن أستأذنك فى الصمت ، اذ لا أستطيع أن أقول لك الصدق ولا الكذب من غير أن أرتكب اثما .

جون بل : منذ أن تزوجنا لم تعاندينى مثل هذا العناد !

كيتى بل : ينبغى اذن أن يكون سبب العناد مقدسا .

جون بل : أو آثما يا سيدتى .

كيتى بل (فى غضب) : ألا تصدق ما أقول ؟

جول بل : انى حيث أرى سرا ، أرى خطيئة !

كيتى بل : فان لم تجد الا احسانا ؟ كم يكون ندمك !

جون بل : ان كان احسانا ، ففيم اخفاؤه عنى ؟

كيتى : لأن قلبك قد تقسى يا جون ، ولو كنت أطعتك لمنعتنى من أن أطيع قلبى . ومع ذلك ، فمن يمنح الفقير فانما يقرض الله !

جون : كان خيرا لك أن تقرضى بأرباح على رهائن مضمونة .

كيتى : ليغفر الله لك عواطفك وأقوالك .

جون : ولكنك لم تخبئى عنى حتى الآن شيئا .

كيتى : كثيرا ما يعلمنا الخوف أن نكذب .

جون : اذن فأنت تعرفين أن تصطنعى أكذوبة ؟

كيتى : لو كنت أعرف ذلك ، هل كنت ناشدتك ألا تسألنى عن الأمر ؟ انك قاض عديم الرحمة .

جون : عديم الرحمة ! سوف تقدمين لى حسابا عن تلك النقود .

كيتى : طيب . أمهلنى لذلك الى غد .

جون : ليكن ؛ فالى غد لن أحدثك فى هذا الأمر .

— ٢ —

• وفى الفصل الثانى مشـــهد رائع بين الشيخ الحكيم وربة البيت الوديعة ، مشهد تتجلى فيه آية من النبل المؤثر :

الكويكر : انك معذورة يا كيتى !

كيتى بل : حقا .

الكويكر : وأنا أيضا .

كيتى : أنت أيضا ؟ أنت القوى الذى ما رأيتك يوما تتأثر لشىء !.. رباه ! ما هذا الذى لا أفهمه ؟ لقد خدعنا ذلك الفتى جميعا ؛ دلف الى هنا كفقير مع أنه غنى . فماذا أراد من اثارة عطفنا عليه ؟ ولكنه يبدو صادقا فيما يقول ، ويبدو عليه أنه بائس حقا .

الكويكر : من الخير أن يموت هذا الفتى .

كيتى : يموت ! لماذا ؟

الكويكر : لأن الموت خير من الجنون .

كيتى : أفتعتقد ؟

الكويكر : أعتقد أن أقوى عقل لن يستطيع أن يثبت لما يعانى هذا الفتى من شقاء . ينبغى أن أقول لك رأيى كله يا « كيتى بل » . ليس فى السماء ملاك أنقى منك . ومع ذلك فقد فعلت ، بلا قصد ، كثيرا من الشر فيما حولك .

كيتى : يا قوى السماء ! أذلك مستطاع ؟

الكويكر : أما كيف يصدر الشر عن الخير ، فهذا ما لا تفهمين ، أليس كذلك ؟ اذن فاعلمى يا ابنتى العزيزة أن نظرة منك أوحتها اليك فضيلة الرحمة المقدسة قد كانت كافية لذلك . فان هذا الفتى الذى نضجت نفسه على الفور فى جذوة الشعر ، ما زال يحتفظ بقلب طفل ساذج . لقد فقد أسرته ، وهو يبحث — من غير أن يعترف لنفسه — عن أسرة . لقد اعتاد العيش بالقرب منك ، ولعله اعتاد أن يستلهم مرآك وجمال أمومتك . وليست خطيئة تقترفينها أنت ان كان يرى السعادة ، بعد أن نبذه الجميع ، فى لقاء حار ، حفى ، ولكن حياة الائتناس الصامتة العميقة قد أصبحت حياته على كل حال . فهل ترين من حقك أن تحرميه ذلك العيش ؟

كيتى : واحسرتاه ! أفتعتقد أنه لم يخدعنا ؟

الكويكر : لقد سبرت أغوار شقائه ، وانه لعميق .

كيتى : آه ! اذن لا تغضب ان عرفت ما فعلت وما هممت بأن أفعل .

الكويكر : بل انى لأريد أن أعرف ذلك .

كيتى : لقد أخفيت عن زوجى أمر مبلغ من المال أعطيته لـ « شاترتون » ولم أتسلمه حتى الآن . وقد لاحظ زوجى الأمر . ولعلى كنت فى هذه اللحظة معتزمة أن أصارح الفتى

بالأمر . فأشكرك لأنك أنقذتنى من ارتكاب ذنب ! نعم ، فانها لجريمة تلك التى كنت مقدمة عليها ، أليس كذلك ؟

الكويكر : لو قد فعلت ، لآثر هو أن يجرم على ألا يرضيك . لا شك فى ذلك ، فانى أعرف كبرياءه . لنرفق به يا صاحبتى ولنراع نفسه . فانه مصاب بداء نفسى عضال يستولى بوجه خاص على نفوس الشباب المضطرمة ، الجديدة على الحياة ، المفتونة بحب العدل والجمال ، والتى نزلت الى الدنيا لكى تلتقى فى كل خطوة بكل جور وبكل قبح يطويه مجتمع فاسد الأركان . هـذا الداء هو بغض الحياة وحب الموت ، هو الانتحار العنيد .

كيتى : أوه ! ليغفر له الله !... أواثق أنت من ذلك ؟ قل لى الحقيقة ! قل لى كل شىء ! ما أريد أن يموت !.. ماذا فعل ؟ وماذا يريد ؟ فتى فى هذا الشباب ! روح سماوية ! نبل الملائكة وبراءة الأطفال ! روح ناصعة النقاء ! أينزل الى ارتكاب أنكر الآثام ، الى اقتراف هذا الاثم الذى قد يتردد الرحمن فى أن يغفره له ! لا ، فان ذلك لن يكون ، لن يقتل نفسه . الى م حاجته ؟ الى نقود ؟ سأحصل على نقود . خذ ، هذه جواهر لم أحفل يوما بأن أتحلى بها ، خذها وبعها كلها . أيقتل نفسه ! هنا ، أمامى وأمام ولدى !.. بع جواهرى بع . وسأقول ما أستطيع . سأبدأ التخفى من جديد ، وفى آخر الأمر سوف أرتكب جريمتى أنا أيضا ؛ سأكذب : هذا كل ما فى الأمر .

الكويكر : يديك ! هات يديك يا ابنتى أقدسهما ! **(يقبل يديها ويسترسل)** خطاياك بريئة . وسوف تبسط أخواتك القديسـات نقبهن لكى يسترن أكذوبتك ؛ ولـكن احفظى جواهرك ، فلن تجدى محاولاتى شيئا اذا أنا جاهدت خطيئته الوحيدة ، رذيلته تلك التى تكاد تكون فضيلة : كبرياء الفقر !

كيتى : ولكن ، ألم يتحدث عن رسالة لعله كتبها الى امرىء ينتظر منه الاعانة ؟

الكويكر : آه ! هذا صحيح ! لقد غاب ذلك عن عقلى ، ولكن قلبك قد سمع . نعم ، ها هى ذى مرساة من الرحمة ، سأعتمد عليها معه .

وتنسدل ستارة الفصل الثانى ، ونحن نتطلع الى سر تلك الرسالة ـ خيط الرجاء الغامض الذى تعلق به البطلان الشقيان .

— ٣ —

• والفصل الثالث عامر بالأحداث ، يفتتحه شاترتون وقد جلس على حافة سريره الأشعث ، فى غرفته المعتمة ، يحاسب نفسه :

شاترتون : انها لا تحبنى .. وأنا .. لا أريد أن أفكر فى هذا الأمر منذ اليوم .. ان يدى مثلجتان ، ورأسى يحترق . وهأنذا وحيد أجابه عملى .. ينبغى الآن أن تكون ارادتى قوية تقبض على نفسى وتزج بها فى جثث الشخصيات التى أدعوها لأبعثها ، وفى أشباح أولئك الذين أبتكرهم . **(تدق الساعة)** الساعة تنذرك ؛ اشتغل أيها الشقى ! انك تضيع الوقت فى التفكير . ليس لك أن تفكر الا فكرة واحدة ، وهى أنك فقير . فكل دقيقة تجمع فيها حواسك انما هى سرقة ترتكبها ، ودقيقة مجدبة .. لا تفكر ، وانما أكتب ! فان الكلام هو المربح . رب لفظة تقدر بشلن ! أما الفكر فلا قيمة له فى هذه السوق . أوه ! دعنى ، دعنى أيها اليأس المثلوج ! ويا ازدراء النفس لا تجهز على الآن ! عنى ، عنى ! فالآن قد عرفوا اسمى ومحل اقامتى . وان لم أنجز هذا الكتاب غدا فقد هلكت ! نعم لسوف يقبضون على ، وأحاكم ، وأدان ،

وألقى فى السجن ! (١) يا للعار ! أكتب اذن أيها الشقى ، أهب اذن بعزيمتك !.. ما بالها ضعيفة فاترة ! هل يشلك أيتها النفس الكبيرة هذا الضباب اليائس الذى يتسرب الى هذه الغرفة المتصدعة ؟ يا للضباب الكثيف ! انه ممتد خارج نافذتى كأنه الستار الأبيض ، أو كأنه الكفن .. لقد كان كذلك ممتدا عند نافذة أبى ليلة موته . **(تدق الساعة)** آه ! لقد ضاق وقتى ؛ ولم أكتب شيئا ! ما هـذا الذى كتبت ؟ « هارولد !.. » ومالى بحقك وما لهارولد ؟ بل أكتب ، أكتب بسرعة !.. أكتب لتعيش !.. يا للعذاب !.. وجدير بك أن تكتب فى هذا الضباب الذى استقر على نافذتك كما استقر على نافذة أبيك ! **(يتناول صورة أبيه)** .. هـذه صورتك يا أبى ! هذا أنت أيها الملاح الشيخ الكريم !.. أترى ، أترى هذا الورق الأبيض ؟ انه ان لم يصبح مكتوبا ، فسأمضى الى السجن يا أبى ، وليس فى رأسى الآن لفظ أسود به هـذا الورق ، لأنى جائع .. انى أنا الذى أخطأت اذ اعتقدت أنى شـاعر . نعم ، ولكنى أقسم لك أن اسمى لن يذهب الى السجن . أنظر ، هو ذا محلول من الأفيون . فان تضورت من الجوع ، فلن آكل ، وانما سأشرب .

ويدخل فى تلك اللحظة « الكويكر » ، يحدوه القلق على شاترتون ، فيرى القنينة أمامه ويفحصها .

الكويكر : انى أعرف هذا الشراب . ان فيه على الأقل ستين حبة من الأفيون . وذلك يمنحك اذا تجرعته شيئا من الهيام يروقك أول الأمر كشاعر ، ثم شيئا من الهذيان ، ثم رقادا ثقيلا لا يعقبه صحو .. هل مكثت وحدك وقتا طويلا يا « شاترتون » ؟

---

(١) كان القانون الانجليزى يومئذ يقضى بعقوبة الحبس لمن يتخلف عن سداد ديونه .

شاترتون : وان أردت أن أمكث وحدى الى الأبد ، أفليس لى الحق فى ذلك ؟

الكويكر : من الجبن أن تمضى ــ خوفا من القدر ــ فتختبىء فى حفرة تحت حجر غليظ .

شاترتون : أفتعرف كثيرا من الجبناء قتلوا أنفسهم ؟

الكويكر : لن أعارضك .. ولكن قد بدا لى هذا الصباح أنك كنت تأمل شيئا ما من رسالة كتبتها .

شاترتون : نعم ، كنت قد كتبت للعمدة ، لورد بكفورد ، وهو ممن عرفوا والدى معرفة حميمة .

الكويكر : لورد بكفورد من أشرف وأعلم رجال لندن . حسنا فعلت . ولكن لماذا عدلت عن رأيك !

شاترتون : فيم تريدنى على الهوان بلا جدوى ؟ اننى مضطر الى الخروج من الدنيا .

الكويكر : ليغفر لى المولى ما سأفعل . اصغ يا شاترتون ! انى شيخ مسن ، قد قضيت أيامى مع اخوتى فى التأمل والاحسان والصلاة . وسوف أقول لك ، بحق الله ، نبأ يقينا ، اذا قلته لك ألقيت ــ فى سبيل انقاذك ــ بقعة سوداء على شعرى الأبيض . شاترتون ! شاترتون ! تستطيع أن تزهق روحك ، ولكن ليس لك الحق فى ازهاق روحين . فان هناك نفسا قد تعلقت بنفسك . شاترتون ! شاترتون ! تستطيع أنت أن تشك فى الأبدية ؛ ولكنها هى لا تشك فيها ؛ وسوف يكون جزاؤك حسب شقائك ويأسك ، فلعلك أن ترجو الغفران ؛ وأما هى فقد كانت سعيدة وكانت تقية خالصة . أيها الفتى ، انى أسألك الرحمة ، من أجلها ، لأنها بمثابة ابنتى على هذه الأرض .

شاترتون : رباه !.. أبتاه ، ماذا تعنى ؟ أتكون اذن ..؟

الكويكر : لو أفضيت لها يوما بهذا السر أيها الشقى ،

فستصبح خائنا ، ولن تكون بك حاجة الى الانتحار ، فعندئذ أنا الذى سأقتلك !

شاترتون : اذن فهى ..؟

الكويكر : نعم ، زوجة مضيفك ! أم الطفلين الوضيئين .

شاترتون : كيتى بل !

الكويكر : انها تحبك أيها الفتى . أتريد بعد ذلك أن تنتحر ؟

شاترتون : واحسرتاه ! أفلا أستطيع اذن أن أعيش . ولا أن أموت ؟

الكويكر (بقوة) : ينبغى أن تعيش ، وأن تصمت ، وأن تدعو الله !

• **ثم ننتقل الى قاعة الدار ، حيث نستقبل الوافدين من الخارج ، وأولهم اللورد الشاب « جورج تالبوت » .**

جون بل : مرحبا بجناب اللورد تالبوت !

لورد تالبوت : أنت لم تخبرنى يا « جون بل » بهموم صديقى شاترتون وضائقته . فهل تعلم — وهل تعلم أنت أيها « الكويكر » الصالح — ما وقفت عليه الآن ؟ ان أشعار شاترتون الرائعة لم تمنحه قطعة من الخبز . وذلك طبعا لأنها شعر ، وشعر رائع .. ثم هناك رجل يدعى « سكيرنر » ..

جون بل : نعم أعرفه ، انه رجل غنى يملك عدة بيوت فى لندن .

لورد تالبوت : هذا الرجل المليونير يتعقب شاترتون لأن الفتى مدين له بايجار زهيد .. وكان شاترتون قد تعهد كتابة ، لكى يخرج من عنده — أوه ! لقد قرأت الورقة بنفسى — تعهد بأنه فى يوم ما **(وهذا اليوم يقترب)** سوف يدفع دينه !.. أما اذا مات قبل هذا التاريخ ، فانه يبيع لمدرسة الجراحة جثته لكى يوفى بالثمن دينه ؛ وقد اشترط

المليونير ذلك !

الكويكر : يا للبؤس ! يا للبؤس الفظيع !

لورد تالبوت : سوف أدفع كل شيء من غير أن يعلم ، انى أبغى راحته ، أفتفهمون ؟

الكويكر : وكبرياؤه ؟ ألم تقدر كبرياءه أيها الصديق ؟

لورد تالبوت : سيدى الكويكر ، اننى أعرفه من قبلك . وأريد أن أقابله الآن .

ويلتقى الصديق الغنى المحسن ، بصديقه الشاعر العيوف :

لورد تالبوت : لقد أقبلت اليوم يا « توم » الكى أؤدى لك خدمة ، فهل تأذن لى ؟

شاترتون (فى وداعة الأطفال) : انى مذعن يا « جورج » الى كل ما يريده الناس ..

لورد تالبوت : فهل تورطت اذن مع « سكيرنر » الخبيث ؟ انه يريد القاء القبض عليك غدا .

شاترتون : لم أكن أعرف ذلك . ولكنه على حق .

لورد تالبوت : على حق ! ؟

شاترتون : على حق حسب القانون . فقد كان ينبغى أمس أن أوفيه ما له على ، وذلك بثمن مخطوطة كنت قد بدأتها حين وقعت تعهدى ، فأما ان ألم بى الأسى ، ولم ينزل على الالهام فى ميقاته ، فذلك ما لا يعنيه . نعم ، ما كان يصح أن أعتمد على قواى الى هذا الحد ، وأن أوقت هبوط الهة الشعر وذهابها كما يقدر المتراهنون جرى الجواد فى حلبة السباق . لقد فرطت فى احترام نفسى الخالدة فأجرتها بالساعة وبعتها بالدراهم . انى أنا المخطىء وانى لمستحق عواقب جريرتى .

لورد تالبوت : وهل اعتمدت حقا على « لورد بكفورد » ابن عمى ، انى لمندهش كيف لم تعتمد على أولا ؟

شاترتون : ان لورد بكفورد هو عمدة المدينة ، والعمدة فى نظرى هو الحكومة ، والحكومة هى الوطن يا سيدى اللورد ؛ فعلى بلادى أنا أعتمد .

ولا يلبث اللورد العمدة حتى يصل ، ويشترك فى الحديث :

لورد بكفورد : ها أنتم هؤلاء !

جون بل : يا سيدى العمدة ، انه لكرم من جنابك أن تتفضل بالحضور الى منزلى .

لورد بكفورد : جون بل ، ألا يقيم عندك شاب يدعى شاترتون ؟

شاترتون : هو أنا يا سيدى اللورد .

لورد بكفورد : آه ! أهو أنت يا عزيزى ؟ رحم الله أباك ، كان جنديا فقيرا ولكنه شق طريقه بشجاعة . أما أنت فقد جعلت تلهو بقرض الشعر يا صديقى الصغير ؛ وهذا خير اذا حدث مرة واحدة ، ولكن لا ينبغى أن يكرر المرء ذلك . لقد فعلت أنا مثلك فى شبابى ، فلم يعرف يوما « لتلتون » ولا سويفت » أن يكتب للحسان أرق ولا أظرف من أبياتى !

شاترتون : لا شك فى ذلك يا سيدى اللورد .

لورد بكفورد : ولكنى لم أكن أمنح ربات الشعر الا وقت الفراغ الضائع ، اذ كنت أعلم أن أجمل الهة شعر فى الدنيا كما قال « بن جونسون » — لا تستطيع أن تقوت رجلها ، وأن للمرء أن يتخذ هؤلاء الفتيات خليلات يلهو معهن ، لا زوجات يقترن بهن !

وينطلق اللورد الماجن ضاحكا ، مما يجافى أدب المجلس ، ورهبة الموقف ، ووقار الفتى الشاعر الذى يجاوبه بسخرية مريرة :

شاترتون : ما أصدق هذا القول يا سيدى اللورد ! فانى اليوم أرى ذلك .

لورد بكفورد : ان قصتك يا بنى هى قصة مئات الشبان .

أنت لم تستطع أن تصنع غير أبياتك اللعينة ، فما نفعها من فضلك ؟ انى أكلمك كأب بر .. ما نفعها ؟ على المواطن الصالح أن يكون نافعا لبلاده . وعندى تعليمات فى شأنك .. بالصراحة .. و ..

لورد تالبوت : يا جناب اللورد ، أنه صديقى ، وأنك لمحسن الى شخصى ان أحسنت معاملته ..

لورد بكفورد (يغير نغم الحديث) : أوه ! أيعنيك أمره يا جورج ؟ لسوف ترضى ، فقد فعلت من أجله شيئا ما . انها مائة جنيه فى السنة ، لا تتكلف الأنفة يا بنى ! وفيم ؟ .. لم يكن أبوك أخا الملك . انها بداية . وستكون معى حتى أراقبك عن كثب .

شاترتون : انى طوع أمرك بعد لحظة ، فان لدى بعض الأوراق أريد أن أحرقها .

لورد بكفورد : حسن ، حسن ! انه يتوب عن الشعر .

كيتى بل (على حدة) : لماذا يريد أن يمكث وحده ، يا الهى ؟

ويخلو الفتى الشاعر بنفسه ، وبخطاب تعيينه ، فنسمعه يقول :

شاترتون : عسير على أن أتمثل كيف يتغير مصيرى فجأة . ترى ما تكون تلك الوظيفة ؟ لأفض الغلاف . **(يصيح فى ازدراء)** وظيفة « حاجب أول » فى بيته ! خادم ! آه ! يا بلد اللعنة ! يا أرض الحقارة ! لتنزل عليك اللعنة الى الأبد . ويأيتها النفس العزيزة ، لقد بعتك ، فلأفتدينك بهذا الشراب . **(يتجرع الأفيون)** الآن سأدفع دينى لسكيرنر .. وداعا أيها الهوان والعار ، وداعا أيها البؤس والشقاء وعناء القلب ! .. آه ، لو عرفوا هذا النعيم الذى ظفرت به الآن ، لما ترددوا مثل ما ترددت . أيها الموت ، يا ملاك الخلاص ، ما أحلى سلامك ! أنظر الى أيها الملاك القاسى ، وامح من أمامهم آثار خطاى على

الأرض ! .. (**يمزق أوراقه ويلقى بها فى النار**) هلمى أيتها الأفكار النبيلة التى كتبتها لأولئك الجاحدين . تطهرى فى جذوة النار واصعدى معى الى السماء .

وتلوح « كيتى » من بعيد ، مترددة الخطى ، ثم تقترب شيئا فشيئا :

كيتى (لنفسها) : ماذا يفعل ؟ ماذا يحرق ؟ هذه النار تخيفنى ، وأن وجهه الذى يسطع عليه لهبها لوجه رهيب . **(لشاترتون)** أفلن تلحق بالسيد اللورد ؟

شاترتون : آه ! هذه أنت ياسيدتى ! رحمة بى ، انسينى !

كيتى : لماذا يا الهى ! ماذا فعلت ؟

شاترتون : انى راحل ! .. وداعا ! .. اسمعى : ينبغى ألا يخدعكن الشعراء ، انهم غير جديرين بالحب ، لأنهم قوم أنانيون . لا تقرأيهم ولا تنظرى اليهم ؛ واعلمى أنى قد كنت شر الشعراء جميعا !

كيتى : رباه ! لماذا تقول « قد كنت » ؟

شاترتون : لأنى لن أكون شاعرا بعد اليوم . وها أنت ذى ترين أنى مزقت كل شىء . وداعا ! .. اصغى الى : ان لك ابنة وضيئة ، هل تحبين ولديك ؟

كيتى : أكثر من حياتى .

شاترتون : أحبى اذن حياتك من أجل اللذين أعطيتهما الحياة .

كيتى : واحسرتاه ! فما أحبها الا من أجلهما .

شاترتون : أحبيهما يا سيدتى ، وحدهما ، وفوق كل شىء . عدينى بذلك !

كيتى : يا الهى ! ان عينيك تشرقان بالدموع .. وتبتسم ؟

شاترتون : وقى الله عينيك النجلاوين من البكاء ، وطبع على شفتيك ابتسامة دائمة ! أوه كيتى ! لا تدعى حزنا دخيلا يتسرب الى أسرتك الوادعة .

كيتى : واحسرتاه ! فهل نملك ذلك ؟

شاترتون : أجل أجل ! هناك أفكار بها يستطيع المرء أن يغلق قلبه . اسألى الكويكر ، يمددك ببعضها . أما أنا فقد ضاق وقتى ، دعينى أخرج .

كيتى : رباه ! كم تتألم !

شاترتون : بالعكس . لقد شفيت . رأسى فقط هو الذى يحترق . آه ! رحماك ! انك تؤلميننى أشد من تلك الآلام .. انهم ينتظرونك فوق . ماذا تفعلين هنا ؟

كيتى : ولو دعتنى الآن الأرض كلها ، انى لماكثة هنا .

شاترتون : اذهبى وسأتبعك حالا : وداعا وداعا !

كيتى : انك لا تريد أن تأتى .

شاترتون : سيدتى ان هذا البيت ملكك ، ولكن هذه الساعة ملكى أنا !

كيتى : فماذا تريد أن تفعل بها ؟

شاترتون : دعينى يا كيتى ...

كيتى : لن أعرف السعادة يوما ولا راحة الضمير ان تركتك على هذه الحال .

شاترتون : هل أتيت لعقابى ؟ أى روح شرير أرسلك ؟

كيتى : خوف غامض .

شاترتون : سيروعك الخوف لو مكثت هنا .

كيتى : وهل انتويت شرا ؟ يا ربى !

شاترتون : أما أخبرتك بما فيه الكفاية ؟ .. كيف جئت الى هنا ؟

كيتى : وكيف لا أمكث ههنا ؟

شاترتون : ذلك لأنى أحبك ، يا كيتى ..

كيتى : آه ! .. ما دمت تقولها لى ، فلأنك تريد أن تموت !

شاترتون : من حقى أن أموت ..

كيتى : بل انها لجريمة منكرة ، لا ترتكبها !
شاترتون : لابد مما قدر على ..
كيتى : انتظر يوما تفكر فيه فى روحك !
شاترتون : لقد فكرت يا كيتى فى كل شىء ..
كيتى : فانتظر ساعة واحدة تصلى فيها !
شاترتون : لا أريد أن أصلى الآن ..
كيتى : أسألك من أجلى أنا . فان موتك قاتلى !
شاترتون : لقد حذرتك ! لقد فات الأوان !
كيتى : وان كنت أحبك أنا ؟
شاترتون : لقد آنست ذلك ، ولذا فانى خيرا فعلت بموتى ! .. ومن أجل ذلك قد يغفر الله لى .
كيتى : ما الذى فعلت ؟
شاترتون : لقد فات الأوان يا كيتى . ان الذى يخاطبك ، ميت !
كيتى (مبتهلة) : يا قوى السماء ! ارحميه ، ارحميه !
شاترتون : اذهبى .. وداعا !
كيتى : لن أستطيع ..
شاترتون : صلى اذن من أجلى ، على الأرض وفى السماء .

ويقبل منها الجبين ، ويهرول على السلم صاعدا الى غرفته . وتجد كيتى القنينة ، فتصيح مذعورة :

ـ يا الهى ! ما هذه القارورة ؟ اللهم اغفر لى !

ويهرع الكويكر ، فينهرها :

ـ ويحك ، ماذا تفعلين هنا ؟

أما هى فتستنجد به :

ـ أسرع يا سيدى ! أنقذه .. ان لم يكن قد فات الأوان !

فيصعد الشيخ السلم ، وهو ينهاها عن التقدم :

ـ مكانك يا ابنتى ! لا تتبعينى !

ونسمع من بعيد زفرات شاترتون يحتضر ، والكويكر يواسيه ويشجعه ، بينما تصعد كيتى درجات السلم فى عناء شديد وهى تئن . ثم ينطلق صوت « جون بل » المجلجل ينادى زوجته ، واذ لا تجيبه يصعد درجتين ، فيراها ، ويتساءل :

ـ ماذا هى تفعل هنا ؟ وأين ذهب ذلك الفتى ؟

ثم يزمجر : « أحضروه ! » !

فيرد عليه الكويكر : بل قل « شيعوه » !

ـ فهل مات ؟

ـ نعم ، قضى نحبه فى الثامنة عشرة من عمره . لا تعجب ، لقد وجد من حسن استقبالكم ما دفعه الى الرحيل !

ـ ولكن ..

ـ حسبك ! رفقا يا سيدى بهذه المرأة . خذ الولدين وابتعد . أسرع لئلا يبصراها .

وتحتضر كيتى بين يدى الكويكر ، فقد شربت ما تبقى فى القنينة من السم . ويجثو الشيخ على ركبتيه ، رافعا عينيه نحو السماء يقول :

ـ يا رحمة الله ! تقبلى فى الفردوس هذين الشهيدين !

ويظل جاثيا حتى تهبط الستارة .

لكل مسرحية .. قصة

عزيزى القارىء ..

والآن ، وقد استمتعت ـ فيما أرجو ـ بقراءة هذه المسرحية الانسانية الرائعة للشاعر الفرنسى « ألفريد دى فينى » ، عن مأساة زميله الشاعر الانجليزى التعس « توماس تشاترتون » .. تعال نقرأ معا القصة التى وراء المسرحية .. قصة الغرام الذى ربط بين مؤلف المسرحية « فينى » ، وممثلة الدور النسائى فيها ، الفنانة الفرنسية الشهيرة « مارى دورفال » .. وقد روى قصة هذا

الغرام الكاتب الفرنسى « كامى ديتوش » فى كتاب له بعنوان : « الجلال والعبودية فى غراميات دى فينى » (١)

باريس .. ذات ليلة من خريف ١٨٢٩

• **كانت** حجرة « مارى دورفال » تزدحم بالمعجبين ، فى تلك الليلة من ليالى خريف سنة ١٨٢٩ ، فقد استطاعت الممثلة الفرنسية البارعة أن تخلب ألباب شباب علية القوم فى باريس .. لا لأنها كانت باهرة الجمال – فالحق أنهـا لم تكن نادرة الحسن – وانما كانت جياشة العواطف ، مشبوبة المشاعر ، بارعة فى تمثيلها ، لا تندمج فى دورها حتى تبكى النظارة !

وشق الزحـام كاتب فرنســا الكبير « دوماس » ، وفى صحبته شـاب راح يتبعـه على استحياء .. وما ان رأت « مارى » الكاتب الكبير – من وراء « البارافان » – حتى هتفت : « أهلا بك يا كلبى الطيب ! » .. ولكنها انتبهت فجأة الى الشـاب الذى كان يرافقه ، فأمسكت عما كانت تبغى قوله ، وصاحت : « لعمـرى !.. ها أنذا أخـيرا أعثر على رأس أحبـه ! » .. وحملقت فى الشاب لحظـة ، ثم أردفت لديماس : « عفوا ، ظننتك جئتنى بتمثال ، فاذا به سـيد حقيقى .. عفوا ، سأوافيكما بعد لحظة ! »

وسرعان ما وجد الشاعر الشـاب « الفريد دى فينى » أمامه امرأة ناضجة ، ليست بالفاتنة الوجه ، ولكنها خفيفة الدم ، خلابة الابتسامة ، ذات نحر عريض ، وصدر ممتلىء .. ولسان زلق ، فقد بادرته قائلة : « أصحيح أنك الكونت الفريد دى فينى ؟ .. اذن فلسـنا بالصـديقين الحديثين ، فقد صاحبتك فى أشعارك .. وكم بكيت وأنت تقول على لسان « اليوأ » Eloa فى مقطوعتك عن « موسى » :

(1) Grandeur & Servitude Amoureuse de Vigny : Camille Destouches

«لكم جعلتنى يا رب قادرا ، متفردا ، فدعنى أنعم بنعاس أهل الارض !»

الغرام «الثالث» فى حياته

• **وتضرج** وجه الشاعر الشاب .. وخفق قلبه اذ شعر أنها تردد شعره من أعماقها ، وأوشك دى فينى أن يهتف بها : «عجبا لك يا مارى !.. من تكونين ؟.. أهكذا أنت حقا على سجيتك !» .. ولكنه أمسك ، اذ فطن الى الحضور ، فقد خشى أن توحى عباراته بأن الممثلة ــ التى كانت باريس بأسرها تهيم بها ــ قد فتنته ، وهو الذى لم يخفق فؤاده من قبل بغير غرامين : فلقد شغف يوما بالشاعرة الشابة «دلفين جاى» ، ولكنها لم تلبث أن تزوجت من «اميلان دى جيراردان» ــ مدير مجلة «لامود» ــ وتركته يطوى قلبه على جرح غائر .. ولكن الجرح لم يلبث أن اندمل بفعل الشباب وعواطف الشاعر وأحلامه ، فاذا القلب يصبو من جديد الى الهوى .. وفى هذه المرة ، أحب «ليديا» ، ابنة اللورد «بنبرى» الانجليزى .. وفى هذه المرة أيضا ، استطاع الزواج أن يوقعه فى شباكه ، فأصبحت «ليديا» كونتة دى فينى .. ولكن القدر لم يشأ للزواج والهوى أن يتعايشا معا ، فاذا الزوجة الشابة تقع صريعة مرض أبى أن يفارقها ، وألزمها الفراش ، فأخذ وجودها يتضاءل فى بيت زوجها وحياته ، حتى أصبح فؤاده يشعر بالخواء ..

كلتا التجربتين كانت أليمة .. فهل تراه يسمح لنفسه بالوقوع فى الهوى مرة ثالثة ؟.. وهوى من ؟.. هوى «مارى دورفال» ، معبودة باريس ؟

وشحب وجهه ، وراح يعتصر منديله فى حيرة ، بينما كانت «جورج صاند» تجاذب «مارى» أطراف الحديث ، و «دوماس» يعدها بالدور الأول فى مسرحية «أنتونى» ، التى

كان يكتبها .. دور امرأة أرستقراطية ، تشغف بهوى رجل نكرة ، مجهول الأصل ، سيىء السيرة ، حتى اذا شعرت بأن زوجها يوشك أن يكشف أمرها ، آثرت الانتحار على الفضيحة !

وغاب « دى فينى » فى أفكاره المضطربة ، فلم يشعر بالحضور وهم ينصرفون تباعا . حتى سمع صوتها – أخيرا – يخرجه من غيبوبته ، فالتفت حوله ، ليرى أنهما وحيدان .. وكانت مارى تقول له : « أن فى قصتك (٥ مارس) موضوعا رائعا لمسرحية تظفر بكل نجاح .. وأعنى به موضوع غرام زوجة المارشال دانكر » .. وقبل أن ينتبه الى نفسه ، كان لسانه قد انطلق قائلا : « ما دمت ترين هذا ، فسأكتب لك المسرحية ! » .. ثم فطن الى قوله ، فهتف فى نفسه : « ويلى ! .. ها قد ربطت نفسى بها .. وانى لمن الهالكين ولاريب ! »

وأقبل فى تلك اللحظة أحد الصحفيين ، فأسرع « دى فينى » الى الانسحاب ، قائلا : « عفوا ، فان أمى تنتظرنى ! » . وكان عذرا كفيلا بأن يثير الضحك ، ولكن « ألفريد » لم يكن كاذبا .. فان مرض زوجته جعل أمه تسيطر على شئون بيته وحياته ، وان ظلت تقيم فى دارها الخاصة .. وكان يحرص دائما على أن يحييها قبل أن تأوى الى مضجعها ، وقد حانت – فى تلك الأثناء – ساعة نومها !

أول حب لها ، بعد أن هجرها زوجها !

◉ **وأخذ** الشاعر الشاب يتردد على المسرح كل ليلة ، وهو يشعر بأنه مشدود اليه بقوة خفية لا قبل له على مقاومتها .. وكان يقضى – بعد انتهاء التمثيل – ساعة أو ساعتين مع « مارى » فى حجرتها ، سعيدا بأن ينصت اليها وهى تحدثه عن ماضيها ، وكيف اندمجت فى الفن منذ حداثتها ، حتى انها قامت بدور – كراقصة باليه – فى « الناى السحرى » ، وهى

بعد فى الرابعة من عمرها .. كما اشتركت فى أوبرا ((زواج فيجارو)) وهى فى الرابعة عشرة !.. ومضت تروى له حياتها : ((ولا اكتمك اننى لم أحسن الغناء فى ذلك الدور ، ولكنى أجدت التمثيل ايما اجادة .. حتى اذا بلغت السادسة عشرة ، تزوجت الممثل ((آلان دورفال)) ، فأنجبت منه ابنتى : ((جابرييل)) و ((لويز)) .. **ولكنه اختفى من حياتى .. وبقدر ما أعرف الآن من رجال ، فلست انزلهم من نفسى أكثر من منزلة الأصدقاء .. أما قلبى ، فقد ظل خاويا !))**

ولكن أصدقاءها لم يعودوا يرون قلبها خاويا .. ولا قلب ((دى فينى)) . فقد راحوا يرقبون تعلقها به ، وغيرته عليها .. فقد أصبح يغار عليها من كل مخلوق !

ونبهته هذه الغيرة الى أنه لم يقو على تفادى المصير الذى توقعه لنفسه ليلة لقائهما الأول .. نبهته الى أنه قد أحبها ، وأوغل فى هذا الحب الذى كان يخشاه ويوجس منه .. حتى انه لم يتمالك ــ ذات ليلة ــ ان قال لها ، وهما وحيدان فى غرفتها بالمسرح : **((لكم تعذبيننى يا مارى ! . انك تضمين فى كيانك أكثر من امرأة ، وانى لأحبهن جميعا .. ولكنى ــ فى الوقت ذاته ــ أنفر منهن وأوجس !))** .

ولم تجب مارى ، بل رفعت اليه وجهها متطلعة اليه فى صمت ، وراحت تنتظر .. وشحب وجه ألفريد ، وارتعدت فرائصه ، واتجه الى ركن من الحجرة تشاغل فيه عنها ، ليتحاشى الموقف .. وراح يقول لنفسه : ((لا ، لن أضعف .. لا ينبغى أن أكون مجرد نزوة بين النزوات التى تحفل بها حياة هذه المرأة .. واذا لم يكن ثمة بد من أن أهواها ، فلأكن على حذر .. ولأعمل على تغييرها أولا !))

وعندما قدمت اليه ذراعها ــ فى تلك الليلة ــ ليرافقها حتى باب بيتها الذى كان يبعد عن المسرح بحوالى ٢٠٠ متر فقط ،

هبط عليه وحى الشعر ، فأخذ يغمغم — فى الطريق — بأبيات توافدت على خاطره ، لم تعرف طريقها الى النشر ، ولكنها وجدت مكتوبة بين أوراق مارى دورفال :

« دقت ساعة بالليل تعلن .. أن اليوم لفظ أنفاسه أخيرا .. ومحا الظلام الهادىء آثار ضيائه وضوضائه .. واتشح مسرحك بالحداد عليهما ، فكأنه قيثارة بلا أوتار .. نبذها امرؤ على عتبة الدار ! »

ولم تتمالك مارى نفسها ، فهتفت : « ان الهامك لا يقل نبلا عن دمائك يا شاعرى ! » .. وداخلتها غبطة نشوانة ، فقد كان غيره من الشعراء ينظمون الشعر لتلقيه وتردده ، أما هذا الشاعر الشاب النبيل المحتد ، فكان ينظم الشعر من أجلها فقط ! وأحست فى أبياته بأن هواها قد ملكه أخيرا وسيطر عليه !

تتحدى رجولته ، فى صالون « جورج صاند » الأزرق !

● **وتوالت** الشهور ، وهما قانعان بغرام روحى .. أو — على الأصح — كان « دى فينى » وحده هو القانع بالرابطة الروحية .. أما « مارى دورفال » ، فكان لها موقف آخر ، لم تلبث أن كشفته : كانت قد وفقت ايما توفيق فى دورها بمسرحية « انتونى » التى أتمها « دوماس » ، والتى بدىء فى عرضها فى مساء ٣ مايو سنة ١٨٣١ . **وبلغ من توفيقها ان الموسيقى العبقرى « فرانزليست » سألها أن تمثل المشهد الأخير فى حفلة كان ينظمها ليمكن زميله « برليوز » من أن يتزوج وهو معدم لا يملك ثمن الفراش الذى يعده لعروسه ..**

وبعد انتهاء الحفلة ، صحب فريق من أهل الأدب والفن « جورج صاند » الى صالونها الأزرق .. وكان « دى فينى » يجلس بين « ليست » وكونته « داجو » الشقراء ، عندما

اندفعت « مارى دورفال » الى الصالون ، وهى لا تزال بثوب التمثيل الموشى بالماسات .

وصاحت **جورج صاند** : « لكم كنت رائعة !.. ما أجملك! »
.. فقالت مارى : « اما اننى جميلة ، فلا . اننى أخشى .. »
.. وقال أحد الحضور : « وما أبدع هـذه الماسات ! » ..
فهتفت : « أحسبك تريد أن تقول ما أدق زيفها .. كل ما حولى زائف .. أليس كذلك يا شاعرى ، يا ابن الطبقة الراقية ؟ » .

وارتبك « ألفريد دى فينى » ازاء هـذا الهجـوم غير المرتقب ! .. **كان قد انقضى على تعارفهمـا عامان ، أصبح خلالهما يلاصقها كظلهـا ، ولكن علاقاتهمـا لم تتعد الرباط الروحى ، حتى أنه لم يكد يبادلها القبلات خلال هذه المدة ..** فقد كان يخشى هذا الغرام ويوجس منه .. كان ما عرفه عن ماضيها ، وما قضت عليه من قلوب ، يجعـله غير مطمئن الى الانسياق لعاطفتها . كان الحب ـ عنده ـ يقتضى من المرأة أن تتجرد من الشهوة ، وأن تفيض على الحبيب حنـانا أمويا طاهرا ، كما فعلت « ايلوا » اذ نبذت السماء فى سبيل انقـاذ الملاك الخاطىء ، فى قصته الشعرية « موسى » .

وفى غمرة الحرج الذى تولاه أمـام الحضور ، غمغم فى ضراعة : « **حسبك يا مارى ! .. اننى أحبك كل الحب !** » . ولكنها لم تحفل بتصريحه ، بل ثبتت يديها فى خاصرتيهـا ، وقالت بلهجة مسرحية : « ومتى يتكرم أهلك يا سيدى الكونت بالحضور ليخطبونى لك ؟! »

ووجد « ألفريد » فى أشد مأزق صادفه فى حياته .. وجد نفسه فى لحظة حاسمة ، فاما ربط حياته بحيـاة هذه المرأة الجريئة ، واما نبذها .. ولكن خوف الحرمان منها تغلب على

خوف الارتباط بها ، فاذا به ينهض وسط الحضور ، فيتناول يدها ، ويرفعها الى شفتيه . .

تطور الحب . . الى غايته المحتومة !

وانصرفا فى تلك الليلة معا ، وكأنهما عروسان ينطلقان فى شهر العسل ! . . وفى اليوم التالى ، كتب الشاعر فى مذكراته : ((**ان الحب يزداد عظمة وقوة بعد امتلاك الجسد ، اذا وجد الطموح الجامح الى الاستحواذ على كل ما لدى المرأة المختارة من أفكار وآراء**)) !

واختارا للقاءاتهما مسكنا غير بعيد عن دار أمه ، فكان اذا غادر ((مارى)) سعى الى أمه ليقبلها قبل نومها ، ثم أوى الى داره ، فيقول لزوجته المعتلة : ((لقد كنت عند أمى)) . . وبذلك لم يكن بحاجة الى أن يكذب عليها !

ولكن ((مارى)) لم تقنع باستسلام الشاعر الشاب النبيل . . بل كانت لا تفتأ تشكو من ارتباطه بزوجته . وكانت تقول له : ((سمعت أنك كنت مجنونا بزوجتك !)) . فكان يجيبها قائلا : ((اننى يا ملاكى اذ أعاشرها أشبه بمن يحاول أن يعزف على الحجر أنغام الكمان !)) . **واضطر الشاعر المفتون الى أن يخضع لرغبتها ، وان يطلع أمه ــ والملأ ــ على علاقته بها ! . . وكانت تلك أول لطمة لغرام الفريد ومارى . . فقد استنكر المجتمع ، وكثير من أصدقائهما ــ من أهل الأدب والفن ــ هذه العلاقة . .**

وكأنما شاء القدر أن يعلن بدوره استنكاره ، فاذا ((مارى)) تمنى بالفشل فى دورها فى ((ماريون ديلورم)) ، التى كتبها فيكتور هيجو . . وفى خوفها الجنونى من عاقبة هذا الفشل ، قامت بجولة فى أقاليم البلاد . . ولكنها لم تصب حظا كبيرا . . بل انها تعرضت لشواظ من غيرة دى فينى ، حتى انها قالت له يوما ، وقد ضاقت بهذه الغيرة : ((ليس فى وسع امرأة أن

تخدع النابغين ! » .. فما كان منه الا أن أجاب بمرارة : « ولكن التاريخ يثبت خطأ هذا الزعم ، للأسف ! »

ثم أوعز اليها الطموح أن تصر على القيام بدور البطولة ، فى المسرحية التى كتبها دى فينى ، عن الشاعر الانجليزى « تشاترتون » .. ولكن الدور كأن قد استهوى ممثلة أخرى ذات حظوة كبيرة ، هى « مدموازيل مارس » ، فساقت مدير « الكوميدى فرانسيز » ، وأحد الوزراء الى « دى فينى » لاقناعه باعطائها الدور ، دون « مارى دورفال » ! .. **بل ان الملك « لويس فيليب » طلب أن يقدم اليه الفريد . فلما مثل بين يديه ، فى حفلة ما ، قال له : « سيسر الملكة ويسرنى أن نصفق لمدموازيل مارس فى مسرحيتك عن تشاترتون » ..**

ولكن فتنة مارى كانت قد أعمت ألفريد عن كل اعتبار ، فأجاب : « ليأذن لى صاحب الجلالة بأن أقول ان الدور كتب لمدام مارى دورفال خصيصا » !

النقاد يخيفونها من دور « كيتى بيل » فى « تشاترتون »

◎ واتجهت المحاولات نحو مارى .. وراح أصدقاؤها من النقاد يصارحونها بأنها لم تعد تصلح لتمثيل دور « كيتى بيل » حبيبة « تشاترتون » ، التى لا تكاد تكتشف انه انتحر — على ما رأينا فى تلخيص المسرحية فى الصفحات السابقة — حتى تلحق به ، وتهوى ميتة .. وذهبوا فى الصراحة الى درجة اطلاعها على الفرق بين تهالك فتاة شابة ، غضة الاهاب .. وتهالك امرأة كبرت فى السن وترهلت فثقلت حركاتها .. ولكنها تشبثت بالدور فى عناد .

وفى ١٢ فبراير سنة ١٨٣٥ ، اقيمت حفلة الافتتاح للمسرحية .. وشغل الملك وحاشيته الصفوف الأربعة الأولى من مقصورات المسرح .. وعندما آن للبطلة أن تهوى اذ رأت جثة حبيبها المنتحر ، على درجات السلم ، تهالكت فى رفق ،

ثم انزلقت على الدرجات .. حتى اذا بلغت نهايتها ، اختلجت بحركة راقصة بقيت لها من بقية « الباليه » الذى كانت تجيده ، **فهتف الملك : « آه .. لقد سقطت كحمامة أردتها رصاصة صائبة ! » . وتناول باقة ورد كانت مع الملكة ، ورمى بها « مارى دورفال » !**

وظلت تؤدى الدور ١٠٣ مرات ، ثم تركته لمدموازيل مارس ، وقامت بعدة جولات تمثيلية فى الأقاليم ..

نهاية حب .. ثم نهاية حياة !

● **وجاءت** الضربة القاضية لغرام «مارى» و «دى فينى» فى ٧ أغسطس سنة ١٨٣٩ ، عندما توفيت أم الشاعر الشاب .. فقد كان شديد التعلق بأمه ، الى درجة جعلت وفاتها تهز كيانه ، بل تحطم نفسه ، فاذا به يعزف عن كل شىء ــ حتى عن هواه ــ ليجتر حزنه ، وينصرف الى نظم أشعار قاتمة .

وانصرف عن مارى ، أو ــ بالأحرى ــ « انتزعه الحزن منها » ، كما عبرت هى .. وسار كل فى طريقه .. فأخذ هو يصعد درجات المجد فى ميدانه ، بينما كانت هى تنحدر فى فنها ..

وبينما كان جالسا بين المعجبين به فى صبيحة ٢٠ مايو سنة ١٨٤٩ ــ وكان قد بلغ الثانية والخمسين ــ وقع بصره على نبأ وفاة « مارى دورفال » ، فى ركن من احدى الصحف .. وتحركت فى صدره العاطفة التى كانت قد خمدت قبل عشر سنوات .. فاذا به يسعى فى اليوم التالى الى مقبرة (مونبارناس) ، حيث عثر على قبرها تحت فيض من الزهور . وعلى الصليب الذى كان يعلوه ، قرأ هذه العبارة : **« مارى دورفال ــ ماتت حزنا »**

وانصرف وهو يردد أبياتا باكية كان قد نظمها فى شبابه .

.. ولأول مرة لم يزر ــ فى ذلك اليوم ــ قبر أمه !

....



Une Etrange Jeune Fille (par: Roger Régis)

تلخيص : ماهر مينا

عزيزى القارىء ..

قدمت لك فى أعداد سابقة من كتـــابى ، ست حلقات من هـــذه السلسلة التى توفر على التأليف فيهـــا الكاتب والمحقق الفرنسى « روجيه ريجى » ، وجعل لها عنوانا مشتركا لجميع حلقاتهـــا ، هو « نساء ومآس فى ساحة العدالة» .. وهى مجموعة من المحاكمات التاريخية يجمع بينها قاسم مشترك واحد ، هو أن المجرم الحقيقى فى كل حلقة منها : امرأة ! .. وقد كتبها « روجيه ريجى » بأسـلوب الاديب والمحلل النفســانى ، لا المحقق أو المؤرخ فحسب . وهكذا قرأت فى العدد ٨٤ من (كتابى) مأساة « الغانية السمراء » ، وفى العدد ٨٥ : « الجثة الحائرة »،وفى العدد ٨٨ : «العشق الحرام»، وفى العدد ٨٩ : « الغانية الخطرة » ، وفى العدد ٩٠ : « عجز الملك عن انقاذها » ، وفى العدد ٩١ : « أضله الهوى » .

واليوم أقدم لك فيما يلى حلقـــة جديدة من هذه السلسلة من المحاكمات التاريخية الانسانية الممتعة ، « بطلتها » ـ اذا جاز هذا الوصف ـ حسناء شاذة الاطوار ، مريضة النفس .. كما ستبدو لك من خلال الصفحات التالية :

لم يعبأ بنصيحة كازانوفا !

عند ما تقدمت السن بـ « كازانوفا » ، عكف العاشق الكبير على تدوين مذكراته الغرامية الحافلة ، مضمنا اياها طائفة من النصائح والارشادات التى وجهها الى الرجال ، كى تعينهم على التغلب على « مكائد النساء » ! .. وقد تضمنت تلك النصائح ـ فيما تضمنت ـ تحذيرا للمحبين «الناشئين» من الفتيات « اليافعات » ، غير المجربات ، وتوصـية شديدة بتجنب طريقهن ، والابتعاد عنهن جهد الطاقة !

على أنه يبدو أن بطل قصتنا هذه لم يعر نصيحة العاشق المجرب أدنى التفات ، **فاذا بعدم تبصره يودى به الي مأساة ،**

لطخت شرفه بالخزى والعار .. وسرعان ما تطورت الى قضية كان لها دوى كبير فى فرنسا منذ أكثر من قرن من الزمان !

ففى عام ١٨٣٤ ، كانت مدينة (سومور) ـ مثل معظم المدن الفرنسية الصغيرة فى ذلك الوقت ـ تنعم بالهدوء والسكينة ، وتنفر من كل ما من شأنه أن يعكر صفو حياتها الرتيبة .. وكان لوجود سلاح الفرسان فى المدينة أثره ـ مع ذلك ـ فى تمتعها بنوع من النشاط والحيوية ، اذ كثيرا ما كان الفرسان الشبان يسيرون فى شوارع المدينة بملابسهم الزاهية الألوان ، وقد تمنطقوا بسيوفهم البراقة فى زهو واعتداد ، مما كان يخطف أبصار الفتيات ويلهب مشاعرهن !

وكان يتولى قيادة سلاح الفرسان الفرنسى فى ذلك الوقت ضابط فى السادسة والأربعين من عمره ، وسيم القسمات ، تبدو على وجهه امارات النبل والحسب ، يدعى « البارون دى موريل » . وكان له تاريخ عسكرى مجيد ، فقد أظهر بطولة فى حروب الامبراطورية ، وشارك ـ بعد عودة الملكية ـ فى الحملة على أسبانيا ، مما جعله يتمتع بشهرة واسعة بين أقرانه من الضباط . **ومع أنه كان دائم الانصراف الى عمله ، معروفا بصرامته المتناهية فى كل ما يتعلق بصون النظام بين الوحدات الخاضعة لقيادته ، فقد كان رجلا اجتماعيا من الطراز الأول ، يحظى بحب المدنيين ، وثقة مرؤوسيه من العسكريين على السواء .** أما زوجته ، فكانت امرأة تناهز الأربعين ، تنحدر من أسرة طيبة ، لها جمال مهيب يجعلها تشبه ربات الأساطير القديمة فى جلالهن ، ومظهر الوقار والحكمة البادى عليهن !

المأساة تبدأ فى حفلة عشاء !

وكانت للزوجين « دى موريل » ابنة تدعى « مارى » ، توشك أن تبلغ السابعة عشرة ، وابن اسمه « روبرت » لم

يكن يجاوز السادسة من عمره .. وخلال أشهر الشتاء ، كانت « مدام دى موريل » تمكث مع ولديها فى (باريس) ، حيث حياة الاستقبالات والحفلات التى تفتقر اليها مدينة (سومور) الصغيرة فى ليالى الزمهرير القارسة . ولكن لم يكن يحل فصل الربيع ، حتى كانت الزوجة تلحق بزوجها فى (سومور) ، حيث كان يقيم فى منزل كبير ذى طابقين ، يقع على ضفاف نهر (اللوار) ..

.. وقد بدأت فصول المأساة فى احدى حفلات العشاء التى أقامها البارون دى موريل وزوجته . **وفى تلك الليلة وجهت الدعوة ، لأول مرة ، الى ضابط شاب كان البارون قد ظل يغلق بابه فى وجهه ، نظرا لما كان يلطخ أسمه من سمعة مشينة !** .. كان الشاب المذكور يدعى الفيكونت « اميل دى لارونسيير » ، وكان ينتمى الى أسرة عريقة من العسكريين ، حتى أن أباه كان واحدا من كبار الضباط الذين أبلوا أحسن بلاء فى حروب « نابليون » . وكان طبيعيا أن يسير الشاب على نهج والده ، وأن يتطلع الى تسجيل أعمال بطولية فى الميدان ، ولكن لما كانت فرنسا تعيش اذ ذاك فى فترة سلم ، فقد بدأت حياة الثكنات تبعث الملل فى نفس الشاب « اميل » ، وتدفعه الى الانغماس فى اللهو ، والمقامرة ، ومعاشرة النساء !

على أنه ما من حدث يمكن أن يخفى أمره على فضول الناس ، ومن ثم ، فحين أقبل ضابط الفرسان الى مدينة (سومور) — قبل ذلك التاريخ بنحو عامين — كانت سمعته المزرية قد سبقته اليها ، **ولا سيما أنه استباح لنفسه أن يصطحب معه خليلة تدعى « ميلانى » ، وأن يأويها معه تحت سقف واحد ، غير عابىء بما قد تثيره فعلته من أقاويل وامتعاض بين أهالى المدينة الوادعة !**

وكان لا بد لشاب يعيش على الملأ مع عشيقة له ، أن يبعث مسلكه على استنكار رؤسائه ونقمتهم . وحين أفهموه

ذلك ، أبى فى أول الأمر أن يصغى اليهم ، ولكنه ما لبث فى النهاية أن أذعن لفراق حبيبته ، فعادت الى باريس ، مكتفية بالتردد عليه بين الحين والحين ، لقضاء بضعة أيام معه .

تقع فى هواه ، رغم سمعته المشينة !

واذ أنقذ الشاب المظاهر ، عادت الأبواب المغلقة تفتح فى وجهه مرة أخرى ، وعندئذ قرر الجنرال « موريل » أن يدعو مرؤوسه الى حضور مأدبة العشاء التى كان سيقيمها فى داره فى ذلك المساء . . وشاءت المصادفات أن يكون مجلس ابنته الآنسة « دى موريل » — التى كانت تظهر فى المجتمعات ليلتئذ لأول مرة — بجوار الفتى « اميل دى لا رونسيير » . . **وفى الحال ، راحت الفتاة تبدى اهتماما ظاهرا بجارها الشاب الذى أوتى — رغم أنفه الممدود وعنقه القصير — طلعة تفيض بالبهجة والسحر ، وصوتا عذبا رقيقا ، ولفتات أشبه بلفتات النساء !..** على أن أشد ما اجتذب الفتاة اليه انما كان سمعته كشاب عابث اشتهر بمغامراته النسائية ، وغرامياته الفاضحة ، وديونه فى المقامرة .. فاذا هى تعجب به وتميل اليه ، دون سائر الضباط الآخرين الجالسين حول المائدة ، الذين كانوا — على العكس — شديدى الحرص على الظهور بمسلك قويم ، لا غبار عليه !

ومن هنـا ، ما ان بدأ الحاضرون يتجاذبون أطراف الحديث ، حتى مضت الفتاة — « مارى » — تتحدث الى جارها بصوت هامس .. ولم تكن عباراتها فى بادىء الأمر تتعدى بضع كلمات مألوفة ، وخواطر عادية ، وأسئلة لا أهمية لها . وكان « لارونسيير » يجاوبها فى أدب جم ، ولكن فى اقتضاب ظاهر !.. كان — على ما يبدو — لا يظهر اكتراثا بحديث الفتاة ، ولا بالفتـاة ذاتها ، رغم أنها بدت أشد ما تكون فتنة واغراء !.. ومن ثم راحت « مارى »

تعاود الكرة ، مستميتة فى محاولة الاستئثار باهتمام الشاب ، أو ـ فى القليل ـ لفت نظره اليها .. ولكنه ظل على اعراضه عنها ، منصرفا الى التحديق فى والدتها « مدام دى موريل » ، ربة الدار ، التى كانت تجلس ـ فى هيبـــة امرأة الأربعـين ووقارها ـ قبالة زوجها ..

تدبر له المكائد .. لاعراضه عنها !

وما أن انصرف المدعوون ، وانفردت « مارى » بوالديها ، حتى تجهم وجهها ، ولاح عليهـا الاكتئاب . واذ سألاها عن سبب ما ينتابها من حزن ، أجابتهما بقولها :

ـ اننى أريد أن أشكو لكما السيد « دى لارونسبير » .

ولما أبديا دهشتهما لقولها ، استطردت تقول : **« انه لم يحترمنى ! أجل ، فقد قال لى : « ان لك يا آنسة والدة فاتنة ، ولا بد أنك تعسة اذ لا تشبهينها الا فى القليل ! »**

ولعل الجنرال قد ارتاب فى مزاعم ابنته ، اذ ما لبث أن طيب خاطرها مؤكدا لهـا أنه حتى لو كان الشاب قد نفوه بتلك العبارات بالفعل ، فلا شك أنه كان يقولها على سبيل المزاح ، وهو أمر لا يجدر بها أن تعيره أدنى اهتمام !.. وعلى أثر ذلك طلبت اليها والدتها أن تعـود الى غرفتها بالطابق الثانى ، حيث كانت وصيفتها فى انتظارها لتساعدها على أن تخلع ثيابها وتأوى الى فراشها .

ولكن ، لم تكد تنقضى أيام قلائل ، حتى عثرت « مدام دى موريل » ـ فى مكان ظاهر فوق « تسريحتها » ـ على رسالة مجهولة ، أو أريد لها أن تبدو كذلك ، وقعت بحرف « الراء » .. وكانت الرسالة تتضمن اعترافا غراميا موجها الى والدة مارى ، على حين وصمت فيها الفتاة بأقذع التهم وأحطها !.. أما من هو الشخص المجهول الذى تجرأ على مكاشـفة امرأة محترمة بحبه ، والنيل من ابنتها الوديعـة

الطاهرة الذيل ، فلعل أول ما خطر ببال « مدام دى موريل » فى هذا الصدد هو أن تلك الفعلة ما كان ليرتكبها سوى أحد الخدم الذين طردوا من المنزل ، أو واحد من العسكريين الذين أنزل بهم زوجها الجنرال عقابا .. ومن ثم رأت الزوجة من الحكمة أن تحرق الرسالة ، ولا تفاتح زوجها فى أمرها !

الرسائل المجهولة تتوالى !

على أن ذلك التصرف الحكيم ما كان ليجدى والدة « مارى » شيئا ، اذ سرعان ما راح وابل من الرسائل الجديدة — التى ذيلت تارة بحرف « الراء » وتارة أخرى بتوقيع « ا دى ر » — ينهال على منزل الجنرال .. وكانت كلها تفيض بالسباب والشتائم ضد الفتاة ، وتحوى أدق أسرار أسرتها ، وأخص ما يدور بين أفرادها من أمور !.. **وذهب بعضها الى حد اتهام ضابط يدعى « ديستوبى » بالسعى للزواج من « مارى » ، بقصد الفوز بيائنتها !..** وما لبث رب الدار أن عثر على واحدة من تلك الرسائل ، فبادر الى اطلاع زوجته عليها ، ولكنه لم يخرج من مناقشته معها بنتيجة ما ، اذ أخفق كلاهما فى الاهتداء الى شخصية صاحب الرسائل ، ومعرفة الغرض الذى قصد اليه من وراء ارسالها !

.. وفى تلك الأثناء ، التمس « ديستوبى » — الذى جاء ذكره فى الرسائل المجهولة — مقابلة سرية مع رئيسه الجنرال !.. كان قد تلقى بدوره عددا من تلك الرسائل التى صيغت بنفس الأسلوب ، وكتبت بنفس المداد ، وكانت الرسائل تتضمن النيل منه هو الآخر !

واستبد الجزع بالجنرال ، وطرأ على ذهنه فى الحال أن يخرج من ملفاته تقريرا كان « دى لا رونسيير » قد سلمه اليه مؤخرا ، حتى يضاهى خطه بالخط الذى حررت به الرسائل اللعينة . فقد خيل للجنرال ولمرؤوسه الشاكى أن

اليـد التى خطت الرسـائل والتقرير واحدة ، وأن « دى لا رونسيير » كان ولا ريب هو كاتب الرسائل !

وكانت الحكمة تقضى باستدعاء الشاب موضع الاتهام ، وبحث الأمر معه فى صراحة تامة ، بيـد أن الجنرال خشى الفضيحة ، فقرر – من قبيل الانتقام – أن يغلق بابه فى وجه الضابط غير المرغوب فيه ! .. فانتهز فرصة حضور الشاب فى احدى المناسبات ، وابتدره بقوله : **« لأسباب شخصية ، آمرك يا سيدى بالانصراف فورا ، وعدم دخول هذا البيت مرة أخرى ! »**

وامتقع وجه « دى لا رونسيير » ، ولكنه سرعان ما حيا الجنرال التحية العسكرية ، ثم دار على عقبيه وغادر المكان دون أن ينبس بكلمة . ولعله حسب أن رئيسه قد فطن الى ما كان يبديه من اهتمام زائد بزوجته ، فعمد الى التصرف معه على هذا النحو !

المهزلة تدخل طورا خطيرا !

ولم يكد ينقضى يومان على تلك الأحـداث ، حتى بدأت الأمور تتفاقم بشكل خطير : فقد استيقظت وصيفة الآنسة « دى موريل » فى جوف الليل فجأة على صوت أنين واستغاثة منبعثين من مكان قريب ! .. فهرولت الى الغرفة المجـاورة ودخلتها ، فألفت الفتاة ملقاة على الأرض ، وقد لف منديل حول عنقها ، بينما رفعت غلالة نومها الى أعلى فخـذيها ، كاشفة عن آثار دماء فوق جسدها البض !

وارتاعت الوصيفة ، وتملكها الجزع من الحالة التى رأت عليها مخـدومتها ، واذ سـألتها عن سر اصابتها ، تمتمت « مارى » بصوت واهن : **« لقد مررت الآن بلحظات رهيبة ! .. أنظرى ، لقد تحطم زجاج النافذة .. فمنـذ هنيهة ، دفع**

رجل بذراعه من خلال هـذه الثغرة ، واذا به يدير مقبض النافذة ثم لا يلبث أن يقفز داخل الغرفة وينقض على ، وهو ينفث كلمات تفيض بالحقد والكراهية ، ثم راح يحاول أن يزهق أنفاسي بهذا المنديل . واذ أخفق فى محاولته ، أصابنى بمديته فى فخذى ، قائلا فى حنق ((حسبك هذا !)) . وسرعان ما ولى الأدبار من حيث أتى !))

ــ ولكن ألم تتعرفى على هذا الرجل ؟

ــ بلى .. انه السيد دى لا رونسيير !

ولكن على الرغم من تأوهات ((مارى)) ، فان حالتها لم تكن تنذر بأى خطر ، واستطاعت الوصيفة أن تنزع المنديل من حول عنقها فى يسر ظاهر ، على حين لم تخرج آثار الدماء عن كونها مجرد خدوش سطحية !.. ولما اقترحت عليها الوصيفة أن توقظ الجنرال وزوجته كى يستدعيا لها الطبيب ، اعترضت على ذلك اعتراضا شديدا ، وسألتها فقط أن تقضى ما تبقى من الليل بجوارها .

وما ان أشرقت أشعة الصباح ، حتى علم والدا الفتاة بأمر الاعتداء الغريب الذى وقع على ابنتهما أثناء الليل ، فهرعا اليها ليقفا منها على جلية الأمر ، وطلبا اليها أن تروى لهما تفاصيل ما حدث . على أن الخوف من الفضيحة جعلهما لا يفكران فى استدعاء أى طبيب ليقرر ما اذا كان المعتدى قد عبث بضحيته البريئة أم لا ، ومن ثم اتفقا فيما بينهما على تكتم ما وقع لابنتهما ، حتى تكشف لهما الأيام ما خفى عليهما من أمور !

يبارز غريمه .. رغم أنفه !

وفى ذات اليوم الذى تعرضت فيه ((مارى)) للاعتداء ، تلقى الضابط ((ديستوبى)) رسالة جديدة ، أشد قسوة

واستفزازا من سابقاتها ، وكانت ممهورة فى هذه المرة بتوقيع « اميل دى لارونسيير .. » . وكان مرسلها يقول فيها : **« انت لتعس جبان !.. ولو كنت غير ذلك ، لجئت – بعد كل هذه الرسائل التى بعثت بها اليك – لتطلب منازلتى . ولكنك ، بدلا من ذلك ، اثرت أن تشى بى لدى الجنرال ! »**

وبالرغم من الوعد الذى قطعه « ديستوبى » على نفسه أمام الجنرال بعدم الاقدام على أى شىء قد يزيد الأمور تعقيدا ، أو يستثير فضول أهالى المدينة ، فقد تولاه هذه المرة غضب عارم جعله يبادر بتكليف صديقه الملازم « امبير » بالذهاب لدعوة « لا رونسيير » الى منازلته !.. على أن اجراءات المبارزة ، وما تتطلبه من استعدادات ، استغرقت وقتا . وكان « لا رونسيير » فى تلك الأثناء يأوى فى مسكنه عشيقته « ميلانى » التى كانت قد أقبلت لقضاء بضعة أيام فى (سومور) . ولم تكن تساوره أية ريبة فى الأمر ، كما لم يتوقع زيارة أى شاهد يدعوه الى تحديد مكان المبارزة وزمانها !.. حقيقة ان بعض زملائه فى الجيش كاشفوه بما يحوم حوله من اتهامات وأقاويل ، بيد أنه لم يصدق كلمة واحدة مما ألقوه على مسامعه ، **بل أكد لهم أنه** يربأ **بنفسه عن اقتراف مثل تلك الأفعال المزرية ، وانه كان قانعا سعيدا بحياته مع خليلته ، وما كان ليفكر لحظة واحدة فى « مدام دى موريل » ، أو ابنتها ، أو فى الضابط « ديستوبى » !**

.. وما لبث « امبير » أن التقى بـ « لا رونسيير » ، واستطاع بعد لأى أن يحدد معه شروط المبارزة التى اتفقا على أن تكون بالسيف ، فى مكان بعيد ، على أن يرتدى الغريمان الملابس المدنية ، حتى لا يثيرا انتباه الفضوليين !

وما أن بزغت خيوط الفجر ، حتى وقف الرجلان وجها لوجه فى المكان المقرر .. ولكن « لا رونسيير » رأى – قبل أن يلتحم مع غريمه « ديستوبى » – أن ينفى مرة أخرى ماوجه

اليه من تهم ، فراح يؤكد له أنه لم يكن صاحب الرسائل المجهولة ، وانه لم يبعث قط بأية رسالة ، لا الى أسرة « موريل » ولا الى أى شخص آخر !.. على أن غريمه ـ الذى كان متعطشا الى النزال ـ لم يحر جوابا ، وأصر على أن يمضى فى الشوط حتى نهايته !.. وسرعان ما بدأت المبارزة ، ولما كان « لا رونسيير » بارعا فى استخدام السيف ـ سيما وأن حياته الغرامية الحافلة جعلته يألف مجابهة مثل هذه المواقف ـ فقد استطاع ان يصيب خصمه بجرح عميق فى فخذه ، وضع حدا للمبارزة !

واذ انصرف أحد الأطباء الى العناية بالجريح ، دنا « لا رونسيير » من غريمه ، باسطا اليه يده ، ناشدا الصلح والوئام . لكن « ديستوپى » تجاهل اليد الممدودة اليه ، وهتف بغريمه : **« لن أقبل أى تصالح معك ما لم تعترف بجرمك .. فاذا ما اعترفت ـ فى خطاب موقع عليه منك ـ بأنك صاحب الرسائل اللعينة ، فاننى أعدك بشرفى أن أطوى هذا الاعتراف فى صدرى ، وأن أهيل عليه تراب النسيان .** أما اذا رفضت ، فاننى سأحيط الجنرال علما بالأمر ، وهو سيبادر بعرضه على القضاء ، واذ ذاك ستطرد من الجيش ، وسط عاصفة من الخزى والفضيحة ! »

يعترف كذبا .. صونا لشرف أسرته !

وقضى « لا رونسيير » سحابة يومه تمزقه الحيرة ازاء ما يجب عليه أن يصنعه كى ينجو من المحنة القاسية التى حلت به .. واذا بفكرة لم يستطع لها دفعا تسيطر على كيانه وتطارد ذهنه فى اصرار ، فقد راح يتساءل عما عسى أن يقوله والده ـ ذلك البطل ذو الماضى العسكرى المجيد فى عهد الامبراطورية ـ حين يعلم بأمر الاتهامات التى لطخت شرف ولده ! .. **واذ ذاك استقر رأيه ، درءا للفضيحة ، وحرصا**

على شرف أسرته وسمعتها ، أن يكتب الاعتراف المطلوب ! ..
وما أن بعث بالرسالة الى « ديستويى » ، حتى قرر أن يبتعد عن المدينة بعض الوقت ، فالتمس من رؤسائه منحه أجازة ، واذ بادروا باجابتــه الى طلبــه ، أسرع بمغادرة (سومور) قاصدا الى (باريس) !

على أن رحيل « دى لا رونسيير » ما كان ليضع حدا للمأساة .. اذ لم تلبث الرسائل المجهولة أن راحت تنهال مرة أخرى على منزل الجنرال ، متضمنة تفاصيل دقيقـة عن حياة أسرة « موريل » الخاصة ، معلنة أن « مارى » قد سلب شرفها ، وأنها باتت ملطخة بالعار !

ولم يحاول الجنرال أن يحقق الأمر هذه المرة ، فقـد تغلب الغضب فى نفسه على الخوف من الفضيحة ، فاذا به يقدم بلاغا ضد « لا رونسيير » ، متهما اياه بالشروع فى قتل ابنته !.. وسرعان ما ألقى القبض على الشاب ــ الذى كان يقيم لدى أحد أعمامه فى (باريس) ــ ثم أودع السجن ، دون أن يسمح له بأى اتصال بالخارج !

المتهم البرىء !

وواقع الأمر ، أن « لا رونسيير » لم تكن له يد مطلقا فى الأفعال التى اتهم باقترافها .. أما المذنب الحقيقى فقد كان « مارى دى موريل » ذاتها ، أو ــ كما قال فيما بعد أحد الأطباء الذين درسوا حالتها ــ « تلك الفتاة الهستيرية التى تسببت فى ادانة أحد الأبرياء ! »

ذلك أن « مارى » ــ وهى فتــاة رومانتيكية النزعة ، مشبوبة العواطف ــ كانت قد تدلهت فى حب الضابط الشاب منذ لقائهما الأول ، فحاولت على الفور أن تدفعه الى حبها أو ــ فى القليل ــ الى اشتهائها . ولكنها سرعان ما اصطدمت بفتوره نحوها وعدم اكتراثه بها ، فى الوقت الذى لحظت فيه

شدة اهتمامه بأمها ، بالاضافة الى أن الفتاة كانت تعلم أيضا أنه يعيش مع عشيقة له فى (سومور) نفسها . واذ ذاك استحال حبها الى نوع من الحفيظة ، ثم الى حقد دفين لاهوادة فيه !.. **فأقسمت أن تنتقم لنفسها ، نظرا لما تعرضت له من ازدراء مهين من جانب الحبيب الغافل ..** فلما عثرت على التقرير المبعوث منه الى والدها الجنرال ، شرعت فى استخدامه لتقليد خط صاحبه ، وطفقت توالى ارسال الخطابات الزاخرة بالاهانات الى والديها تارة ، والى « ديستوبى » الذى راح يلاحقها بغرامه تارة أخرى ، واليها هى نفسها تارة ثالثة !.. وكانت هى التى تتولى ايداع الرسائل الموجهة الى أسرتها فى أماكن مختلفة بالمنزل !.. أما فيما يتعلق بالاعتداء المزعوم الذى وقع عليها ليلا ، فقد اختلقته من أساسه ـ كما أنها رتبت مشاهده « وأخرجتها » بنفسها على نحو لم يثر شكوك أحد ! ـ فكان أن اتهم « لا رونسيير » بالشروع فى قتل الفتاة « البريئة » ، وألقى فى غياهب السجون ، تمهيدا لمحاكمته !

« كان أهون على أن تقطع يدى ! »

وحين نظرت القضية أمام محكمة جنايات (السين) ، كانت ثمة موجة سخط عاتية ضد المتهم ، وشعور عام بالعطف والاشفاق على « المجنى عليها » التعسة !.. ولم يكن أهالى (سومور) هم وحدهم الملمون بوقائع القضية ، وانما كان يلم بها أيضا حى (سان جرمان) الباريسى الأنيق الذى كانت « مدام دى موريل » تغشى مجتمعاته .. **ومن ثم فقد كانت القضية « باريسية » بالمعنى الصحيح ، شهدها جمهور من علية القوم راح يتابع تطوراتها ، ويترقب نتائجها ، فى لهفة واهتمام ظاهرين !** .. وكان يرأس المحكمة مستشار يدعى « مسيو فيرى » ، اشتهر بنزاهته الفائقة فيما يصدره من

أحكام ، بيد أنه فى تلك القضية بالذات أبدى عجزه عن مقاومة التيار الجارف المناهض لـ « لا رونسيير » ، حتى لقد صرح غداة اصداره الحكم فى القضية بقوله : « كان أهون على أن تقطع يدى من أن أوقع هذا الحكم ! »

وقد بدأت المحاكمة باحضار « لا رونسيير » الى قاعة المحكمة ، وبعد تلاوة قرار الاتهام ، شرعت المحكمة فى استجوابه .. واذ شعر المتهم بأنه بات فى حل من كشف أمر الاقرار الذى وقعه على نفسه تحت ضغط الضابط « ديستويى » ، **فاجأ المحكمة بانكار ما جاء فى اعترافه ، وراح يسوق تفاصيل دقيقة دامغة عن الكيفية التى أمضى بها وقته فى ليلة الحادث** ، نافيا عن نفسه نفيا قاطعا كل ما وجه اليه من تهم . ولما سئل عما اذا كان هو صاحب الرسائل المجهولة ، أبدى ملاحظة لم تخل من منطق سليم ، اذ أجاب قائلا :

ـ لو أننى أردت حقا كتابة مثل هذه الرسائل ، لما كنت من الغباء والغفلة بحيث أوقعها بالأحرف الأولى من اسمى !

واستدعى الشهود للادلاء بأقوالهم ، فتقدم مهندس استعانت به المحكمة ، مؤكدا انه حتى لاعب السيرك ما كان ليستطيع لو تسلق واجهة المنزل أن يبلغ غرفة الفتاة التى تقع فى الطابق الثانى !.. ولما نودى على عامل الزجاج الذى قام باصلاح اللوح الزجاجى المهشم ، قرر أن اللوح قد هشم من داخل الحجرة وليس من خارجها ، وأن الفجوة كانت ضيقة للغاية بحيث لا تسمح مطلقا بمرور يد رجل تسعى لتحريك مقبض النافذة !.. ثم جاءت شهادة خبراء الخط ، وكانوا أربعة ، **فأجمعوا على أن الرسائل المجهولة لم تكتب بخط الضابط الشاب ، وانما بخط « الآنسة دى موريل » ذاتها ، وأن الفتاة قد استخدمت فيها ورق خطاباتها الخاص !**

وكانت أقوال الشهود وحدها قمينة بأن تؤدى الى انهيار

الاتهام ، ولكن كيف السبيل الى اقناع رأى عام ـ متحيز فى حكمه ـ بأن مثل تلك المكائد يمكن أن تصدر عن « ملاك طاهر » ، وان هذا الملاك لم يكن ليتورع عن استخدام أقذع العبارات ، وأشدها بذاءة !! ومن ثم لم يؤمن الحاضرون فى المحكمة بما ورد فى أقوال الشهود ، بل انهم لم يكادوا يلتفتون الى شاهد جاء ليقرر أن المتهم ذهب ليلة الحادث لمشاهدة احدى المسرحيات ، وان الوقت ما كان ليتسع أمامه لتغيير ثيابه للشروع فى تسلق منزل دى موريل !

« الضحية » .. تتكلم !

◉ **وبعد** أن أدلى الشهود بأقوالهم ، قررت المحكمة رفع الجلسة ، على أن تعقد مرة أخرى فى منتصف الليل ، لسماع أقوال .. المجنى عليها !

وفى الموعد المقرر ، وعلى الضـــوء المرتعش المنبعث من المصابيح ، ووسط فضـــول الحاضرين المتطلعين ، **تقدمت « مارى دى موريل » للادلاء بأقوالها .. وكانت ثمة وصيفة تمسك بذراعها حتى لا تسقط على الأرض ، أما هى فكانت تسير ـ مع ذلك ـ بخطوات وئيدة ثابتـــة ، وراحت تجول بأنظارها بين الحاضرين ، وقد أفعمت نفسها بشعور بالارتياح والرضا ، لاحساسها بأنها موضع اشفاق الجميع واعجابهم !..**

وسرعان ما أحضروا لها مقعدا ، فجلست عليه ـ فى رشاقة فتاة « الصالونات » وجلالها ! ـ وما أن سألها رئيس المحكمة أن تصف ما وقع لها فى حجرتها ليلة الحادث ، حتى انطلقت تكرر ـ بالحرف الواحد ـ ما سبق أن روته لوصيفتها ، ثم لوالديها ، فلم تتلعثم فى أقوالها ، بل لعلها استشعرت نوعا من « الغرور » اذ ألفت نفسها تقوم بذلك الدور « البطولى » !

ولم يحاول رئيس المحكمة ـ بدافع الحياء ! ـ أن يناقشها فى التفاصيل الدقيقة التى تضمنتها وقائع القضية ، فما لبث

أن أمر « لارونسيير » بالنهوض من مقعده ، ثم سأل الفتاة :

ــ هل المتهم هو الرجل الذى اقتحم غرفتك من النافذة ؟

ــ أجل ، انه هو !

وشحب وجه « لارونسيير » وهتف محتجا ، وقد ارتعدت فرائصه : **«أقسم أمام الله والناس أن كل ذلك زيف وبهتان!»**

وفى اليوم التالى ترافع ممثل الاتهام ، فطفق يكيل للمتهم أعنف التهم ، متجاهلا ما ساقه الشهود من أدلة تبرىء ساحته ! .. ثم أعطيت الكلمة لمحامى الدفاع ، فراح يفند أدلة الاتهام ويدحضها ، الواحد تلو الآخر ، ثم ختم مرافعته مطالبا ببراءة موكله . ولكن جهوده ذهبت كلها سدى ، اذ كان المحلفون قد كونوا حكمهم بالفعل قبل المحاكمة ، مقتنعين بأن ابنة « الجنرال دى موريل » لا يمكن أن تكون فتاة عليلة النفس ، مصابة بالهستيريا ! !

الحكم !

وخلا المحلفون الى أنفسهم لاصدار حكمهم فى القضية .. وبعد مداولة دامت ست ساعات ، عادوا الى قاعة المحكمة حاملين قرارهم ، وتلا رئيس المحكمة الحكم ، فاذا به يتضمن ادانة المتهم بالسجن عشر سنوات ، « لشروعه فى أغتصاب فتاة ، واصابتها بجروح ، مع التعمد وسبق الاصرار .. »

وقد قدر للارونسيير أن يقضى فى السجن مدة عقوبته بأكملها . فلما انقضت على خروجه منه أربعة أعوام ، وكانت نظرة الرأى العام المتحيزة ضده قد خفت حدتها ، رأى المتهم « البرىء » أن يتقدم بطلب لمحكمة النقض لاعادة النظر فى قضيته . **وما لبثت المحكمة أن انعقدت ونظرت القضية ، ثم أصدرت حكمها بنقض الحكم السابق ، ورد الاعتبار الى لارونسيير !**

(البقية صفحة ١٧٨)

المرأة.. هنا وهناك!



هذه الصفحات .. من عمل تاريخى ضخم !

عزيزى القارىء ..

● فى هذا العدد الاول من سلسلة أعداد « كتابى » الخاصة عن المرأة ، لا يفوتنا أن نورد هذه الصفحات ـ المحلاة بالرسوم النادرة لأشهر الفنانين الألمان ـ من السفر التاريخى الضخم الذى أصدره ، فى أغسطس عام ١٨٧٩ ، العالم الالمانى الاشهر المتخصص فى الآثار المصرية والتاريخ المصرى « جورج موريتز ايبرز » Georg Moritz Ebers ، وهو فى هذا الفصل يتحدث عن المرأة فى مصر فى عصور المماليك ، ويصف أحوالها ، وعاداتها ، وبيئتها الاجتماعية ـ فى مختلف الطبقات ـ ويوضح ذلك كله ويزينه برسوم تاريخية نادرة رائعة (حرصنا على أن ننقل لك بعضها ، فى الصفحة السابقة والصفحات التالية) ، وقد رسمها عشرات من الفنانين الالمان الذين استعان بهم « ايبرز » فى زياراته المتعددة لمصر فى غضون القرن الماضى ـ تمهيدا لاصدار هذا السفر الضخم ـ فرسموها على الطبيعة رسما دقيقا يحاكي عدسة التصوير الفوتوغرافى ، وان بزها فى القيمة الفنية بطبيعة الحال ..

وقد ولد « ايبرز » فى برلين فى أول مارس عام ١٨٣٧ ، ودرس القانون ، ثم أصيب فى عام ١٨٥٨ بمرض خلف بساقه عرجا ، فصرف النظر عن أن يصبح محاميا ، وأقبل على دراسة اللغات القديمة والآثار ، ثم انصرف انصرافا تاما الى تاريخ مصر القديم ، وجاء اليها حيث جال خلال مصر والنوبة وبلاد العرب ، وانتهى الى أن صار أستاذا للتاريخ المصرى بجامعة (ليبزج) ، حيث ظل حتى عام ١٨٨٩ .

وكان قد زار مصر مرة أخرى فى عام ١٨٧٢ ، حيث قام ببعض أعمال الكشف الاثرى الجليلة ، وأهمها اكتشاف البردية الطبية المشهورة التى ترجع الى القرن ١٦ قبل الميلاد ، والتى نسبت اليه فصارت تعرف باسم « بردية ايبرز » ، وقد نشر نصها عام ١٨٧٥ . ومن أشهر مؤلفاته الاخرى عن مصر رواية « أميرة مصر » التى نشرها فى ٣ أجزاء عام ١٨٦٤ (وقد لخصناها لك فى العدد ٣١ من كتابى) .. و « مصر وكتب موسى » (١٨٦٨) ، و « زوجة شيخ البلد » (١٨٨٢) . وقد توفى ايبرز فى ٧ أغسطس عام ١٨٩٨ عن ٦١ عاما .

صورة الصفحة السابقة : « عائشة » ، حسناء القاهرة القديمة بريشة الفنانين الالمانيين « جوستاف ريختر » و « أدولف جنوت »



غجرية من « غوازى » القاهرة فى ذلك العصر
بريشة الفنان الالمانى « جوستاف ريختر »

المرأة والحريم .. فى عصر المماليك !

« الحريم » فى البيت المملوكى

● **كيف** كانت تحيا المرأة فى مصر فى عصر المماليك ؟ .. يحدثنا الرحالة والمؤرخون الأوربيون الذين زاروا مصر فى القرنين الماضيين عن تلك الحياة العجيبة التى كانت تعيشها المرأة فى تلك « الأيام » ، وهى الحياة التى قد لا نجد وصفا « فنيا » لها الا فى أقاصيص « ألف ليلة وليلة » !

ومنذ اللحظة الأولى فرق هؤلاء الرحالة بين نساء الطبقة الدنيا ، ونساء الطبقتين المتوسطة والعالية : فالمرأة الفلاحة فى الريف ، والمرأة العاملة فى المدينة ، لم تكن تختلف عن نظيراتها فى مصر الحديثة والمعاصرة : **امرأة غير محجبة ، تظهر فى الأسواق عارية الرأس ، مكشوفة الوجه والذراعين ، تنادى على بضاعتها وخاصة الفواكه . وكان سوق (الموسكى) فى القاهرة يمتلىء بأولئك البائعات ، الفاتنات أحيانا** (كما ترى فى الصورة المقابلة) .

أما المرأة ذات المكانة الاجتماعية ، سواء كانت من نساء أفراد الطبقة الوسطى ـ كالتجار ، والمشايخ ، وأرباب الحرف الراقية ـ أو الطبقة العليا من الأمراء ، وكبار الموظفين ، وكبار التجار .. والأغوات والقواد .. فهذه المرأة كانت تحيا حياة تختلف تماما عن حياة المرأة المعاصرة !

.. ففى البيت كان لها جناح خاص ، وهو ما يطلق عليه اسم « الحريم » أو « الحرملك » .. وفيما عدا هذا الجناح ،



بائعة البرتقــال .. فى قاهرة عصر المماليك !
بريشة الفنان الألمانى « ليوبولد كارل موللر »

لم تكن النساء تظهر فى أى مكان آخر من البيت. **وعندما يدخل رجل غريب البيت ، كان لابد أن يصيح الخادم منبها ومحذرا النساء أن يبتعدن !.. والغرف الخاصة بالحريم لم يكن يدخلها أحد من الرجال - حتى أقربهم صلة برب الأسرة ! - اذ كانت تعد مكانا « شبه مقدس » !..** وعندما كان يقال ان رب الأسرة « فى الحريم » ، فان هذا يعنى أنه قد أسلم نفسه لخاصة أسرته ، لزوجته المفضلة ، ولأطفاله ..

والرجل الشرقى عندما ينسحب الى « الحريم » فانما كان يفعل ذلك هروبا من عناء الحياة ومشاغلها(١) ، بحيث لم يكن يحب أن يزعجه أحد !.. والحريم فى نظر الرحالة الأوربيين أشبه بالسجن ، ولكنه سجن تدخله المرأة الشرقية طائعة مختارة ، راغبة ، واهبة نفسها لزوجها وأطفالها وبيتها .. وهى فى أوقات الفراغ تتسلى بتدخين النرجيلة ، وسماع النوادر وأحاديث الحياة التافهة ..

وكان جناح « الحريم » يقع فى الغالب فى الطابق الأعلى من البيت ، والغرفة الرئيسية فيه تسمى القاعة ، وتؤثث بالفراش الفاخر ، وهى تشبه « المندرة » التى تقع فى الدور الأول ويستقبل فيها الرجل ضيوفه .. ومن خلال فتحات « المشربية » تراقب النساء ما يجرى فى الطرقات ، بحيث لا يراهن أحد !

ولم تكن المرأة تهتم بمشاغل زوجها أو تتدخل فى أعماله أو نشاطه ، وانما تكرس وقتها له ولأطفاله ، وتجعل من نفسها الدمية الجميلة الناعمة التى تمنحه متع الحياة ، كما تمنحه الأطفال ، زينة الدنيا ..

---

(١) كما يفعل الرجل اليابانى حتى الآن حين يخلو الى نساء الجيشا » (وسنفرد لهن فصلا فى عدد قادم) .



في مخدعها بجناح «الحريم» ، كانت القاهرية تنصت الى أحاديث « دادة »
بريشة الفنان « دي جيرونديه »

الزواج عن طريق ((الخاطبة)) !

● **وكانت** العادة المقررة فى الشرق أن الغـلام متى نبتت لحيته ، وأصبح قادرا على أن يكسب معاشـه ، لابد له أن يتزوج . ولما كانت الحياة بسيطة ، وتكاليفها يومئذ زهيدة ، فأقل دخل كان يؤهل الشاب للزواج .. **لذلك كان من النادر ــ كما يقول أحد الرحالة الأوربيين ــ أن تجد شابا فى العشرين من عمره ليس زوجا بل وأبا .. والشاب الذى يبقى من غير زواج ينعت بأسوأ النعوت ، ولا ينظر اليه باحترام ..** ولكن كيف كان الشاب يختار زوجته ؟.. انه لم يكن ((يختارها)) بالمعـنى الصحيح ، لأن الانفصـال كان تاما بين الجنسين ، وخاصة فى الطبقتين الوسطى والراقية . اذن كان لابد له أن يلجأ الى ((الخاطبة)) .. وكانت الخاطبة تقوم بدور هام فى العصر المملوكى ، وظلت كذلك حتى مطلع القـرن الحـالى ، وخاصة فى البيئات المحافظة . (أنظر الرسم المرافق)

وكانت الخاطبة تقـوم بزيارة الأسرة التى يوجد من بين بنـاتها من هن فى سن الزواج ، **متظاهرة بأنهـا جاءت لتتبع الأقمشة الحريرية أو الحلى ، ولكن الأم لم يكن عسيرا عليها أن تكتشف مهمتها الحقيقية ، فكانت تقـوم بتهيئة ابنتهـا لتجتاز ((الاختبار)) !..** وبعد الزيارة أو ((المعاينة)) تعـود الخاطبة الى بيت الشـاب بأوصاف الفتـاة ، فتقوم والدته وأخته الكبرى بزيارة أسرة الفتـاة للتأكد من صحة أوصاف الخاطبة ! .. واذا تم القبول من جانب الشاب وأسرته ، يتم الاتصال الرسمى بين الأسرتين ، وتبدأ مرحلة ((المفاوضات)) حول مهر العروس ، أو الصداق . وبعد الاتفـاق على المهر والصداق يتفق على موعد كتب الكتاب .. ويتم كتب الكتاب فى بيت العروس وبحضور العريس وبعض أقاربه وأصدقائه ،

ولا تحضره النساء بحال من الأحوال !.. ثم لا يبقى الا ذهاب العروس الى بيت عريسها وهى ليلة الدخلة ..

موكب الزفة الى الحمام العام !

● **وتسبق** زفة العروس الى بيت زوجها فى ليلة الدخلة ، زفة أخرى تذهب فيها العروس الى « الحمام العام » فى الليلة السابقة لليلة الدخلة ، وهى « ليلة الحناء » .. **وتنتقل العروس الى الحمام سيرا على الأقدام فى موكب حافل يخترق الطرقات الضيقة المزدحمة ، ويتقدم الموكب عدد من الموسيقيين يعزفون على الطنبور والناى والأرغول ، وتسير أمام العروس النساء المتزوجات وهن يرفلن فى حللهن الحريرية ، ثم تتبعهن العذارى وعلى وجوههن الأحجبة البيضاء ، يحطن بالعروس نفسها وهى ملفوفة فى شال كشميرى أحمر لا يكشف منها شيئا !.. وتسير الى جانبيها اثنتان من ذوى قرباها ، وتعلوها مظلة مربعة مطرزة يحملها اثنان من العبيد !.. وفى مؤخرة الموكب يسير عدد آخر من الموسيقيين . وبدخل الموكب الحمام الذى يستأجره والد العروس لهذه المناسبة ، وفى ذلك اليوم يربط منديل على باب الحمام ، اشارة الى أنه مشغول بعروس ولا تدخله غير النساء !**

وفى داخل الحمام تسلم النساء أنفسهن للبلانات والمدلكات ، والماء الساخن ، وبعد أن يفرغن من الحمام يشربن القهوة الساخنة ويدخن النرجيلة ذات الرائحة الزكية ، ويستمعن الى المغنيات اللواتى يرددن أغانى الحب والشوق والوصال .

ليلة الحناء !

● **وتقضى** العروس مع النساء ساعات لهو ومرح داخل الحمام ، ثم تعود فى نفس الموكب الى البيت ، حيث تقام مأدبة

يحييها الموسيقيون والمطربات ، **وفى نهاية المأدبة تمسك العروس بقطعة كبيرة من عجين الحناء ، وتضع فيها الضيوف من النساء قطع النقود الذهبية ، ثم تخضب العروس يديها وقدميها بالحناء ، وتفعل الصديقات نفس الشىء .**

وفى اليوم التالى تشغل العروس نفسها فى أول النهار بالتزين ، وتتولى « البلانة » هذه المهمة ، وعند منتصف النهار تظهر العربات والجمال قادمة من بيت العريس لحمل العروس الى بيت عريسها . **وتركب العروس ومعها قريباتها عربة تسدل عليها الستائر الحمراء ، ويحشر الأقارب نساء وأطفالا فى باقى العربات ، أو على ظهور الجمال .** ويأخذ الموكب طريقه الى بيت العريس ، وفى المقدمة تعزف الموسيقى ويقدم الراقصون والراقصات ألوانا من فنهم ، ويشهد المارة رقصة « السقاء » ، ثم المصارعة ، ثم لعب « النقرزان » .

العشاء ، والذكر ، والطرب .. فى بيت العريس !

● **ويصل** الموكب الى بيت العريس الذى تزينه المصابيح والفوانيس المدلاة ، وتنصب أمامه « الدكك » الخشبية العالية ليجلس عليها الضيوف . وتوزع على الضيوف القهوة والنرجيلة والسجاير ، ويظهر العريس وقد خرج لتوه من الحمام ، بعد أن تطيب وارتدى أفخر الملابس ، ويحيى ضيوفه واحدا واحدا . **وعند غروب الشمس يقدم الطعام الى الضيوف الذين يجلسون حول « الصوانى » التى تحفل بأطايب الطعام .. ويستمر تناول الطعام حوالى ساعتين ، يشرب بعدهما الضيوف القهوة ، ويدخنون السجاير ، وتقام بعد ذلك حلقة ذكر ، وتختلط أدعية الذكر بأنغام القانون وألحان المغنيات فى جناح الحريم ..** وقبل أن يؤذن للعشاء تشعل المشاعل ، وينهض العريس ليذهب لأداء الصلاة فى المسجد ، ويسير وسط حلقة من أصدقائه وبأيديهم المشاعل

وهم ينشدون بعض الأناشيد الخاصة بهذه المناسبة . ثم يعود الموكب بعد الصلاة ، فيذهب العريس الى حيث تكون العروس فى انتظاره ، ومعها فى أول الأمر « البلانة » ، وأمها وأختها . ثم تنسحب الأم والأخت ولا تبقى غير البلانة . وتلقى البلانة « شالا » فوق وجه العروس ، وتعطى اشارة خاصة ، فيفتح الباب ويدخل العريس .. **وعندئذ تنسحب البلانة ، وينفرد العروسان ، فيكشف العريس النقاب عن وجه عروسه ، ليراها لأول مرة فى حياته !.. يرفع العريس النقاب وهو يتمتم : « بسم الله الرحمن الرحيم » .. ويقول مخاطبا عروسه : « ليلة مباركة » .. فترد عليه فى خفر وحياء : « ومباركة لك » !..** فاذا وجدها كما يحب أن يراها ، يعلن فرحته بنداء خاص ، فتعلو الزغاريد فى الخارج ، معلنة فرحة الأسرة الكبرى بالدخلة المباركة السعيدة !

....

رسائل النساء !

للأديب الفرنسى الكبير « مارسيل بريفو »

.. وننتقل من هذه الصورة للمرأة فى مصر فى عصر المماليك .. الى الصورة التالية للمرأة الفرنسية فى القرن الماضى ، كما يصورها قلم الأديب الفنان ، الروائى الفرنسى الكبير « مارسيل بريفو » ، فى هذه القصة القصيرة التى صاغها على شكل رسالة من رسائل النساء .

دعني .. !

(من السيدة « ديفرانس » الى السيد « جاك لولوب »)

○ رباه ! .. لكم ترددت فى الكتابة اليك يا سيد جاك ، لقد شرعت فى كتابة رسائل كثيرة قبل هذه الرسالة ، ولكنى سرعان ما كنت أمزقها الواحدة بعد الأخرى ! .. وانى أنبهك

من البداية بأنك سوف تكتشف فى رسالتى الكثير من الأخطاء الاملائية واللغوية ، التى مبعثها فرط اضطرابى ! .. فالواقع اننى لا أعرف ماذا أكتب لك ، لاننى لا أعرف ماذا أريد أن أقوله لك ، فلقد اختلط على الأمر . وذهبت بى أفكارى مذاهب شتى !

انك كثيرا ما كنت تدللنى ، تدليل المغازلة ، وأنت ترمقنى بعينيك النجلاوين ـ وما أجملهما ! ـ وبقدر ما كنت أستشعر السعادة الغامرة ، وأنا بقربك ، بقدر ما كنت أحس أننى أود النجـــاة بنفسى ، والانزواء فى ركن مظـــلم بحيث لا ترانى ! (واننى لأتوسل اليك الا تسخر بى وانت تقرأ هذه الكلمات !)

لقد فكرت فى الأمر طويلا يا سيد جاك ، وأدركت أنه كان مصدر شقاء وتعاسة لزوجى المسكين لويس ، ولى أيضا ، أن تتقابلا فى مدينة (كاليـــه) ، وتقضيا معـــا ـ بحكم ظروف العمل ـ ثلاثة عشر يوما .. وأغلب الظن انك لم تجد فى كاليه غير زوجى تحادثه ، فهو لطيف المعشر ، وهو ـ فوق ذلك ـ يقدرك تقديرا كبيرا .. ولذلك لم يكن مستغربا أن تنمو بينكما الصداقة ، أليس كذلك ؟ .. ثم انتهت أيام غربتكما وعاد كل منكما الى بيته واستأنف حياته المألوفة ، وكان لابد أن يكتشف كل منكما ان الآخر ينتمى الى طبقة أخرى غير طبقته هو .. وأنه ليس من مستوى صاحبه ، لا اجتماعيا ، ولا ماديا ! .. أوه ، يبـــدو اننى لست سوى حمقـــاء صغيرة ، ومع هذا فاننى استطعت أن ألحظ دهشتك لمركزنا الوضيع ، عندما حضرت لتناول العشاء فى منزلنا لأول مرة .. رغم أننا بذلنـــا غاية الجهد للاستعداد لذلك اليوم ، وكنا لا نتحـــدث فى شىء غير هذه الزيارة المرتقبة ، طوال ثمانية أيام كاملة .. ولكن لم يكن فى وسعنا بالطبع أن نبدل المنزل أو نغير الأثاث ، أو الخادمة .. سيما وأن مرتب زوجى من وظيفته الحكوميـــة لا يزيد على أربعة آلاف فرنك كما تعلم !

ولكم تألمت فى ذلك المساء ، وأؤكد لك أنه خيل الى أنك سوف تهزأ منى ومن زوجى لويس بعد خروجك ، وسوف تسخر من المنزل ومن أثاثه ، وكان لويس يخمن هذا أيضا ، غير أن أحدنا لم يجرؤ على أن يصارح الآخر بما كان يدور فى نفسه ، من فرط ما كان الحزن يملأ قلبينا وأفكارنا .. وخيل الى أن لويس كان يريد أن يقول : « لا ريب أنه تضايق منا لأنه وجدنا فقراء ، وهو الذى ينعم كل يوم بصحبة السفراء والكبراء ، ولذلك فأغلب الظن انه لن يعود ثانية ، ولن يلومه أحد اذا فعل ! »

ولكن .. ها أنت قد عدت ، بل وعدت كثيرا .. وسعدنا نحن الاثنان لذلك – ولاسيما زوجى لويس – وكنت تخصنى بمعاملة خاصة . وسرعان ما تبين لى أن سعادتى تزداد بزيارتك ، وان خفى على فى البداية فهم ما يدعوك – وانت الذى تختلط كل يوم بعلية القوم ، وتشاهد الكثيرات من النساء الجميلات المثقفات المتألقات – الى أن تقضى الساعات الطويلة برفقتى .. أنا المرأة الجاهلة ، العاطلة من الأناقة !؟

.. الى أن حدث ذات يوم أن أمسكت بيدى ، وضغطت عليهما ، وهمست فى أذنى بأنك ترانى جميلة ، وأننى أشغل تفكيرك ، وأنك .. تحبنى !!

لقد خيل لى يومها أننى أحلم ! ..وكان حلما جميلا ، ما كنت أود أن أستيقظ منه .. رحت تحدثنى فى رقة ، وعذوبة ، وتقول لى انك تحترمنى ، وأنك تعلم أننى امرأة وفية ، وأنه ليس فى العالم ما يحملك على أن تدفع بى الى السقوط ، أو أن تلوث شرفى ، .. وأضفت الى ذلك قولك انك تحب زوجى لويس حبا يمنعك من أن تفكر فى أن تسلبه زوجته أو تمس شرفه ، ولذلك فانك لا تطلب منى الا أن أسمح لك بأن .. تحبنى !

فكيف كنت أستطيع أن أصدك ، أو أرفض حب هذا العفيف ؟.. لقد اعتقدت وقتئذ أنه من الممكن أن نسير فى طريق حبنا بحكمة ، ما دام كل منا يحب لويس ويخلص له .. وأمكنك بهذه الوسيلة أن تحصل منى – فى سكون ، وبلا أدنى مقاومة – على أشياء كنت أنكرها عليك وعلى نفسى فى اليوم التالى لوقوعها ..!

أوه !. لابد أن أعترف أنك بارع فى معاملة النساء !.. كنت وأنا بين يديك أشعر أننى مخلوق جرد من ارادته .. ولكن ، ماتكاد تخرج حتى كان يثوب الى رشدى ، وأكاد أجن من تقريع الضمير .. ترى هل من حقى أن أقول اننى مازلت زوجة أمينة وفية ؟

.. يخيل لى ان لا ، ما دمت أعد نفسي مسئولة عن كل ماحدث .. ولكنى على الأقل لم أرتكب الجريمة الأخيرة الكبرى ، تلك الجريمة التى لا أجرؤ بعدها على النظر الى زوجى !

وها أنا أتقدم اليك ضارعة مستغفرة : بربك دعنى ، ولا تأتى على البقية الباقية من شرفى !

وبعد ، ها أنت ترى يا سيد جاك ، انك ينبغى ألا تزورنى مرة أخرى ! اننى أحبك حبا ملك على نفسى ، وجعلنى لا أقوى على مقاومتك .. بل اننى أشعر اننى ملك لك .. ولذلك يخيل الى أنه فى أول مرة ستحاول معى .. ستكون النتيجة وبالا على !

ولن يكون فى هذا خير ، فان لويس المسكين يحبنى حبا عظيما ، وهو يحبك أنت أيضا ، وهو طيب القلب ، يتفانى فى عمله من أجلى !.. ثم ، ماذا أنا بالنسبة لك ؟ لست – فى الحقيقة – سوى لعبة صغيرة ، أو تحفة حقيرة لا يهمك أمرها كثيرا ، **وان كنت عند زوجى ، كل شىء .. وليس له فى الوجود سواى ! .. واذن ، فلو قدر له أن يعرف شيئا عن علاقتنا ،**

فسأموت أنا حزنا لأننى خنته .. أما اذا عرف الحقيقة كاملة، فسوف يموت هو ، ونكون نحن الاثنان قد اشتركنا فى قتله !

أصغ الى يا سيد جاك ، انك تشعر نحوى بشىء من الميل، ولكن كل شىء سينتهى بعد أن ... أوه .. اننى على ثقة من ذلك ، وستهجرنى وتتركنى أتوجع ألما وعارا !.. ان الأخريات يعرفن كيف يحتفظن بك لأنهن من طبقتك ، متحذلقات متأنقات ، ويعرفن أشياء كثيرة لا أعرف أنا عنها شيئا ، والحقيقة أننى لست أكثر من امرأة سقيمة الفهم ، لا تعرف الا أن تحبك ، وأن تجزل لك الحب ..

أتدرى ماذا أقول لنفسى كلما استلقيت فى فراشى وجفانى النوم ، وأنا أفكر فيما تطلبه منى ؟. اننى أقول لنفسى : **« .. ان السيد جاك لا يحبنى حقيقة ، ولكنه يجد منى مقاومة لا يجدها من النساء الأخريات ، فاذا ما ظفر منى بما يريد ، وحطم مقاومتى ، ان يعود يرغب فى ، بل سينبذنى نبذ النواة .. انه يريدنى من أجل متعته وزهوه ، فقط ! »** .

.. وهذه الفكرة هى التى تجدد من عزيمتى ، وتمدنى بقوة المقاومة ، وتجعلنى أكتب لك هذه الرسالة .

وبعد ، فان كنت تريدنى من أجل متعتك وزهوك .. فاطمئن ، هب أنك قد ظفرت بى وانتهى الأمر ، ما دمت أنا التى أسألك العفو عنى ، وما دمت أضع شرفى بين يديك !

..ألا دعنى يا سيد جاك ، بل دعنا كلينا ، أنا وزوجى ، ولتظل محبوبا منا على الدوام .. **اننا لا نملك ، أنا وزوجى ، غير قدر ضئيل من السعادة ، حصلنا عليه بحبنا وثقتنا المتبادلة ، فتذكر هول الجرم الذى ترتكبه عندما تحطم بيدك هذه السعادة الصغيرة .. وافعل ما أرجوه منك !**

.. وستفعل ، وتبتعد عنا !.. أنا على ثقة من ذلك ، لأنك

مخلص وطيب القلب ، وليس هناك غير شيء واحد أخشاه ، وسأصارحك به ، بشرط ألا تسخر منى : أن كل ما أخشاه ، هو أن أكون واهمة فى ظنى بأنك تحبنى .. وان لا يكون لهذا الحب نصيب من الحقيقة ، بحيث لن يسبب لك فراقى شيئا من الألم !

أوه ! انك لا تكرهنى يا صديقى العزيز ، ومن ثم فلن تكره لى النجاة .. واذا سببت لك شيئا من الألم ، فلست أملك الا أن أطلب منك المغفرة ، سيما وأننى أقاسى بدورى آلاما عظيمة.

.. وفى الختام ، أتوسل اليك أن تحتفظ لصديقتك الصغيرة العزيزة بتذكار حب ، **وهى التى أجزلت لك الحب ، وكانت تود من صميم قلبها لو استطاعت أن تكون ملكا لك .. وسوف تفكر فيك دائما ، بعد أن تكون انت قد .. نسيتها !**

....

نساء فى ساحة العدالة : انتقام عاشقة

(بقية المنشور صفحة ١٦٢)

على أن المسكين لم يفكر ، بعد ان رد اليه اعتباره ، فى العودة الى الجيش . وسرعان ما قررت الحكومة الفرنسية ـ على سبيل التكفير والتعويض ـ أن تعينه مفتشا عاما فى (الجزائر) .. وان هى الا سنوات قلائل حتى عينته قائدا عاما فى جزيرة (تاهيتى) .. **وفى تلك الجزيرة النائية ، ذات الجو الساحر المعبق بأريج الأزهار ، قضى « لارونسيير » نحبه فى عام ١٨٧٤ (عن نحو ٦٥ عاما) ، بعد أن أنعمت عليه بلاده بنوط « جوقة الشرف » !**

....

كيف تنجح مع النساء !

العالم النفسانى الامريكى « شيبرد ميد »

HOW TO SUCCEED WITH WOMEN,
WITHOUT REALLY TRYING
BY SHEPHERD MEAD

● وبعد أن قمنا بهذه الجولة فى دنيا المرأة فى القرن الماضى ، وما قبله .. سواء فى بلاد الشرق ، أو الغرب .. تعال ننتقل الى المرأة العصرية ، فى هذا القرن العشرين ، لنقرأ عنها هذا الكتاب الذى قدم فيه مؤلفه الباحث النفسانى الأمريكى « شيبرد ميد » نصائح عملية لمعشر الرجال ، وهم « الجنس الأضعف » — كما يقرر المؤلف ! — ليخوضوا معركتهم الخالدة مع النساء . وهو يبدأ مع الرجل منذ بداية مرحلة العمر حتى مرحلة الزواج ، وهى أصعب مرحلة فى حياة كل رجل ، وخاصة عندما يواجه صعوبة الاختيار ، وصعوبة المعايشة ، وتحدى النجاح والفشل فى زواجه . وقد صاغ المؤلف كتابه كما سترى فى أسلوب جذاب ، يعرض أعمق الأفكار فى قالب فكاهى مرح :

تحذير ومقدمة : بقلم المؤلف !

⊙ **من الخطر** أن يقع هذا الكتاب فى أيد ليست مهيئة لقراءته ، اذ ينبغى أن يقرأه من يتحلون بقدر كاف من الأخلاق ! .. ونحن لا نزعم أننا نمدك بالأخلاق ، فعليك أن تحضرها معك ، والكتاب يكشف لك كيف تستخدمها ..

« ان القصد منه أن ينقذك ، أيها الرجل ، من الأخطار والمزالق العقلية والجسمية التى تملأ طريقك فى الحياة ، وأن ينقذك من نفسك .. ونحن نعقد عليك الأمل يا من تقرأ هذه « الوصفات » الجادة ، أن تكون أكثر نفعا للمجتمع ، وأكثر اخلاصا للمرأة التى تعزك !

« ومع أن هذا الكتاب موجه ـ صراحة ـ الى الرجل ، فنحن لا نعارض فى بيعه للنساء ، ونأمل أن يرشدهن لمساعدة الرجال ليساعدوا أنفسهم ، ولا يدهشنكن أيتها النساء أن تكتشفن أن الرجال فى حاجة الى مساعدتكن . والا ما كنا نتعب أنفسنا فى تأليف مثل هذا الكتاب » !

الرجال .. هم الجنس الأضعف !

● **يجب** أن يعرف الرجل منذ البداية أنه الجنس الأضعف ، ولا تغرنه مظاهر القوة التي يبدو أنه يتمتع بها ، ولا يغرنه أيضا ما يحاط به من دعاية خاطئة بأنه الجنس الأقوى .. فمن المؤكد ـ حسبما تظهر الاحصاءات ـ أن الرجل مقدر له أن يعيش حياة تنغصها الأمراض ، وأن يلاقى الموت فى وقت مبكر بالنسبة للمرأة . فمتوسط عمر المرأة فى أمريكا ٧١ سنة ، بينما متوسط عمر الرجل ٦٥ ١/٢ سنة ، والمرأة تشفى من الأمراض بسرعة وبسهولة ، وعندها مناعة طبيعية ضد كثير من الأمراض ، وهى أقل من الرجل اصابة بالجلطة والشلل ، وبالأمراض النفسية والعقلية ، وزيارة سريعة لأحدى المصحات العقلية تقنعك بأن نسبة الرجال بين نزلاء هذه المصحات أكثر بكثير من النساء !

هل تفقد الأمل ؟

● **اذا** كان الأمر كذلك ، وأنت الجنس الأضعف فى معركة الحياة ، هل تفقد الأمل ؟ كلا .. فبعد قراءة هذا الكتاب سوف تشعر أن القوة بدأت تدب فى أعطافك ، وأن الثقة أخذت طريقها الى قلبك .

كيف تفوز باعجاب المرأة ؟

● **الرجل** ، أى رجل ، يهمه أن يفوز باعجاب المرأة ، أية امرأة .. والرجل يجب أن يبدأ معركته فى سبيل الفوز

باعجاب المرأة وهو طفل ، ثم صبى ، ثم فتى ، فشاب .. عليه أولا أن يبنى جسمه ، فالمرأة تأخذها من النظرة الأولى قوة الرجل البدنية ، فقوة الرجل البدنية لها سحر لا يقاوم عند المرأة .. فأجعل للألعاب الرياضية مكانة خاصة فى حياتك .. ولا تهمل صحتك .. ولا تفرط فى قوتك ، ومارس لعبة رياضية أو أكثر ..

كن صريحا فى اظهار عواطفك !

● **والمرأة** يعجبها أن تظهر عواطفك فى صراحة وعلانية ، فلا تتردد فى اظهار عواطفك للمرأة التى وقع أختيارك عليها ، فانها تغفر لك جرأتك فى التودد اليها ، ولكنها لن تغفر لك ترددك فى التقرب منها والتودد اليها !

تعمد اثارة المنافسة عليك !

● **ان** النساء فى منافسة وصراع دائم بعضهن مع بعض ، فاستغل هذه الحقيقة لمصلحتك .. فلا بأس فى أن تتودد الى أية امرأة ، ولكن الأفضل أن تفعل ذلك على مرأى ومسمع من امرأة أخرى ، فالغيرة وحب المنافسة سوف تفعل فعلها فى تلك المرأة !

أجعلها فخورة بك !

● **ان** الفتاة التى وقع اختيارك عليها تود أن تفخر بك ، فيسر لها ذلك .. وقد تقول لنفسك بعد أن تشرع فى تقييم نفسك أنه من المستحيل عليها أن تفخر بك .. لا تتعجل الأمور ، فقد تكون نظرتك فى نفسك صحيحة ، ولكن قليل من النساء من يملكن قدرة الحكم على الشخصية ، ولا توجد المرأة التى تراك كما ترى أنت نفسك ، فساعد فتاتك على أن تراك كما تحب هى أن تراك ، لا كما ترى أنت نفسك !

مظهـــرك ..

◉ **منذ** زمن بعيد فقدت المرأة الحكم على الرجل مجردا من مظهره .. فاهتم بمظهرك ، وهندامك ، ورونقك ، ولكن تعمد أن تترك فى مظهرك شيئا مهملا ، ان هذا الشىء المهمل ، كزرار غير مربوط ، وخصلة شعر مدلاة فوق الجبهة ، تجذب اليك المرأة بطريقة عجيبة ..

الرجل المثقف يجذب المرأة ..

◉ **كل** النساء يرغبن فى أن يكن فى صحبة الرجل المثقف ، فأجعل فتاتك تشعر بأنك من الطراز العقلى المثقف . ومن الأشياء التى تساعدك فى أن تبدو مثقفا ـ وان لم تكن كذلك فى الحقيقة ـ أن تدخن الغليون « البايب » . ضع « البايب » بين أسنانك ولكن لا تدخن ، فالنساء يحببنها ولكنهن يكرهن رائحة دخانها . أشعل الغليون بين الحين والحين ، ولكن أتركه ينطفىء بسرعة . وفى بيتك أجعل مكانا بارزا للكتب ، خاصة الكتب الأجنبية .. وأقتن مجموعة من الاسطوانات ، وضع فى جيبك أو فى حافظة أوراقك أو على مكتبك بطاقة دعوة لحضور ندوة أو معرض فنى ..

اختر لنفسك فنا !

● **لو كنت** كاتبا أو رساما أو موسيقيا لضمنت تسلطك على النساء .. فاذا كنت تعيش من دخل حر فاختر فنا ، وسرعان ما تجد النساء ، وخاصة العاطفيات منهن يحمن حولك كالفراشات الهائمة ..

واذا لم تكن ذا موهبة فنية مؤكدة فاختر مهنة الكتابة ، فهى مهنة لا تحتاج ـ للتظاهر بها ـ الى أية موهبة حقيقية ، علاوة على أنها قليلة النفقات ، فكل واحد يستطيع كتابة بضعة سطور فى أى موضوع ، وكل ما تحتاج اليه قلم وورق ونظرة

سارحة ، ثم تجد النساء قد تجمعن حولك ، فالأدباء لهم سحر خاص على النساء !

لتكن رساما ..

● **ولكن** اذا كنت لا تعرف قواعد اللغة – والكثيرون لا يعرفونها – فعليك بالشعر الحديث ، أو الرسم حسب المذاهب الحديثة .. وقد تقدم الفن فى السنوات الأخيرة الى درجة أن الرسام لم يعد فى حاجة الى تعلم أصول المنظور ، والتشريح ، ومذاهب الرسم ، وغيرها من التفصيلات الفنية التى جعلت من الرسم – فى الماضى – فنا صعبا مقصورا على الموهوبين الجادين .. ونحن ننصحك أن تختار الفن التجريدى ، فالرسام التجريدى – بشىء من الألوان الزاهية واللسان الزلق – يقتحم طريقه فى عالم النساء فى يسر وبدون عناء .. وتذكر هذه القاعدة الذهبية : **« ارسم أولا ثم فسر ما ترسم بعد ذلك »** . والبدء بفكرة مسبقة عن رسم لوحة ليس خطرا وحسب ،ولكنه يشغلك عن متابعة الحديث الشيق مع صاحبتك وانت فى المرسم ، ارتد ملابس تجعلك تبدو كأنك خارج من فورك من رسم لوحة : تشكيلة من الألوان الزاهية ، قميصا من لون لا يتمشى مع لون البنطلون ، وكرافتة تسخر من بقية ألوان ملابسك . استخدم فى رسمك المزعوم ألوان الماء لأنها تجف بسرعة ، ومن السهل غسلها ..

كن موسيقيا .. ولكن ..

◉ **صحيح** أن الموسيقى تذيب القلوب ، ولكن من الأسف أنها لم تتقدم بالقدر الكافى بحيث يمكن لمن هب ودب أن يدعى اتقانها ، فدعها جانبا .. لأنها تتطلب ساعات طويلة من المران الشاق المضجر ، وشراء الآلات الموسيقية الغالية ، وتعرضك لنظرات الاستهجان من أصحاب البيوت والجيران ..

والموسيقى تعوق النجاح فى الحياة الاجتماعية : فحيثما تذهب تجد من يدعوك لعزف مقطوعة موسيقية ، فتجد نفسك أمام البيانو ترهق أصابعك بالعزف ، بينما ينفرد صديقك الكاتب أو صديقك الرسـام بصاحبته فى ركن من الأركان المظلمة يتطارحان الغرام على أنغامك الشجية .. فدع الموسيقى جانبا وأنت تخوض معركتك مع المرأة !

هل من الضرورى أن تظهر بمظهر الثراء ؟

○ **كثيرون** يسألون ويتساءلون : هل النساء ينجـذبن دائما الى المال ؟ والجواب : نعم .. فأغلب النساء فى حاجة الى المال ، واذا أعتقدن أنك تملك المـال جرين وراءك .. واذالم تكن ذا مال فلتتظاهر بأنك تملكه .. ويعتقد البعض أن التقرب من المرأة الغنية يكون بادعاء الفقر ، لأن هذا من شأنه أن يثير فيها غريزة الأمومة . وليس هذا صحيحا ، فأشد النسـاء عاطفة تخمد جذوة عاطفتهن اذا دخل المال فى الاعتبار . فاذا كانت فتاتك غنية فاجعلها تفهم أنك لا تهتم بالمال ، فأنت أرفع من ذلك .. وسوف تفوز بها ، وتفوز بالمال أيضا !

كيف أختار زوجتى ؟

● **اذا** قررت أن تتزوج ــ وهذا أمر متروك لك ، وأغلب الرجـال يتزوجون دون أن يعرفوا السبب فى ذلك ! ــ اذا قررت أن تتزوج ، فهنـاك أكثر من سـؤال تحب أن تعرف الاجابة عنه :

هل أتزوج من هى أقل منى ؟

○ **عليك** أولا أن تنظر الى نفسك نظرة موضوعية مجردة، حدد مزاياك وعيوبك بكل صراحة وأمانة .. وبعد ذلك عليك أن تبنى أختبارك على هذه الحقيقة : « يجب أن تتزوج من هى أقل منك ، ولا سبيل غير ذلك » .. والمشـكلة بعـد ذلك فى

درجة نقصها عنك : الى أى مدى يجب أن تقل عنك ؟ .. وعلى أى حال فانها يجب ألا تكون أقل منك بمراحل ، أى يجب ألا يكون الفرق بينك وبينها واسعا .. فى السن .. فى الثقافة .. فى المكانة الاجتماعية .. فى الدخل ..

وتأتى بعد ذلك الصفات الطيبة فى الزوجة المثالية : الزوجة يجب أن تكون لائقة جسمانيا ، فلابد أن تكون الزوجة عملية ونافعة ، أى ليست لعبة أو رفيقة لعب ، فهى زوجتك التى سوف تشاركك فى سنوات الكفاح الأولى ، وعليها أن تقوم بدور الأم ، والطباخ ، والخادم ، والمربية ، والممرضة !.. فاختر زوجتك قوية الجسم ، لتحتفظ بمرحها بعد عمل طويل شاق .

وعلى الزوجة أن تكون مخلصة ، وتتمتع باحساس قوى بالواجب ، وأن تكون على استعداد لأن تسير معك فى الضيق واليسر ، فى أوقات الفرج وأوقات الشدة ، لا تنتظر منك الا القليل ، وتفرح بالهدية مهما صغرت ، وتسعد بكل كلمة طيبة .. وأحذر النوع المتآمر الذى يتظاهر بالاخلاص ليوقعك فى فخ الزواج !

الذكاء والثقافة ..

● **كثير** من الرجال يبتعد عن المرأة الذكية ، وهذا خطأ ، فلابد أن تكون الزوجة على شىء من الذكاء ومرونة التفكير ، وليست عنيدة .. ويعتقد الكثيرون أن التعليم ضار بالمرأة ، وهذا الاعتقاد أبعد ما يكون عن الحقيقة ، فكثير من الزوجات الجامعيات حققن زواجا ناجحا ..

لا تغفل عنصر الوراثة ..

● **يجب** ألا تغفل عنصر الوراثة ، فالعرق دساس كما يقولون ، فعليك أن تدرس العائلة جيدا ، من هو أبوها .. هل

هو مرموق المكانة رفيع المركز ، وبالتالى ذكى ومجتهد ؟ .. ان المركز والمكانة لا يأتيان مصادفة !

والآن لك أن تسأل :

⊙ **ما مدى** توفيقى فى العثور على مثل هذه الزوجـة ؟ أخشى أن أقول لك ان فرصتك ضئيلة جدا : ولكن لا تيأس ، واذا عثرت على فتاة تتوافر فيهـا بعض هذه الصفات فلا تدعها تفلت منك ، فهى خامة طيبة ، تستطيع ، اذا أحسنت توجيهها وتدريبها ، أن تصنع منها زوجة صالحة ..

كيف تدرب زوجتك ؟

⊙ أشغل وقتها دائما .. فى أعمال البيت ، وطلبـاتك ، وأحتياجات الأولاد .. ان الفراغ ضار بالزوجـة الشابة ، والعمل يفيد الزوجة .. يقوى الجسم والأخلاق أيضا .

⊙ ضع أمامها مقالا طيبا .. تحدث عن زوجـة زميلك التى تتفانى فى خدمة بيتها وزوجهـا وأولادهـا .. وليكن حديثك بطريق غير مباشر ، وعابرا ..

⊙ اجعلها تبتعد عن الأعمال والأشياء التافهة التى تضيع الوقت بلا فائدة : التطريز .. شغل الابرة .. التريكو .. رفى الجوارب .. مشاهدة التليفزيون .. قراءة المجلات السخيفة ، والتردد على المحلات ، والحلاق ،وتبادل الزيارات مع الجارات والصديقات الخاليات ..

⊙ لا تعودها على أن تصطحبك فى مشترواتها .. ولكن لا ترفض بطريقة قاطعة فى أول الأمر .. اذهب معها .. ولكن تصرف بطريقة تجعلها لا تفكر فى أن تأخذك معها الى السوق مرة أخرى !

والآن لا تيأس ، وأنت تدرب زوجتـك .. فلا بد أنك

ستواجه بعض الصعوبات .. لكن النتيجة المطلوبة مضمونة اذا بدأت البداية الصحيحة مع الخامة الطيبة ..

كيف تنجح مع زوجتك ؟ !

• **الحب والجنس** ضروريا للزواج ، ولكن ربما كان الجنس أكثر ضرورة ، وليس من السهل التفرقة بين الحب والجنس ، فهذا موضوع دقيق ، ولكن يجب أن تعلم أن الجنس ليس كل شىء ..

• كن واثقا من نفسك . فالرجل الواثق من نفسه ، المطمئن ، يكسب نصف المعركة ، فلا تشك لحظة فى أنك الرجل المرغوب .. دعها تشعر بأنها محظوظة لأنها التقت بك ، وأنك متفضل عليها .

• لاتبخل عليها بالثناء .. ويتضمن الثناء والمديح أن تقدر كل صفاتها الظاهرة والخفية ، الحقيقية وغير الحقيقية ، وتفهمها انها تملك الكثير من الصفات التى ترغب فيها .. واذا رغبت فى أن تتخلص زوجتك من صفة لا تعجبك ، أشر الى تلك الصفة فى حديثك ، ولكن بطريق غير مباشر !

• اصطحبها للغداء فى الخارج .. ان المرأة تشعر بنشوة وزهو ، وبأنها محبوبة ، اذا دعاها زوجها الى الغداء فى مطعم بين وقت وآخر .

• اشركها فى هواياتك واهتماماتك .. لا تجعل عالمك عالما مغلقا تحظر على زوجتك دخوله ، أشركها فى كل شىء ، ولكن بالقدر الذى لا يجعلها تنشغل عنك أو عن البيت ..

• تجنب الجدل ، فالجدل عقيم فى الحياة الزوجية ، ويدل على قصر نظر الزوجين ، وخاصة الزوج .. والجدل مع المرأة لا جدوى منه حتى لو استخدمت المنطق ، لأن المرأة لا تعرف المنطق . ان منطقها منطق العواطف .. واذا ثارت

زوجتك فاتركها حتى تهدأ ، وهى سرعان ما تهدأ ، لأن ثورة المرأة أشبه بعواصف الصيف : عنيفة ، ولكنها قصيرة الأجل !.. واذا ما بدأت الدموع تنساب من عينيها ، أتركها بحجة عمل عاجل ، ولكن أظهر لها شيئا من التعاطف . وتذكر أن العطف والاهتمام بزوجتك يحلان كثيرا من المشكلات ، ويجنبانك الجدل العقيم معها ، والزوج الأنانى الذى لا يراعى شعور زوجته ، ولا يفكر الا فى مصلحته ، سرعان ماينهار بيته ..

....

المرأة .. عند توفيق الحكيم

(بقية المنشور صفحة ٩٨)

ـ ولو علمت كيف سمم حياتى بعد ذلك طول وجودنا على الأرض ! .. أنه لا يريد أن يفهم أنه شريكى فى كل ما فعلنا ونفعل .. ولكننى فى نظره مخلوق وجد ليلقى عليه مصائبه وكوارثه .. وعواقب ضعفه ونزواته .. ياالقسوته ! .. انه **لا يريد حتى أن يعتبرنى ضلعا من أضلاعه ! .. كلا ! .. ان له ساقين تحملان جسمه ، فلا بد من ثالثة تحمل ذنبه ووزره ! .. أنا هذه الساق ..**

ـ ولو عرفت كيف تكلف هذه الساق رجال اليوم ؟ انها تغلف فى جوارب من « النايلون » باهظة الثمن .

ـ ما هذا « النايلون » ؟ .. أهو نوع من ورق التوت ؟

ـ لا يا جدتى .. أنه نوع من ..

ـ رجائى اليك ألا تنادينى بجدتك ! .. لست أدرى لماذا كان يثقل على أذنى هـذا اللفظ ؟ ثم انك لا يمكن أن تتصور مقدار ما كنت عليه من حسن !.. ثق أنى لم أنجب ابنة قط فى مثل جمالى !.. **ومهما يكن فى آدم من عيوب ، فان له**

فضيلة لا تنكر ، وهي خضوعه لحسنى ، وافتتانه بجسمى ، واذعانه لرغباتى ، وتنفيذه لطلباتى .. ولو كنت أمرته أن يحضر لى هذا الذى يغلف الساق .. ماذا قلت عنه ؟

ـ جوارب النايلون !

ـ نعم .. حدثنى عن هذا النايلون .

ـ وما فائدة ذلك الآن .. ما دام آدم لا يستطيع أن يحضره لك فى العالم الآخر ؟

ـ صدقت .. انه لا يحضر لى شيئا .. لقد شاخ وهرم .. أقصد عندما كان فى الأرض ، لقد كانت الحياة معه لا تطاق .. لقد كثر سعاله ، وضاق خلقه ، وثقل ظله .. ولكن أين المفر لمسكينة مثلى ؟ لو أن فى ذلك العهد آدمين اثنين على الأقل ! .. ولكنه هو دائما أمامى آدم واحد ، بوجهه المقطب الجامد ، وحديثه الممل الذى لا يتغير .

ـ لا تحزنى ! مشكلتك كانت هينة الى جانب مشاكل المرأة فى العصر الحديث .. أخبرينى .. ما رأيك فى موضوع منح المرأة حق الانتخاب ؟

ـ انتخاب من ؟ زوجها ؟.. أهذا ممكن ؟.. **انى لأغبط تلك المرأة التى تستطيع أن تنتخب زوجها وتختار رجلها ؟.. حسرة على !.. لم يكن لى حق انتخاب ولا اختيار .. كان رجلا واحدا ، فكان على كل حال خيرا من لا شىء .. وكان حتما على الرضا به والسكوت ..**

ـ لا ، لست أقصد حق اختيار الزوج .. فهذا فى يد المرأة اليوم ، ولكنى أقصد حقها فى أن تحكم وتسود وتقود !

ـ ومن قال لك انى لم أحكم ، ولم أسس ، ولم أقد ؟.. من الذى قاد آدم من يده وأخرجه الى الأرض ؟ لاتصدق امرأة تزعم غير ذلك . لكل امرأة تفاحتها التى تقود بها الرجل !

ـ قلت ذلك فلم يصدقونى .. لأننا فى عصر نصدق فيه النظريات ، ولا نصدق الحقائق .. فاذا شاع مذهب يقول : ان المرأة ضعيفة ، فيجب أن نصدقه ، حتى ولو رأيناها بأعيننا تمسك بيدها رجلا وتلقى به من حالق ..

ـ من ذا الذى يسمينى ضعيفة ؟ يبدو لى أنى منذ عشت على الأرض حتى اليوم ، **وأنتم تعيشون فى غلطة تغذيها دائما بلاهتكم يا معشر الرجال !.. وهى أن المرأة ضعيفة .. ما من امرأة ضعيفة .. انها تتظاهر بالضعف ، كما يتظاهر الرجل بالقوة !**

ـ ماذا تقولين فى كثير من رجال اليوم الذين يسمونها كذلك : ليقال عنهم انهم مجددون ؟

ـ لهؤلاء تستطيع أن تنقل عنى هذه الضحكة الصغيرة سخرية بهم !

ـ عجبا ! يا لها من ضحكة ماكنت أظنها معروفة فى عهدك !

ـ من كنت تظننى اذن يا هذا ؟.. يا لك من ساذج !.. صدق ما توقعت منك وتوسمت فيك ! أو كان آدم يستطيع أن ينجب غير بسطاء من أشباهه !

(من « عصا الحكيم »)

المرأة .. عند المازنى

(بقية المنشور صفحة ١١٤)

عينى ! بل هم بأن يضع أصبعه فى عينى ، فنحيت يده عن وجهى وقلت له وقد غيض الغيظ والغضب عبراتى : « ألا تكفيك قسوة لسانك حتى تريد ان تفقأ عينى ؟ »

فادعى أنه لا يفهم كلامى وزعم أنه انما كان يبغى أن يرى

من أين يجىء الماء الذى يسيل من هذين الثقبين فى وجهى ، وقال انه لم ير حيوانا آخر غيرى يفيض الماء من ثقوب وجهه ..

الثلاثاء : لا يزال آدم يضحك حتى كلما خرجت الى البركة لأنظر فيها الى نفسى ، ولا سيما بعد أن وقعت فيها وأنا أتأمل خيالى فى صقالها .. ليته ينظر فى مائها الصافى مرة ، اذن لكف عن هذه السخرية ..

الخميس : كل يوم يبدو لى من آدم خلق عجيب ، كنت ألومه وأشكوه الى نفسى وأونبه على هروبه منى واختفائه بين الأشجار ، وأقول له فيما أقول « انى أنسى كل شىء حين أكون معك ، حتى الجنة لا أباليها ولا أحفل لما فيها ، وان نسيم الصبح حين يهب بأصوات العصافير لذيذ ، وأنه ليس أطيب من ريا الأرض بعد أن يجودها من السماء هاطل ، ولا أرق من مقدم الليل علينا بنجومه الزهر وقمره السارى ، ولكن ما من شىء فى الأرض ولا فى السماء يروقنى أو يفتننى اذا لم تكن معى ، فالعجب لك كيف تطاوعك نفسك على مجافاتى والفرار منى وأنا بعضك ؟ » .

الجمعة : لم أكن أنوى أن أكتب اليوم شيئا ، ولكنى عثرت بقصاصة بخط آدم قرأت فيها هذه العبارة : « لقد كانت أيام الأسبوع كلها جمعا قبل أن يأتى هذا المخلوق الجديد الذى نفى عنى الراحة وهدوء البال .. »

« بقية الكلام من مذكرات حواء رديئة ، ويظهر أنها كتبت تعليقا على عبارة آدم بسرعة وانفعال ، على أنى مع هذا استطعت أن أقرأ الكلام ولكنى أعتذر للقراء فانى أعلى بأبينا الشيخ عينا ، وأعمق اجلالا من أن أسمح بنشر ما خطته أمنا المسكينة عنه فى ساعة من ساعات الغضب .. »

الأحد : مواظبة آدم على الكتابة تدهشنى ، وتعليله لذلك أبعث على الدهشة . فهو يقول انه يقتل الوقت بذلك وينفي عن نفسه الملل ، الملل حقا ؟ ألست معه أونسه ؟

الاثنين : مر اليوم بلا حادث يذكر سوى أن آدم وجدنى أتسلق الشجرة المحرمة فجذبنى بعنف وحذرنى من الدنو منها .

الثلاثاء : قمت من النوم فلم أجد آدم فذهبت أبحث عنه فلم أهتد الى مخبئه ، وهذه رابع مرة يهرب فيها منى . فعدت الى الكوخ متعبة وارتميت على الفراش الذى صنعته له من ورق التين ..

الأربعاء : لا يزال آدم هاربا وقد حفيت قدماى ، وأقلقنى هذا الغياب الطويل الذى لا عهد لى ولا له به ، أتراه ضل الطريق ؟ انه غريب الأطوار فلا يبعد أن يكون قد خرج من الجنة .

الثلاثاء : بعد أسبوع كامل قضيته فى البحث وجدت آدم فى أقصى الشمال .. لقد بنى له كوخا صغيرا هناك ، له الله ! فلولا الحية دلتنى على مكانه .. ولكن صبرا !

الأربعاء : لم أكن أحسب أن الحية تتكلم .. وتا لله ما أطيبها ، وأعذب لسانها وأحلى حديثها ، لا أكاد أضمها الى صدرى حتى يصافح سمعى قولها : « يا فتنة الدنيا ، ويا أجمل ما فى السموات والأرض ويا أم البشر » ، ولكن آدم يكرهها ويخافها ويحذرنى منها ، ويقول انها نذير سوء ! وان كان لا يكتمنى سروره بأن وجدت من يحادثنى غيره .

الخميس : زينت لى الحية أكل تفاحة من الشجرة المحرمة ، انها تقول ان فاكهة هذه الشجرة ليس لها نظير ، فبينت لها أن لنا أن نأكل ما نشاء من فاكهة الجنة ، خلا ما تحمل هذه الشجرة والا كتب علينا الموت ، فقالت لى الحية كلاما كثيرا معجبا مطربا شربته أذناى بلهفة ، فجعلت

أرمق الشجرة ، ومنظرها وحده غواية ، وأشم عبق فاكهتها الطيب ، وعضنى الجوع فامتدت يدى الى الثمرة فقطفت واحدة ثم ثانية ثم ثالثة ، فتفتحت عيناى وأبصرت العرى الذى أنا فيه .. وأدركت بفطرتى أن لا بقاء لى فى الجنة بعد ذلك ، ولكن كيف أحتمل العيش بعيداً عن آدم ؟ كلا ، أنى أحب آدم ولا أقوى على الحياة بدونه ، فقطعت غصنا مثقلا بثمار الشجرة ومضيت أبحث عن آدم ..

الاثنين : بعد أربعة أيام طوال وجدت آدم فألقيت عند قدميه الغصن ، فنظر الى نظرة استغراب وسألنى عن هذا الورق الذى أستر به جسدى ، **فقلت ستعرف هذا متى أكلت من التفاح ، فانتزعه منى وعرانى ، فخجلت** ، فقال : لقد علمت أنك أكلت من الشجرة المحرمة فقد هاجت الوحوش ، وهمت بأكلى ، فركبت حمارا فارها لم يزل يعدو بى حتى عدا عليه نمر فنجوت بجلدى ، ورأيت المقام فى هذه الجنة مستحيلا فخرجت منها ، وسيان عندى الآن أن آكل أو لا آكل فهاتى ما عندك فأنى جوعان .

وقضم قضمة وجعل يتذوقها ، ويقول ما أطيبها ، **ثم نظر الى نفسه فأدرك أنه عار واستحيا فستر نفسه بالورق الذى نزعه عن جسدى ونظر الى ثم أرخى طرفه** وهو يقول : « ماذا تعنين بالوقوف عارية هكذا ؟ أذهبى وأسترى نفسك ! » ففعلت ..

الخميس : اعترف لى آدم بأنه كان لا يحسن معاملتى ونحن فى الجنة ، وقال ان عذره هو أن المرء لم يكن يستطيع أن يحسن شيئا فى تلك الجنة ، وقد كان يخشى ألا الحق به ويتوقع أن تضنيه الوحدة ، وتسقمه الوحشة ، وقبلنى « وعرفنى » .. **لقد خسرت الجنة ولكنى ربحت آدم !**

....

محتويات الكتاب

الموضوع — الصفحة

كتابى
تصدر عن **الشعب** مؤسسة صحفية عربية
أخصائيون فى المطبوعات العاجلة
عضو اتحاد الصناعات
الإدارة : ٩٢ شارع قصر العينى بالقاهرة - ت ٣١٨١٠ • مكتبة دار الشعب - ت ٢٩٩٩١
التوزيع : مكتبة دار الشعب
المطابع : قصر العينى - ت ٣١٨١٠ - ٣١٨١٨ - ٣١٨١٩ دير النحاس - تليفون ٨٤٤٨١٠
رئيس مجلس الإدارة السيد ابراهيم


بعد أعوام مسن التحضير والاستعداد الطويل:
كتابى
ومطبوعاته
يقدمان لك فى الشهور القادمة - بالتناوب - هذه الباقة من السلاسل الجديدة و الأعداد الخاصة:
مكتبة الشباب
وتتفرع عنها هذه السلاسل:
١- التراث العالمى للشباب
٢- التراث العربى للشباب
٣- قصص حياة الخالدين
٤- لكل سؤال جواب
مكتبة
أدب السينما
قصص أشهر الأفلام العالمية القديمة والحديثة، مزينة بالصور
ألف قصة وقصة من آداب العالم
مسح شامل لأعظم ألف قصة قصيرة من آداب جميع البلاد، فى جميع العصور..
مكتبة
القصص الشعبى
أساطير فولكلورية من شتى بلاد العالم
مكتبة
جريمة لا تفيد
لأشهر كتاب الأدب البوليسى الراقى
مكتبة
القصص العلمى
ترتاد بك عالم الغد، كما تتأهب له البشرية..
مكتبة
القصص الواقعى
اعترافات يرويها أصحابها وتجارب يرويها أكبر علماء النفس
مكتبة
الحياة الخاصة
لعباقرة الإنسانية
دائرة معارف
المرأة
كل ما يهم المرأة أن تعرفه عن نفسها ..وكل ما يهمك أن تعرفه عن نساء العالم منذ فجر التاريخ.. حتى اليوم
مكتبة
الرسائل والاعترافات
لأشهر المفكرين والعظماء